أثر الثقافة الشرقية
على المرأة والرجل

منذ خمس وثلاثين ألف عام قبل الميلاد
وحتى بزوغ عصر الثقافات العرقية

جهاد علاونه



الطبعة ٢٠٠٦

أثر الثقافة الشرقية

على المرأة والرجل

منذ خمس وثلاثين الف عام قبل الميلاد

وحتى بزوغ عصر الثقافات العرقية

جهاد علاونه

٢٠٠٦

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٥/٦/١٥٨٣)

٣٠٥,٣
علاونة، جهاد علي
أثر الثقافة الشرقية على المرأة والرجل منذ خمس وثلاثين الف قبل الميلاد وحتى بزوغ عصر الثقافات العرقية/ جهاد علي محمود علوان علاونة: عمان: المؤلف ٢٠٠٥.
( )ص
ر. إ: ٢٠٠٥/٦/١٥٨٣
الواصفات:/المرأة /الرجل/التنيمة الاجتماعية/المجتمع المدني/الثقافة/

* تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر٢٠٠٦/٦/١٥٥٢

الاراء الواردة في هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة

- أثر الثقافة الشرقية على المرأة والرجل
- جهاد علاونة تلفون :٠٢/٧٣٣٠١٧٤
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٦
- الروزنا للطباعة تلفون٠٧٩/٦٨٨١٧٨٨
- الترتيب والاخراج الداخلي/ الروزنا(اسمى جرادات)

الاهداء

إلى وطني الأردن أولاً

وإلى أمي الوطن الثاني

وإلى زوجتي "منى" وولدي "علي" وإبنتي "برديس"

وإلى محمد عايد طبيشات الرجل الذي يفيض وجهه سمناً وعسلاً.

تصدير:

- أما أن تكتب شيئاً يستحق القراءه وأما أن تفعل شيئاً يستحق الكتابة

" حكمة قديمة"

- بشر أنت صليبك أكبر منك

" الشاعر إبراهيم الخطيب"

تقديم

هذا كاتب جديد على الساحة الأردنية يفتح لنا آفاقاً رحبة على الماضي السحيق، يغوص في أغوار الأسفار والأساطير ليستخرج لنا منها ما هو جديد علينا ومثير للدهشة، وقلما نجد كتاباً في إنتاجنا الحديث يجمع بين جدية الموضوع وعنصر التشويق.

كتاب"الثقافة الشرقية.." إطلالة سريعة على تلك الثقافة الغنية، ولكنها إطلالة متنوعة،وهذا يجعلها مليئة بالتشويق لما تتضمنه من معلومات وحسن التحليل والتعليق،وإنني حاولت أن أبرز بعض هذه القبسات على هوامش الكتاب.

من مآخذي على الكتاب كثرة الاستطراد من موضوع إلى موضوع ، وهذا من طبيعة الكاتب التي أعرفها فهو متقلب المزاج سريع التغير، ولكن هذا التغير أعطى الكتاب تنوعاً يناسب العصر الحالي- عصر السرعة والتغير.

إنني، وأنا أقدم هذا الكاتب، من منطلق معرفتي الشخصية له، فهو إنسان بسيط، عفوي الطبيعة، مرح المزاج، عاشق للكتاب ، فحيثما سار فلا بد من أن يمر على المكتبة، يقرأ في كل موضوع ولكن عشقه الدائم للأساطير والتراث القديم، ويمتاز العلاونة بجودة الحفظ لكل مايقرأ، وبحسن الاستعادة عندما يتحدث، وبهذا فهو يسلب أسماع السامعين في كل موضوع يطرحه.

وإنني ،وأنا أقدم لهذا الكتاب، من منطلق جدة الطـــرح لهـــذه الثقافة على ساحتنا الفكرية، إلا أنني أتحفظ كثيرا على تناوله لـــبعض المواضيع من وجهة نظر علمانية وخاصة الماركسية، وهذا شأن الكاتب وحريته، ولكن لابد من التعليق على التباس قد يرد إلى الـــذهن،إذ قـــد يحسب من يقرأون الأساطير الشرقية أن تلك الأساطير هـــي الأصـــول الأولى للديانات السماوية، بحجة توارد كثير من أحـــداث البـــشرية في الأساطير وفي الكتب السماوية، ولكن ليس هذا بالضرورة ما حـــصل، فإن تلك الأحداث قد سجلتها الأساطير وأسبغت عليها كثيراً من الخيال كما أنها وردت في الكتب السماوية السابقة للأساطير والتالية كتسجيل لوقائع حدثت للبشرية، فليست الأساطير بالضرورة إرهاصـــاً للأديـــان السماوية، فنحن نؤمن من أن هذه الأديان قد تترلت من السماء بكـــل قيمها وتعاليمها كما أنها سجلت أحداثاً وقعت كما ســـجلتها تلـــك الأساطير فليس معنى هذا أن الكتب الـــسماوية اقتبـــستها مـــن تلـــك الأساطير.

إن الثقافة الشرقية هي أساس أصيل لثقافتنا وثقافات العالم، ومن الجدير أن يهتم بدراستها ونشرها الكتاب العـــرب أصـــلاً ، ولكننـــا للأسف نجد قصوراً كبيراً من جانب كتابنا ومفكرينا، فمكتبتنا الحديثة تفتقر افتقاراً شديداً للمؤلفات عن هذه الثقافة، فمن هذه الناحية يـــضع هذا الكتاب لبنة في أساس التأليف في هذا الجانب، ومن هنا تأتي أهميـــة هذا الكتاب.

المقدم:–

محمد عايد طبيشات

مقدمة الكاتب

يحاول والعلماء (تأنيث العلم) وإعادته إلى أصله النسوي، وذلك من موقع التأكيد على إظهار العاطفة النسوية وإخفاء جبروت الرجال أوقتل ملامحه ،ولسوف تبقى تشهد عشرات السنين القادمة محاولات فكرية من هذا النوع ولسوف يظل الأدب المرئى يقدم أفلاماً وبرامج متنوعة من هذا القبيل، بنفس الوقت الذي سوف تتراجع به القيم الدينية عند كل أصحاب الديانات .حتى يصل العالم إلى السأم من موضوع السلام،عندها ستبدأ الحاجة للعودة إلى (الحرب) وإلى قيم الذكور.

وحول هذا الموضوع يقول: (وَل ديورانت)[٢].

((إن التاريخ من بعض الوجوه، ليس إلا تعاقباً لموضوعات متعارضة ، فإن الطباع والأشكال السائدة في عصر ينكرها ويبرأ منها العصر الذي يليه ،والذي يضيق ذرعاً بالتقاليد.ويتحرق لهفاً إلى التجديد: فالكلاسيكية تنجب الرومانتيكية ،وهذه تلد الواقعية ،وهذه تأتي بالتأثرية،كما تدعو فترة الحرب إلى عقد عشر سنوات من السلم كما أن السلم الذي يطول أمده يدعو إلى الحرب العدوانية)).

---

[٢] ديورانت.ول ، قصة الحضاره ، ص ٦٠ ج١٥، م٦ عدد (٢٦)، ترجمة محمد علي أبو دره مراجعة .علي أدهم ، جامعة الدول العربية، ١٩٧٣م.

فإذا صح كلام وملاحظات (ديورانت) فهــذا يعــني أن قــيم الذكورة التي تلاشت في العشر سنوات الأخيرة سوف تعود مجدداً حاملة معها بذوراً جديدة ثمارها الأجيال القادمة .

ولكن باعتقادي وتصوري أن بذور الحرب والدمار لن تعــود شريطة تمكن الحكومات من تثبيت الثقافة النسوية وقيمها.

إن كافة المؤسسات الثقافية تعمل اليوم على إبــراز الملامــح الإنثويــة للعلم،وفي عام (٢٠٠٤م) قامت مجلة عالم المعرفة بترجمة كتاب(Lifting the veil -the feminne of science) وترجم الكتاب تحت إســم (أنثوية العلم) وجاء في مقدمة المترجمة:

((النسوية بشكل عام هي كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة وإستجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية .الذي يجعل الرجل هو المركز..والمرأة جنساً ثانياً أو آخر في مترلة أدنى ، فتفرض عليها حدود وقيود ، وتمنع عنها إمكانيات للنماء والعطاء فقط لأنها إمرأة. ومن ناحية أخرى، تبخس سمات وخبرات فقط لأنها أنثوية ، لتبدو الحضاره في شتى مناحيها إنجازات ذكورية خالصة تؤكد توطد سلطة الرجل وتبعية أو هامشية المرأة))[*]

فإذا أردت أن أجامــل المترجمــة فإنــــي أوافقهــا موافقــة مبــدأيــــة، غــير أن لي تحفــظ شديــد علــى كلمة (حــضاره) لأن النساء في فترة حكمهن والتي إمتــدت أكثر من خمس وثلاثين ألف عــــام قبــــل الميــلاد، لم يستطعــن إنجــاز حضاره بمعنى الحضارة

(*) مقدمة المترجمة ص ١١، المصدر السابق.

الذكورية القائمة على البطش والظلم وإلا ستبداد وسوء توزيع الثروات وكان العلم والتقدم في ركود وفي عالم مجهول لم يكتشفه العقل البشري إلا مؤخراً مع بداية ظهور عصر الآباء، ومع ذلك فإن لي ملاحظة هامة على كلمة (أنثوية ونسوية) ففي فترة حكم المرأة لم يكن هنالك رق أو ذل أو عبودية ، بل كان الناس يعيشون بسلام دائم وبرأيي أن ترك النساء ، على طبيعتهن وفطرقمن أجمل بكثير من كل محاولات تثقيفهن لأن الثقافة والحضاره لديهن قهرت عندهن الروح والجسد وكان بعض الكتاب العرب ومازالوا يتخذون مواقف عدائية من المرأة ولاتعود هذه العداءت لأسباب علمية بل تعود غالبيتها لأسباب شخصية ناتجة عن تجارب عاطفية محبطة مثل موقف العقاد،وهنا أكتفي بما قاله عن المرأة ولا أريد أن أبحث عن تجاربه المحبطة مع (مديحة يسري) وإسمها الحقيقي.(هنومه خليل) ومع(مي زياده) ولكني سأكتفي بالإشارة لما يقول:

(بدأت قضية المرأة: من رعايا يطلبون حقوقهم من ملوكهم ، وعبيد يطلبون حقوقهم من سادتهم ، وأجراء يطلبون حقوقهم من أصحاب العمل والأموال، وشعوب مغلوبة تطلب حقوقها من شعوب غالبة ، بل أبناء يطلبون حقوقهم من الآباء وعباد يطلبون حقوقهم من المعبود)).

وإن القارئ الذكي سيعلم أن هذا الكلام ناتج عن رؤيا شخصية محبطة وعن تجارب عاطفية ورغبات غير مشبعة ، وأنا على علم من أن العقاد يعرف تمام المعرفة أن التغيرات في الأدوار إلاجتماعية بين الرجل والمرأة ناتجة عن (صيرورة تاريخية ديالكتيكية) ليس للقرار السياسي الصادر من الأعلى أي

أهمية من ناحية توزيع الأدوار الاجتماعية وإن العقاد عاش فترة طويلة (١٨٨٩م) إلى الستينيات من القرن العشرين. وهو ينتقل بين المـــذاهب الأدبية والفلسفية وبين تاثره بـــ(فرنسيس بيكون) و(برنادشو) وأحيانا نجده متنقلاً بين العقـــل والنقـــل مـــدعياً هـــو وغـــيره أن مذهبـــهم مذهب(توفيقي) و لم أجد تعليقاً عليه أجمل من تعليق (الطيب تيزيني) في مشروعة عن الرؤيا الجديدة للفكر العربي، حيث وصف التوفيقية أو على حد تعبيره (التوفيقوية) بـــ(التلفيقيه) والمهم في الموضـــوع أن العقـــاد وغيره تعاملوا مع قضية المرأة من منطلق مواقف شخصية ناتجـــة عـــن إحباطات عاطفية بحته.

ونسمع في كل يوم عبارات (رنانه وطنانـــه) يرددهـــا كبـــار المثقفين وصغارهم عبارات توصف المرأة أحيانـــاً بـــــ (الخائنـــة) أو (الحاقدة) أو(المسرفة) أو (الكاذبة) وعبارات مثل:(نقل الصخر من الجبال أهون عليَّ من مصاحبة النساء فأصاب بالخبال).

وقال آخر - أو حكيم يوصي ولده: يابني ثلاث خذ حـــذرك منهن السير في الهوى والوقوف على الماء وصحبة النساء وغيره ..وغيرها من تلك العبارات التي أحترم قائليها وأقدر عمق التجربة عندهم . ولكن الخطأ هو أن يغمم تلك العبارات على قضية المرأة .

وإن قضية المرأة لا تؤخذ من تجربة شـــاعر في الهـــواء الطلـــق وساعات الذروة أو من نظرية فيلسوف يفلسف وجهات نظـــره وهـــو يحتسي القهوة أو الخمرة ولكنها تؤخذ من السياق العـــام للـــصيرورة التاريخيـــــة ومـــن مدى تأثيـــر الوقائع التاريخيـــــة علـــى هيكـــل

الدول والحضارات والتجمعات السكنية نحن مطالبون هنـــا بتفـــسير منطقي للتاريخ من أين بدأ وكيف بدأ؟

وأخيراً، لماذا المرأة؟ وأقول أن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في أي بقعة من الأرض تعطي للقارئ انطباعاً عن الشكل الحضاري لتلـــك البقعة من الأرض وعن المستوى الاقتصادي وانماط الانتاج.

المؤلف جهاد علاونة
اربد –١١/٧/٢٠٠٥م

تعريف الثقافة

يقول بعض المفكرين العرب أن الفرنسيين هم أول من أستخدم كلمة(ثقافة) وذلك في أثناء دفاع بعض الجماعات المدنية عن ضابط في الجيش الفرنسي إتهمته بعض الأقسام الإستخبارية بالتجسس لصالح الإستخبارات الألمانية، وكان هذا في بداية القرن العشرين ، حيث أصدرت تلك الجماعة بياناً كان عنوانه(دفاعاً عن المثقفين)[*].

وأن أصول البحث والدراسات لا تشير إلى هذه القصة الأمر الذي يدعونا لإعتبارها رواية ضعيفة ، ولكن الملفت للنظر فيها هو عنوان البيان(دفاعاً عن المثقفين) إذ يبدو أن الحكومات في أوروبا ، كانت تخاف من العلم والتنوير ،وهذا حقيقي وحري بالإنتباه ،إذ مازالت أكثر الحكومات العربية ، تعتبر المثقف غريباً أو عدواً ،وهذا مايجعل المثقف في أكثر الأحيان في حالة (غربة) عن الواقع وعن واقع المجتمعات المحلية.

ويقال أن(ماوتسي تونج) هو أول من إستخدم إصطلاحCultural Revolution) الثورة الثقافية (وكان هذا الاصطلاح مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بالحركة السياسية التي قادها ضد خصومه في الحزب الشيوعي الصيني، وعلى أي حال فإن هذا الكلام يدعمُ وجهة نظري، القائلة: أن الماركسيين هم أول من

---

(١)خشبه، سامي، مصطلحات فكريه، ص ،٢٣٥ المكتبة الاكاديمية-ط١-القاهرة، ١٩٩٤م.

(*)مقدمة المترجمة ص ،١١ المصدر السابق.

عمم كلمة(ثقافة) وفي حال أنهم لم يكونوا السباقين إلى إستخدامها، فيكفي أنهم هم أكثر من إستخدمها وذلك يعود إلى مهارتهم بالجدل التاريخي ولتصادمهم مع التراث.

ويكاد أن يجمع أكثر المتنورين العرب من أن (سلامه موسى) وهو ماركسي أيضاً هو أول من إستخدم كلمة ثقافة في عموم أرجاء آسيا وأفريقيا، وذلك في أوائل العشرينيات من القرن المنصرم، وكانت تعني(كل نشاط ذهني وفكري وإبداع إنساني)[٢] ،ومن المحتمل أن سلامه موسى لم يقابلها مع كلمة أدب التي تعني الغذاء فكانت تقول العرب (أدْبَ فلان) أي: -أعد وليمة طعام،وحول هذا الموضوع كتب(يحيى حقي)[٣] منتقداً سلامه موسى:"كلمة أدب تعني تغذية البدن، ويقال(أدب فلان) أي أعد مأدبة، ثم أصبحت تعني تغذية العقل والروح...وكان سلامه موسى في غنى عن إستخدام كلمة ثقافة، وكان خليقاً به ، أن يعيد كلمة الأدب، إلى مجدها.

وكلمة ثقافة في تاريخ اللغة تعني : ثقف السيف، أي حده وثقف العود: ليكون سهماً أو رمحاً[٤].

ويؤكد غالبية الكتاب والمفكرين العرب. من أن العرب قديماً لم تستخدم كلمة(ثقافة) بل كانت تقول :(بليغ-بلاغة، فصيح-فصاحه، إمام، خطيب، شيخ،شاعر ،أديب-أدب) و لم

---

(٢) خشبه، سامي، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٣) حقي، يحيى، هموم ثقافية ، ص ٥+٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.،

(٤) خشبه، سامي ،المصدر السابق، ص ٢١٧،

تستخدم العرب كلمة(ثقافة- Culture) إلا في الآونة الأخيرة على يـــد سلامه موسى، وذلك قبل خمس وثمانين عام من تأليف هذا الكتـــاب. ولكنه لم يرجعها إلى أصلها(الفلاحي/الزراعي كما جاءت في الكتابـــات الغربية، فكلمة Culture تعني في الاصل (زراعـــة/فلاحـــة)، وهـــذا باعتقادي لكون سلامه موسى يدعو الى اللغة العامية ويعتبر أن (الفلاحة) هي من أسباب التأخر الثقافي إذ تأخر المجتمع عن الالتحـــاق بـــالمجتمع الصناعي. وهذا أدى إلى تمسك المجتمعات العربيـــة بالتقليـــد القديمـــة ويقول في كتابه البلاغة العصرية واللغة العربية "لاني اعتقد ان ٩٠ بل ربما ٩٩ في المئة من كتابنا سلفيون وهذه السلفية هي نتيجة لحرمـــان الامة من الرقي الصناعي وقصرها على الزراعة وعرقلة بل عرقيـــه،كل تقدم صناعي حاولته الامة في السنين الاخيرة لأن المجتمع الصناعي كان جديراً ان يحدث مجتمعاً صناعياً يكتب مؤلفوه بلغة الشعب"(*).

ولو دقق(يحيى حقي) نظره قليلاً لعرف أن سلامه موسى كـــان محقاً جداً حين إستخدم كلمة(ثقافة-Culture)) كتعبير حـــديث عـــن المهتمين بالنشاطات الفكرية، ولكنه لم يكن محقاً بترجمة Cultuare إلى ثقافة ذلك أن كلمة(Culture) المترجمة إلى (ثقافة) هـــي في الأصـــل مشتقة من (الزراعة) واللفظ يدل على الزراعة وقـــــد إســـتخدمها عرب الحجاز قبل الأوروبيين بـــ خمسة عـــــشر قرنـــــاً، وذلـــك حين كان القرآن يصـــــف المتنورين والمؤمنـــــين بـــ (فالحـــــين، فالحون، ومفلحون) وهذه الكلمات أصـــلاً مـــشتقة مـــــــن أدوات

(*)موسى، سلامه، البلاغة العصرية واللغة العربية ص٩-مطبعة التقدم القاهرة-ط٤-.١٩٦٤

الإنتاج الزراعية، ولأن المزارعين، أمة وشعوب مستقرة فإنها دائمـــاً مـــا تتصف بالجديد والمميز والعلم ،وبذلك فإن كلمة مفلحون كانت قـــديماً أقرب من كلمة (ثقافة) لترجمة كلمة(Culture) ، وقد تحدثت عن هذه النقطة عند حديثي عن الثقافة الزراعية والرعوية.

وعلى العموم فإنني إستخدمت كلمة(ثقافة) و(ثقافـــة شـــرقية) للدلالة على النشاطات الدينية البدائىة والفكرية والإنسانية في منطقـــة الشرق الادنى، إذ أننا لانستطيع عزل الديني والدين عن عمـــوم الثقافـــة الشرقية لأسباب علمية بحته وهي: -أن الشرق تميز دائماً بالأنماط الدينية لإنتاج برامجه الفكرية عبر العصور القديمة لذلك تميـــز الـــشرق بالـــدين والغرب بالفلسفة فإذا كانت معجزة اليونانيين الفلسفة، فـــإن معجـــزة الشرق هي الأديان السماوية.

وكان ومازال المفكر العربي(حسن حنفي) وهو ماركسي أيضاً من أكثر المتشددين للثقافة الدينية الشرقية وهو غير قادر عن عزل الدين عن الثقافة ويقول حول هذا الموضوع:

((الثقافة بلا دين أو علم قد تكون مجرد بحث نظري خالص يطول أو يقصر ، يصيب أو يخطئ وتصبح الحقيقة المرجوة غاية في ذاتها، تصورات خالصة للنخبة لاتستطيع الجماهير فهمها أو تحقيقها، أو الاستفاده منها...فالدين هو القادر على تحويل الثقافة من مستوى النظر إلى مستوى العمل. والعلم هو القادر على تحويل الدين من مستوى الكليات إلى مستوى الجزئيات))

*   *   *

وإن الجابري في مشروعـــــه أو ثلاثيتـــه عن (نقـــد العقـــل العربي) كـــان دائمـــاً ما يحـــــاول أن يفصل جسد التاريخ الـــشرقي

عن روحه الحقيقية، أو عن صيرورته التاريخية، وإنه يحاول أن يجعل مـــن التاريخ الشرقي مريضاً مستلقياً على ظهره في عيادة(فرويد) وكان فرويد عالماً نفسياً ولكنه لم يفصل مثلاً جسد موسى عن التـــاريخ المـــصري والعبري في كتابه(موسى والتوحيد) الذي يبحث به عن أصـــل الـــدين اليهودي لقد نقل لنا الجابري تصورات نحن غير ملزمين بها فالأمة الـــتي بلا تاريخ هي كالإنسان الذي يمشي بلا(ذاكره) وهذا على حد تعـــبير(آرنلد توينبي) وحول هذه الثقافة يقول المفكر العربي هشام غصيب:

((العقل العربي لا يخضع للزمن المادي المألوف الذي تدور فيه الأحداث الطبيعية والأخرى الإجتماعية..إنه بهذه الإحبولة الأيديولوجية يحرر الثقافة من ما ديتها ويرفعها فوق العلاقات المادية الإجتماعية من جهة ويكسبها مادية خيالية تاريخية وهمية من أجل تعزيز مفهوم العقل العربي، وتسخيره، أيديولوجيا، من جهة أخرى))[٦]

وبين كل تلك المعمعات فإن من الكتاب العرب مـــن يـــرى أن مسألة الثقافة العربية لايمكن تجديدها طالما أن النصف الآخر من العـــالم مجهول ولايشارك أو محروم من المشاركة والنصف الآخر من العالم هـــو النساء ويقول(عبداللطيف اللعبي):

---

[٥]حنفي، حسن، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي ، ص١٢٥دار قباء القاهرة.١٩٩٨،

[٦] غضيب ، هشام هل هناك عقل عربي، قراءة نقدية لمشروع الجابري،ص ،١٣٩،٣٢ ،١٧٧ دار التنوير العلمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، ١٩٩٣.

((إن تجديد المشروع الثقافي لن يكون جديراً بالفعل وتحررياً بالفعل إلا إذا تم إشراك ذلك النصف من السماء أو النصف المحتجب من الأرض الذي تشكله النساء...فمصلحة النساء في التحرر والتغيير والتجديد ،تفوق موضوعياً مصلحة الرجال))

أما هشام غصيب، فإنه كتب في عام(١٩٩٠م) قائلاً:

((إن أيديولوجية الرجل تختزل صورة المرأة أما إلى عضو تناسلي متحرك، وإما إلى مصنع للأطفال...وظلت هذه النظرة مهيمنة منذ بدء المجتمع الطبقي، حتى يومنا هذا، حيث أن وضع المرأة العبودي في العائلة النووية لم يتغير جذرياً))[٨][*]

من هذا المنطلق تأتي أهمية المرأة في الثقافة الشرقية، وكانت ومازالت (نوال السعداوي) ترى أن المرأة وحدها هي التي ستعيد للمرأة عصرها، وحول هذا الموضوع قال(هشام غصيب) منتقداً نوال السعداوي في كتابها(الوجه العاري للمرأة العربية) حيث قالت :(أن تحرر النساء سيأتي على أيد النساء) أما(غصيب) فإنه لايرى عكس ذلك بقدر مايرى أن هنالك ضرورة حتمية لإشراك مجتمع الرجال[٩].

والمرأة في الثقافة الشرقية لاتشكل النصف وإنما (الكل) لأن من سيتابع معنا موضوع الكتاب فإنه سيجد، أن مجمل، التعبيرات الثقافية، ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالمرأة وبوظائفها البيولوجية وإن كلمة ثقافة المشتقة باللغة الإنكليزية من كلمة

---

(٨) غصيب، هشام، ثقافتنا في ضوء تبعيتنا ص ،٦٦ دار التنوير العلمي، ١٩٩١م.

(*) يبدو أن نظرة هشام غضيب مستمدة من الكتاب العرب الإشتراكيين في فترة الستينيات من الألفية المنصرمة١٩٦٠م.

(٩) غصيب، هشام، المصدر السابق، ص ٧٤.

(culture) تقابلها باللغة العربية كلمة(فلاح،فلاحـــه،مفلحون،فالحون، فالح) وقد إستخدمها العرب قبل عصر النهضة في اروبا بخمـــسة عـــشر قرن.

ويضيف الباحث الأردني (محمد ناجي عمايرة)[*] تعريفاً جديداً أو مفاهمياً جديدة ويقول أن كلمة (cultore) لاقت جدلاً وتعريفـــات كثيرة في أوروبا واستعملها الفرنسيون في القرون الوسطى للدلالة علـــى الطقوس الدينية والباحث(محمد ناجي عمايره) ينقل لنا مفاهمياً المانية من العصر الرومانسي تتفق مع ما قلناه عن سلامه موسى.

وبهذا فإن (سلامه موسى) يكون محقاً بعـــض الـــشيء حـــول تعريفه.

---

[*] عمايره، محمد ناجي، الثقافة والتنمية ، مجموعة باحثين، منشورات وزارة الثقافة ، عمان- الأردن،٢٠٠٥.

الفصل الأول
البداية

بدأ الإنسان يمشي منتصب القامة على هذه الأرض قبل حـــوالي ٤ ملايين سنة[١] ، وهذا يعني انه قبل ذلك لم يكن منتصب القامـــة و لم يكن فكه الأمامي متقدماً على حلقه بهذه الصورة التي نراها اليوم كأنها اجمل ما تكون وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علـــى عـــدم معرفـــة الإنسان بالنطق في ذلك الوقت حين لم يكن منتصباً كما هو الحال هذا اليوم و لم يكن الإنسان يعرف النطق أي انه لا يستطيع مع تأخر فكه أن ينطق حروف معجم العين وغيره من المعاجم ذلك أن النطق بحاجـــة إلى تقدم الفك كما هو الإنسان اليوم إذ أن هناك حروف تعرف على إنهـــا (حلقيه) خارجة من الحلق وحروف خارجه من الشفتين مثـــل (البـــاء، الميم،الواو)والحروف الحلقية مثل (العين،الحاء.....) وبهذا لا نستطيع أن نعرف الإنسان في تلك الفترة على أنه (حيوان ناطق) أوانه متميز عـــن غيره بالنطق، وبهذا المعنى فأن الإنسان الشرقي والغربي والشمالي والجنوبي كانوا جميعاً لايعرفون النُطق ويدبون على هذه الأرض وهـــم ينعمـــون بخيراتها و لم تك في تلك الفترة من–٤ ملايين إلى ما قبل مليـــون ســـنه– اتجاهات فكريه أو طبقات اجتماعيه أو مذهبيه .

أما قبل مليون سنه فقد بدأت تظهر بعض الآثار الدالــــة على

---

[١] ولديمار جانسون ، هورست تاريخ الفن، ترجمة عصام التل ورنده قاقيش، شركة الكرمـــل للاعلان ط١– ص ص ١١.

الإنسان الأول المستخدم للأدوات بأشكال بسيطة كما يفعل أو تفعل بعض المخلوقات في العصر الحاضر مثل بعض أنواع(ثعالب البحر) [٢] ولكن قبل (٣٥٠٠٠) خمسة وثلاثين ألف عام قبل الميلاد مع بداية العصر الحجري القديم بدأ الإنسان يستخدم الأدوات بشكل مكنه من دخول (عصر الفن) وصنع الأواني الفخارية من(أجل الخصوبة)وليس من (أجل الفن) وهي الشعائر الدينية البدائية.وان الإنسان الذي عاش من ٣٥٠٠٠ عام إلى (٧٠٠٠) عام قبل الميلاد هو الإنسان المعروف بالإنسان الحجري من هذا المنطق فإن الإنسان يعرف علمياً حسب استخدامه للأدوات فبداية استخدام الحجارة هو انسان العصر الحجري وبداية استخدام البرونز هو إنسان عصر البرونزي وكذلك استخدام الحديد....إلى العصر الحاضر علماً أن هذه الصناعات من اختراع المرأة وليس الرجل، إذ أن المرأة بدأت منذ (٣٥٠٠٠) ألف عام تطور حياة الإنسان من العيش بالكهوف وتسلق الأشجار إلى العيش في بيوت ومجتمعات زراعية حليفة، والمرأة أول من اخترع الصحن من لحاء الشجر والنقش واللغة.

ولقد عاش الإنسان على وجه الكرة ألارضيه أكثر من (٩٩٠ألف سنه)[٣] وهو جامعٌ للثمار وصياد ،وأكثر من(٩٩٠ألف سنة) عاشها الإنسان وهو لا يعرف الزراعة ولا تدجين الحيوانات إلا متأخراً جداً وبالتالي فإن هذا مؤشر طبيعي على أنَّ الإنسان الذي عاش ما يقرب (٩٩٠ألف عام) دون منة"من أحد يأكل من البراري

---

[٢] فارب،بيتر بنو الانسان،مجلة المعرفة ترجمة زهير الكرمي،عدد٦٧/١٩٨٣ص٧+ ٨ .

[٣] فارب بيتر بنو الانسان- المرجع السابق-ص٥٢.

ويصطاد منها أيضا"وبالتالي فان الفروقات الاجتماعية معدومة الــشكل والطبقات الاجتماعية معدومة نهائياً وهو ذلــك العــصر المــذكور في الديانات السماوية الشرقية بـ (الفردوس المفقود) أو الفردوس الضائع وهذا مؤشر آخر على عدم التمييز بين الإنسان الذكر، والإنسان الأنثى والاستقرار الاجتماعي كان معدوما" لدرجة عدم معرفة مفهوم العائلــة والقبيلة والعشيرة.....الخ.

وبعبارة أوضح: -كان الإنسان قديماً لايميز بين أي أحــد مــن أبناء جنسه،وكلما تقدم علمياً كلما ظهرت بينه وبين الآخرين فــوارق إجتماعية لأن التقدم العلمي زاد من أهمية معرفة الإنسان بنفسه وبــنفس الوقت أعطى التقدم العلمي للإنسان محاولات ناجحة مكنته من السيطرة على أبناء جنسه ومكنته أيضاً من السيطرة على موارد الطبيعة لذلك:

- كلما تراجعنا بالتاريخ للوراء كلما كانت الفروقات الاجتماعيــة أقل، وكلما تقدمنا كلما كان هنالك فروقات وطبقــات إجتماعيــة متباعدة عن بعضها البعض ولكــن لــن ننــسى أن التقــدم العلمــي والطبقي،ساعد الإنسان كثيراً في التعرف على آليات جديدة زادت مــن طول عمره وبقاءه وسعادته.

مفهوم العائلة
Family

وأن أول مفهوم (للعائلة)عرف بسبب الالتقاء المنفعي بين الـــذكر والأنثى وذلك لتقاسم ما حصلت عليه الأنثى من (ثمار)[٤] على اعتبـــار أنها هي جامعة الثمار، واقتسام ما حصل عليه الإنسان الـــذكر وكـــان الرجل في وقتها يخاف من المرأة لأنها تحيض وتلد وكان يجهـــل أن لـــه علاقة بالإنجاب وهذا السبب طوّر مفهوم المرأة الخالقة وهـــذا هـــو أول تقسيم وظيفي بين المرأة الأنثى والرجل الذكر، وهـــذا كلـــه بـــسبب اختلاف بيولوجي كبير بين المرأة الأنثى والرجل الـــذكر، ولأن طبيعـــة الحوض عند الرجل أضيق منه عند المرأة الأنثى بـ($30^{\circ\circ}$) فأنه تفـــوق عليها بسرعة العدو[٥] والهرب بسرعة من الحيوانات المفترسة واعتقد إن هذا هو السبب الذي أدى بالتالي إلى نعومة الأنثى وخشونة الذكر ويرى مؤلف كتـاب (بنو الإنسان) (انه ليس من الحكمة تعـــرض الإنـــاث للخطر مع صيد الوحوش لأنهن ينجبن الذكور)[٦] وبالتالي بقيت المـــرأه جامعه للثمار لان طبيعة الحوض عندها أوسع من الذكر.

ولتدعيم هـــــذا الكلام النظري، فقـــد جـــاء في الموســـوعة الطبية[٧]، أن الإنسان تطـــــور من مشية انحناء الركبتـــــين إلى مشية الإنسان الحديث الرشيقة، وهذا هو الذي أدى إلى تغير شكل الحـــوض وحلـــت بالقدم وإبهـــام الرجـــل بعـــض التعـــديلات، وكـــــذلك

---

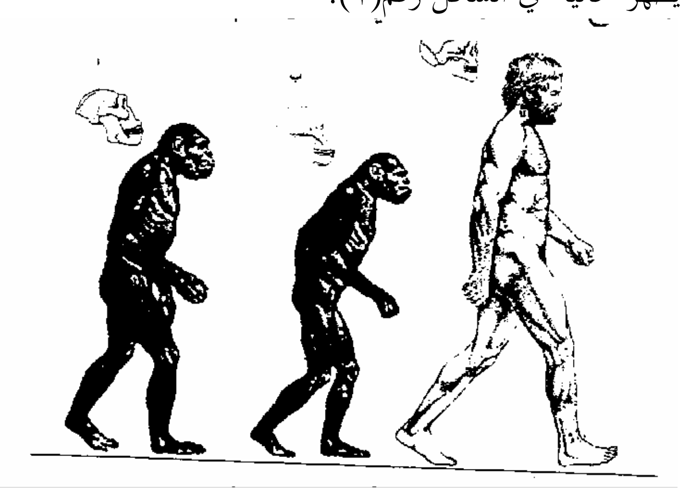
[٤] فارب، بيتر بنو الانسان- المرجع السابق-ص٤٧-٤٨

[٥] فارب، بيتر بنو الانسان-المرجع السابق - ص٤٦-٤٧.

[٦] فارب، بيتر بنو الانسان-المرجع السابق -ص ٤٦-٤٧.

[٧] الموسوعة الطبية هذا الانسان ج٢-ط٢ بهجة المعرفة ص٢٤-٢٥ موسوعة علمية مصورة.

تغيرت اليد بحيث اصبح الإنسان قادرا" على الالتقاط بالإبهام والأصـــابع كما يظهر حاليا" في الشكل رقم(١).



وجاء في الموسوعة، أن الشرق الأدنى هو المكان الذي خطا فيه الإنسان خطوته الثانية، حيث سيطر الشرقيون الأوائل على بداية تدجين الحيوانات، ونشأت الزراعة خلال العصر الحجري الحديث ويعود عهـــد المدن اليها ومنذ ذلك الوقت أخذ سكان العالم بالتزايد[٨].

لذلك نستطيع أن نجـــــزم أن الإنسان لم يولـــــــد وفي فمـــه ملعقة من ذهب ، فقد نشأ الإنسان البيولوجي وبعد ذلك تطـــور عـــبر مراحل عدة وما يسمى بالانتخاب الطبيعي ، وهـــذا أدى بـــدوره إلى انتخاب ثقافي وحضاري آخر كما يقول (أر نلد تويبني) في نظريته عـــن (التحدي والاستجابـــــة) وبعد ذلك تطـــور (الإنسان الإيديولوجي)

---

[٨] الموسوعة الطبية هذا الانسان ص ٣٩-نفس المصدر.

ظهرت الفروقات الاجتماعية بسبب تطور وتقدم وسائل الإنتاج البدائية فلقد استخدم الإنسان(النحاس الأحمر)[٩] أولاً ثم طور بعد ذلك مزجه (بالقصدير) لينتج(البرونز) والصناعة البدائية من المعادن هي التي أدت إلى ظهور طبقات اجتماعية مثل (السماك، القناص،والمحارب ،وجابل الصوان، والطيان....الخ)[١٠] فصار الناس ينظرون إلى هذا على أنه سماك، وهذا على أنه محارب ، وهذا صياد.......الخ ولكن الفروقات الاجتماعية بين الذكر والأنثى لم تكن معروفة بعد، وكلما تقدم الانسان علمياً وصناعياً كلما اصبح بينه وبين من لا يتقدمون عليه فوارق اجتماعيه وطبقية وعندما اندثرت حضارة أو عصر (إنسان النانيدرتال) نحو (٣٥٠٠٠) منذ ذلك الوقت تقريباً إلى (١٠،٠٠٠-٧٠٠٠ق.م) بدأت تظهر بدايات الحضارة العالمية عبر بزوغ نورها من الشرق الأوسط أو قل من الشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض المتوسط مهبط الوحي ومهبط الديانات السماوية، حيث بدأ هنا الإنسان يتعاطى بالزراعة ويدجن المواشي، وبدأ الاستقرار، بسبب تدجين بعض الحبوب الزراعية وبعض الحيوانات، وأصبح الإنسان يعامل نفسه كما يعاملها من حيث، الاستقرار، وتدجين الإنسان لنفسه .لأنه أصبح يلازم المواشي ويلازم المزروعات الزراعية وبذلك اصبح يعمم على نفسه وعلى الآخرين مفهوم التدجين والاستقرار والملكية الفردية، ولهذه الإنسباب إكتشف الإنسان أنه مسؤول عن الإنجاب مثله مثل

---

[٩] الباش، حسن ،الميثولوجيا الكنعانية، والاغتصاب التوراتي دار الجيل دمشق١٩٨٨م ،ط،١ ص ٢٠-٢١

[١٠] داروين ، تشارلز، اصل الانواع، ترجمة اسماعيل مظهر، مكتبة النهضة بيروت،١٩٧٣من مقدمة المترجم

المرأة وذلك عن طريق مراقبته للحيوانات جنسياً ، ولهذا الأسباب بـــدء مفهوم العائلة بالإنتشار ولكن كلمة عائلة ، لم تكن معروفـــة إلا في دولة المدينة اليونانية وكان كلمة (Family) تطلق أولاً على مجموعـــة العبيد الذين ينحدرون من أمٍ واحده وأب واحد. وبـــدأ أول ازديـــاد سكاني ملحوظ في العالم قبل انتشار مفهوم العائلة، فقد بلغ عدد سكان الشرق الأدنى عام(١٠٠٠٠ق.م)(١٠٠)مائة ألف نسمة تقريبـــاً وازداد بعد أربعة آلاف عام بزيادة ملحوظة حيث ارتفـــع عـــام(٦٠٠٠ق.م) ليصل إلى (٣) ثلاثة ملايين نسمه وهذا أن دل على شيء فأنه يدل على الاستقرار السكاني في الشرق الأدنى[١١]، بسبب ظهـــور الزراعـــة [*]أو الثورة الزراعية البدائية التي لم تصل في ذلك العصر إلى مستوى فـــائض الإنتاج المطلوب إلاَّ قبل مائة عام أو خمسين عام من تأليف هذا الكتاب، لقد كانت تموت قرى كاملة ومدن بسبب ارتفـــاع عـــدد الـــسكان وانخفاض مستوى فائض الإنتاج، كما حدث في الصين عام ١٩٣٠ بعد الميلاد وهذا يدل دلالة ثابتة على أن فائض الإنتاج هو المـــسؤول عـــن ازدياد عدد السكان ففي الوقت الذي ظهرت به الزراعة قبـــل المـــيلاد كانت نسبة عدد السكان في العالم موزعة على حسب إنتاج المـــزارعين وحسب مواقع الخصب والمياه أما الزيادة الهائلة لسكان العالم فإنها بدأت قبل مائة عام تنفجر مثل القنبلة بسبب تطور الوسائل الزراعية الحديثـــة وتطور الصناعات العلفية، وظهور المزارع التي عملت على توفير حليب

---

[١١] ارجع حول ذلك:

-فارب ، بيتر، بنو الانسان ، المرجع السابق ص ٨٩.

-الموسوعة الطبية هذا الانسان،المرجع السابق.

[*]يبدو زن هذه قليل جداً قياساً مع النمو السكاني في العصر الحاضر.

الأطفال والطيور اللاحمة وبيض المائدة والفضل في ذلك يعود إلى تحسين الصناعات العلفية ودخول الآلة الصناعية الزراعية إلى مواقع الزراعة،لذلك فإن هذه التغيرات عملت على تأسيس العائلة غير النووية بسبب إنتشار مفهوم التدجين والإستقرار ،ونقصد بذلك العائلة الاجتماعية الخاضعة لسلطة الأم ،ولكن إنتشار مفهوم العائلة النووية بداء مع بداية معرفة الإنسان أنه مسؤول عن الإنجاب مثله مثل المرأة.

مهد الحضارة

لذلك من الخطأ أن نعتبر إن الثقافة العربية بدأت قبل الإســـلام بمائة عام أو مائتي عام، ونعمم هذا المفهوم على الثقافة الشرقية متجاهلين دورنا الحضاري الكبير وأثره في العالم القديم .

ولربما أن مدن الأموات نشأت قبل مدن الأحياء أوقل أن مدن الأموات بدأت قبل قرى الأحياء فقد عثر في عـــام (١٩٦١م) علـــى قريـــة في الأناضول أقدم من مدينة(أريحا)[١٢] بـــ (ألف عام) وهـــي (نيولوثيـــة-العصر الحجري الحديث) والمهم في الموضوع أن بيوتها ملاصقة لبعـــضها البعض وليس لها أبواب حيث كانوا يدخلونها من السقف ؟ وهذا يشبه في العصر الحاضر بناء القبور وبالتالي فإن الأحياء احترمـــوا الأمـــوات واستقروا إلى جانبهم كما يقول مؤلف كتاب(بنو الإنـــسان)، وان أول مظاهر الحضارة لدينا في الشرق الأدنى تعود إلى ســـنة(٩٠٠٠ق.م) في جنوب الأردن ،إذ عثر في منطقة البيضاء هنالك علـــى بقايـــا حبـــوب مدجنة وبقايا عظام ماعز تعود إلى الفترة نفسها وهـــي(٩٠٠٠) قبـــل الميلاد، وتبعتها بعد ذلك أريحا في فلسطين، وجارموا في العراق كـــل تلك المدن تعود إلى نفس الحقبة التاريخية ،ولا بد أن كل هـــذا الـــذي ذكرناه يدل دلالة واضحة على نبض الحياة في الشرق الأدنى من حيـــث جمع القوت لفترة تمتد نحو (٩٩٠ ألف سنة) استمر الشرقيون يجمعـــون قوتهم ليس على ما (يشتهون) ولكن على مبدأ(هذا الموجود) وبطبيعـــة الحال فإن الفروقات الاجتماعية في تلك الفترة معدومة بـــين الرجـــــل

---

[١٢] ولديمار،جانسون،هورست،عصر الفن ، ترجمة عصام التل ورنده قاقيش ج.١

والمرأة وبين الإنسان والإنسان الآخر ، ذلك انه لا توجد فوارق اجتماعية في مجتمع جمع القوت ،لان الناس سواسية والعدالة موجودة بسبب ضعف أجهزة التحكم ذلك أن الإنسان فقد العدالة منذ بدأت الحضارة بالانتشار أو قل منذ بدأ الرجل يحكم العائلة لأن قيم الظلم ومفاهيم الحرب والاستبداد هي من صنع نماذج لعقليات ذكورية فمنذ ذلك الوقت بدأت أجهزة التحكم الإدارية تقسم الثروات بشكل غير عادل وليس في هذا إجحاف أو ظلم كما يعتقد الأدباء والفلاسفة ولكنها من سمات الرجل الحاكم لأن قيم العدالة هي من صنع المرأة الأنثوية في الشكل والجوهر، إنها سمة الحضارة وبؤس الحياة فمنذ (٣٥٠٠٠) خمس وثلاثين ألف عام قبل الميلاد إلى (١٠٠٠٠ق.م) والإنسان يعيش في كهوف ولا يعرف إلا جمع القوت وهذا مؤشر على وجود طبقة اجتماعية واحدة حتى أن مفهوم العائلة في تلك الفترات غير موجود على الإطلاق أوان (الأب الاجتماعي) كان موجوداً بدل الأب البيولوجي بسبب الاتصال المنفعي مع الأنثى جامعة الثمار ويمكن أن يكون هذا هو الشكل البدائي للعائلة وأن عدم معرفة الإنسان في بداية الأمر بـ (النحاس اللين) ومن ثم (البرونز) و(الحديد) يدل عدم وجود طبقة اجتماعية من العمال أو (اليد العاملة) أو (الصناع) وهذا كله أدى إلى تأخر ظهور النظام السياسي الطبقي ألا في[*] عصور ليست ببعيدة عنا، وبالتالي

عاش الرجل ٢٥ الف عام وهو يعلم أن له علاقة بانجاب المرأة للأطفال وربما عاش في اسرة كأب اجتماعي وليس بالضرورة أب بيولوجي[*]

[*]انظر صفحة ١١٦ من هذا الكتاب

فإن الرجل والمرأه عاشا في مجتمعات جمع القوت جنباً إلى جنب دون ظهور أي فوارق اجتماعية ، وهذا الكلام يدغدغ خيال الماركسيين حيث انهم يطالبون أحياناً بالعودة إلى النظام القديم ، من حيث تعميم مفهوم المشاعات القروية البدائية وتجاوز مفهوم الملكية الفردية ، وأعتقد أن هذا الكلام مستحيل على اعتبار ،أن نمط الحياة القديم كان يخلوا من الصناعة والتجارة ، وبطبيعة الحال فإن غياب هذه الأدوات هو الذي عمم مفهوم المساواة بين أفراد المجتمع وذلك عبر غياب طبقة الصناعيين والبنائين والمزارعين والتجارة وانه من البديهي جداً مع غياب هذه الطبقات ، أن تكون المساواة بين الرجل والمرأة لازبة الوجود أو واجبة الوجود ، لذلك فإن غياب التقدم الزراعي والصناعي والتجاري وغياب نظام الاقتصاد النقدي هو الذي كان يساهم بتأخر ظهور نظام الطبقات الاجتماعية لأن غياب الصناعات أدى إلى غياب موضوع التسابق على تراكم الثروات.

ولقد اشتركت كافة شعوب الأرض البدائية مع بعضها البعض بأساليب الحياة من حيث التشابه الصناعي الذي عكس مفهوم الطبقة الاجتماعية الناتجة عن نوعية الصناعة وعن الأدوار التي يؤديها أفراد المجتمع ذلك أن صناعة الفخار في بداية الصناعية كشف عن (طبقة الفخاريين)[١٣] وصناعة الحديد كشفت عن (طبقة الحدادين) وأدوات الصيد هي أيضاً كشفت عن (طبقة الصيادين) وهؤلاء الصيادون هم أول من أسس (طبقة المحاربين) أو(الجيش النظامي) وتحولت بعد ذلك أدوات صيدهم إلى) أدوات حرب)

---

[١٣] داروين، تشارلز اصل الانواع -المرجع السابق- ص مقدمة المترجم.

وقتل وتدمير لأغراض السيطرة وتطبيق مفهوم الغالب والمغلوب كما سنرى لاحقاً في ملحمة (ألا ينوما – ايليش- عندما في الأعالي) ويجب على دارس أي شعب من الشعوب أن يعي بأن الظواهر الاجتماعية تتكرر مثلها مل الظواهر الجيولوجية والبيولوجية، وان الإنسان الشرقي من حيث وظيفة كل من المرأة والرجل لا يختلف عن الإنسان الغربي شريطة توفر أسلوب حياة ومعيشة مشترك فمثلا الانسان الشرقي البدائي لا يختلف عن الانسان البدائي الغربي بمعنى أن صانع الفخار والحداد والصياد لا يختلفون في اسلوب حياتهم عن بعضهم البعض ، كما هو معروف اليوم فأن الطبيب أو مهندس الكمبيوتر لا يختلف عن أي مهندس آخر في أي بلد أخر ولكن من الملفت للنظر أن طرائق الحياة وتعددها المتشابه مع أي شعب أخر قد لا يولد نفس الطبقات الاجتماعية وبمعنى آخر أن طبيعة البناء الاجتماعي والفكري لإنسان عاش في الألفية الثالثة قبل الميلاد قد لا يتشابه مع انسان آخر عاش أو يعيش في بقعة أخرى من الأرض وقد تجد أن إلاختلاف الفكري أو البناء الاجتماعي للاثنين غير متوازن أو متفق ، وهذا ما يسميه علماء الاجتماع بظاهرة (التخلف)[١٤] كما سنرى لاحقاً في مجتمعاتنا الحديثة . غير أن هذا التعميم لا نجده إلا في المجتمعات سريعة التطور كما هو الحال اليوم أما في مجتمعات ما قبل الميلاد فإن الصناعات البدائية واحدة والطبقات الاجتماعية واحدة تمتاز ببطء النمو الديموغرافي وتجد الذكر والأنثى في كافة المجتمعات القديمة ما قبل الميلاد، ذات خصوصية واحدة من حيث المجتمعات الشرقية قبل الميلاد

---

(١٤) النوري،قيس، البطل في التراث –ط١ ١٩٨٨–هيئة كتابة التاريخ.

بالاف السنين كانت جميعها من المحـــيط إلى الخلـــيج تتغـــذى علـــى (الجذور،والدرنات) ليس في ذلك المجتمع فضلُ لأحدِ على أحد ، وهذا بالطبع لا يعود إلى تنظيم اجتماعي محكم بقوانين إدارية وعسكرية ولكن لأن الحياة هكذا يعيش الإنسان ويأكل من غير تعب أو خوف أو منـــة من أحد وحين بدأت أجهزة التحكم الإدارية تظهر وتقـــسم الثـــروات بشكل غير عادل عندها فقط بدأت تظهر الفروقات الاجتماعية.

من البساطة إلى التعقيد:

كلما تقدمنا تاريخياً في عمر الإنسان على الأرض كلمـــا ازدادت المسألة تعقيداً على تعقيد، وكلما رجعنا في عمـــره إلى الـــوراء كلمـــا ازدادت الحياة وضوحاً وبساطه على وضوح وذلك بسبب قلة وســـائل الإنتاج وقلة المتطورات الصناعية وغير الصناعية وهذا مؤشر علـــى أن الإنسان القديم[١٥] جداً كان يعيش بسلام وطمأنينة اكثر من الإنـــسان المتحضر أيام كانت السيادة للمرأة الأنثى فكلما ازداد الإنسان تحـــضراً كلما ازداد خوفه واضطرابه العاطفي والجسدي، بسبب تعقد الصناعات التي خلفت أنظمة اجتماعية معقدة من صنع الرجال، فلقـــد عرفنـــا في الفصل السابق أن الإنسان الذكر والإنســـــان الأنثى عاشا جنبـــاً إلى جنب حـــتى أواخر العـــصـــر الحجري الحديـــــث دون أي خـــرقِ اجتماعي بينهما، ولربما يستغرب القـــــارئ إذا عرف أيضـــا أن نظام الـــــرق كان من صنع الإنسان المتحضـــر والمثقـــــف ، وليـــــس من صنع الإنسان الحجري القديم كما يقول مؤلف كتـــــاب (الـــرق

---

[١٥] الترماني، عبدالسلام الرق ماضية وحاضره، عالم المعرفة عدد ٢٣.

ماضيه وحاضرة) في مقدمته لطبعته الأولى ، فكلما أوغلنا في القدم ازدادت معرفتنا بالإنسان وطرائق تعاملهْ مع أبناء جنسهْ. وكلما اتجهنا نحو التقدم كلما ازددنا جهلاً وتعقيداً بالإنسان ، وأنها ظاهره لاحظتها منذ بدايات معرفتي بالثقافة الشرقية ، ولا ادري لماذا يختار الإنسان التعقيدات وبنفس الوقت يحن إلى الوراء تحسراً على ايام البساطه كما هو الحال اليوم ، ولعل هذا المفهوم هو السائد منذ بدايات التكون الثقافي الشرقي وأول تحسر للإنسان الشرقي كان على (الفردوس المفقود) الذي غدا حتى اليوم من أكبر الاحجيات الرمزية أو تحسراً على أيام (الفردوس الدائم) ، وهي الأيام التي كان بها الإنسان يعيش في مستوى الاكتفاء الذاتي في الشرق الأدنى أيام كان عدد سكان الشرق الأدنى لا يزيد عن مائة الف نسمة يطارد خلالها الطرائد ويعيش على والجذور والدرنات في بقعة تمتد من رأس البحر الأحمر في العقبة إلى مرتفعات تركيا على الحدود العراقية التركية ومن ثم من حوض البحر الأبيض المتوسط في لبنان وفلسطين

حوالي ١٠٠ بيلون إنسان عاشوا على وجه الأرض حتى الأن، منهم ٩٠ بيلون عاشوا على الزراعة و ٤ بليون فقط عاشوا في مجتمع الصناعة

إلى الحجاز العربي أوالخليج العربي على أبلغ تقديره، وفي تلك الفترة لم يواجه الإنسان بيئة معادية في الشرق الأدنى بل بيئة حليفة له منذ نزوله من الكهوف إلى البيوتات الصغيرة وهذا على أقل تقدير منذ(٣٥،٠٠٠) قبل الميلاد إلى(١٠،٠٠٠ق.م) لم يتعلم بها الإنسان الحاذق أي طريقة لمواجهة ظروف الحياة ،لذلك نجد الذكر والأنثى في نعيم دائم ليس لأحد

فضلا" على أحد ، وانه أو قل ربما عاش على وجه الأرض منذ بداياتـــه أكثرمن مائة بليون نسمة يعتقد علماء الإجتمـــاع أن مـــا نـــسبته ٦% مزارعين و٤% عاشوا في مجتمعات صناعية[١٦]، ويبقـــى ٩٠% منـــهم عاشوا على (جمع القوت) أي جمع الثمار وليس إنتاجها، أي أنهم عاشوا في بيئة استهلاكية وغير معادية توفر للإنسان حاجياته من غير تعـــب ، وأن هذه النسب المتفاوتة جدا" تدل على الفترة الطويلة الـــتي عاشـــها الإنسان مستهلكا للطبيعة في الشرق الأدنى ، وان ما نسبته٦% كـــانوا زراعيين هو دليلُ قوي جدا" على تأخر بدايات الثورة الزراعية ، إذ أنـــه ليس بالبعيد جدا" اكتشاف الإنسان للزراعة، وهذا يعني أن الحاجة إليها لم تك ذات أهمية نظرا" لتوفر فرص الحياة بكثافة لم يتعـــرض خلالهـــا الإنسان الشرقي إلى ما يعرف اليوم بـ(تناقص المردود) أو نفاذ المخزون أو (المحل) ، وانه منذ عشرة آلاف سنه قبل الميلاد بدأ الإنسان في الشرق الأدنى يفكر بالاستقرار، ومواجهة الظروف القاسية ، ذلك وانـــه مـــن (١٢,٠٠٠-١٠,٠٠٠ق.م) بدأت البيئة في الشرق الأدنى تعامل الإنسان الشرقي معاملة عدائية وبدأ هو أيضا"الإحساس بالجوع ونقص المـــردود بسبب التغيرات المناخية والانقلابات المفاجئة وتزايد عدد السكان بسبب مفهوم التدجين والاستقرار على مصادر المياه في كل من ارض الرافدين (دجله- الفرات) (والنيل) في أفريقيا ولا بد أن الحريات الجنسية والعيش مع آباء اجتماعيين في تلك الفترة ساهم في هذا الموضوع إلى حد كـــبير بزيادة عدد السكان إذ أن مفهوم (التابو) أو المحرمات لم يكن منتـــشرا" نظرا" لضعـــف مفهـــوم الملكية الفرديـــة وضعـــــف تعميمهـــا

---

[١٦] فارب،بيتر ، بنو الانسان المصدر السابق، ص.٥٢

وكان عدد السكان قليل جداً بسبب الوفيات الناتجة عن سوء التغذية وقلة الإنتاج الغذائي وفائض الإنتاج وبالتالي نستطيع القول:

-أنه بسبب تغير البيئة بدأ الإنسان يفكر بالزراعة.

-وبسبب الثورة الزراعية البسيطة جداً بدأ الإنسان في محاولة الاستقرار حول الأراضي الزراعية.

-وبسبب الاستقرار الزراعي بدأ الإنسان يُدجن الحبوب ، ومن ثم يُدجع الحيوانات ألاليفه.

- وبهذا اصبح بمقدور الإنسان أن يبدأ ولأول مره في الشرق الأدنى بمحاولة المحافظة على البيئة وتعميم ملكيتها له والذي يدل على ذلك أيضا هو الازدياد الملحوظ لعدد السكان في الشرق الادنى حيث ارتفع من ما نسبته مائة ألف في عام (١٠٠٠٠ ق.م) إلى ثلاثة ملايين نسمة عام (٦٠٠٠ ق.م) وهذا كله بسبب مفهوم الاستقرار الزراعي وبدايات التدجين، ومن الملفت للنظر أيضا" أن عدد السكان لم يك متزايدا" أيام (الفردوس) أي أيام (جمع الثمار) أو (جمع القوت) وذلك بسبب الهجرات المتكررة بحثا" عن الطرائد لأنها هي أيضا" تهاجر سنويا" ، وبسبب هجرة الحيوانات كان الإنسان يهاجر وراءها بحثا" عنها ، ولكنه بعد الألفية العاشرة قبل الميلاد بدأ بتربيتها وتدجينها بدل الهجرة وراءها ومطاردتها ، حوالي (٧٠٠٠-٣٠٠٠ق.م) غير أن عدد الوفيات بقي على ما هو عليه بسبب سوء التغذية وسوء الرعاية الصحية.

وهناك قصة مرسومة على نقش سومري يعود إلى الألفيه الرابعة قبل الميلاد وقبل عصر الكتابة بألف عام تصور رجلاً وامرأة وبينهما شجرة نخل وخلف المرأة أفعى تهمس للأنثى وهي مادة

يدها والرجل ماد يدهُ إلى الشجرة ومن هنا بدأت الحياة تصعب على الرجل الشرقي والمرأة الشرقية ، وبدأ الإنسان الشرقي فصلاً مؤلماً جداً من حياته أعطاه فرصةً جديدة ليبدأ أسلوباً جديداً في حياته ؟ يعتمد على التعب والجهد وأيام عمل طويلة ، وللتغير الجيولوجي اكبر أثر على الإنسان الشرقي ، إذ أنه منذ (١٢٠٠٠ ق.م –٨٠٠٠ ق.م) انسحب النهر الجليدي[١٧] وتشكلت ظاهرة الحزام الناقل وهذا أدى إلى تغير مفاجئ في المناخ الشرقي ،أدى إلى تطور أنظمة جديدة تعتمد على التدجين وعلى الإنتاج الزراعي بشقيه ، الحيواني والنباتي وللتغيرات هذه خاصية وهي:- الها أولاً :- بطيئة الحركة من حيث تحولاتها الديموغرافيه ، وثانياً أنها :- بطيئة الموت والتلاشي من حيث إحلال أنظمة اجتماعية بديلة عنها .

وهذه حقيقة ما يميز العصور القديمة عن العصور الحديثة بتناسب عكسي جداً فمثلاً :- تظهر اليوم التغيرات الاجتماعية سريعاً وتظهر في كل يوم أنظمة وابتكارات جديدة سريعة الحركة وسريعة الموت والتلاشي ، وهذا يظهر من خلال الحركة السريعة للصناعات والأحداث وهذا ما يشبه فعلاً الدولاب الذي يسير ، أسرع... ثم أسرع ... ثم أسرع أسرع لذلك فأن حركة التطور من (١٢٠٠٠ ق.م) إلى بداية عصر النهضة والإصلاح الديني في أوروبا بعد الميلاد كانت تمشي ببطء شديد" وهذا يفسر لنا سبب تأخر

---

[١٧] ساكز، هاري–عظمة بابل–ترجمة عامر سليمان –ط٢ ١٩٧٩م ص ٢٦–٢٧.
–خياطة–محمد وحيد–فجر الحضارة في سومر –دار الحوار –سوريا اللاذقية ص ١٥.
–هوك–ديانة بابل وأشور–العربي للطباعة والنشر ط١–١٩٨٧ ص ٣١ ترجمة نهاد خياطة.
–الأحمد–سامي سعيد–المعتقدات الدينية في العراق القديم–ط١–١٩٨٨–وزارة الثقافة العراقية ص٩.

اكتشاف(الخبز) في أريحا ومن ثم (الشعير)[١٨] فقد بدأ في هـذا المنـاخ الذي اصبح جافا" تدجين حبوب القمح والشعير في كل من (أريحا) في فلسطين و(البيضاء) في جنـوب المملكـة الأردنيـة قبـل حـوالي (٥٠٠٠ق.م) وقد سبق اكتشاف الخبز عصور عديدة مثـل الحجـري القديم والحجري الحديث ، وهذا كله بسبب المناخ الجاف الذي أعطـى الإنسان درسا" قاسيا" بعد تعلقه به آلاف السنين يأكل من غير تعب .

ومنذ ذلك الوقت ولاول مرة في التاريخ بدا الانـسان يـشعر بالعبودية للآخر ولكن هذا الآخر لا يتعدى على ان يكون هو (الطبيعة) فقد بدأ الإنسان يشعر بانتمائه لها وبدأت النواحي الفسيولوجية تنمو في اطرافه وأحاسيسه ، وبدأ يشعر بغلبة الطبيعة عليه ، وهكذا بدأ احساسة يتخلى عن مشاعر التحالف مع الطبيعة والصداقة معها وأصبح ينظر إلي نفسة على انه منتمي إلى الطبيعة وليس متميزا" عنها بل أقل منها ،ولاول مرة في التاريخ الشرقي ولاخر مرة اصبحت (المرأة) هي العضو الاكثـر فعالية من الرجل ، كان هذا في الشرق الأدنى لاول مرة ولاخر مرة منذ بدايات عصر الزراعة قبل الميلاد (٩٠٠٠إلى ٤٠٠٠ ق.م).

وان السبب في ذلك يعود إلى تشابه وظائف المرأة البيولوجية مع وظائف الطبيعة الأم (قلة الإخصاب) وندرة المحاصيل الزراعية والثمـار وانحسار مياه الأمطار والتعرض لنقص المردود ، وكل هـذه العـوارض جعلت من الطبيعة تجـاه الإنسان عـدواً يخشى الحذر منه، ولهـذا بدأت في الشـرق الأدنـى أولى (ديانـات الخصـب) والنمـاء

---

[١٨] فارب ،بيتر المصدر السابق ص ٧٦.

وقُدست الطبيعة على أنها هي خالق الإنسان بنظر الإنسان القديم ، وكان هذا على اعتبار أن الطبيعة هي (واهبة الحياة) وليس أحداُ غيرها من حيث أنها توفر للإنسان كل ما يحتاجه وما يشتهيه، وكل شيء يتعلق بالإنسان من حيث النمو والتكاثر فهي التي تعطي (القمح- الشعير - الثمر .. الخ) وهي التي تمنعه أيضا عن الإنسان في أعوام القحط والسنين العجاف ، ولقد اشتركت مع شعوب الشرق الأدنى كثيرُ أو قل كل شعوب العالم في هذه الظاهرة، ذلك- وكما أسلفنا- أن الظواهر الاجتماعية تتكرر مع تشابه ظروف الحياة ، ولكن لا مجال هنا إلا للإنسان الشرقي.

ومن أجل المغالاة في العبادة فقد ظهرت (المرأة الشرقية)[١٩] بصورة تشبه الطبيعة وبدأت المرأة الشرقية تتميز عن الرجل لأنها تشارك الطبيعة في اخطر وظائفها من حيث :-

- أولا"- قدرة المرأة على الإنجاب والإخصاب وكانت هذه الظاهرة عند المرأة بالنسبة للذكر معجزةٌ صعبة وكان الرجل لا يعرف أن له مع المرأة علاقة بالإنجاب لذلك ظهرت المرأة كأول معبود في الشرق الأدنى إذ كان يعتقد الذكر أن هذه المرأة التي تلد ما هي إلاَّ خالق لذلك أول ما عبد في التاريخ كانت المعبودات الأنثوية.

- ثانيا"- تشابه جميع وظائف المرأة البيولوجية مع وظائف الطبيعة.

وأصبحت (المراه الام) أول معبود شرقي في تاريخ الديانات الشرقية وتحول مفهوم (الجنس)[٢٠] من حاجه (بيولوجية) إلى (عباده سحريه ضرورية) وخصصت لذلك أماكن رسميه تسمى بـــ

---

[١٩] السواح، فراس، لغز عشتار، الالوهه المؤنثة واصل الدين والاسطورة-دار الكندي للترجمة والنشر ط ٣ -.١٩٨٨.

[٢٠] الربيعو، تركي علي، العنف والمقدس والجنس،المركز الثقافي العربي-بيروت١٩٩٤-ص.١٥٢.

(الهيكل) أي (المعبد) حيث مارس رجل الدين الشرقي الجنس مع المـــرأة الشرقية بدواعي طقوس عباديه وهو ما يسمى بـــ(السحر التـــشاكلي) وبعبارة أبسط ، أصبح الإنسان الشرقي في أولى الديانات الزراعية يمارس (السحر التشاكلي) مع المرأة الام من اجل تجديـــد ظـــاهرة الخـــصب والنماء، على اعتبار أن المرأة الأم هي الطبيعة نفسها وعند ممارسة طقوس الجنس فكأنما تقول – المرأة – للطبيعة:– (هيا أغدقي على الإنسان من خيراتك من مطر وزرع طالما انا المرأة شبيهتك أغدق عليه) والـــشاهد على ذلك تمثال (ربة الينبوع) الذي يعد أجمل تحفة فنيـــه تظهـــر فيـــه (عشتار) حاملة جره فخارية.



وهذه الظاهرة جرت على كل شعوب العالم الذين مروا بمرحلة الديانات الزراعية البدائية ، ومع تغير وتلاشي هذه الدانات ألا أنه حـــتى وقت قريب ما زال الكهان وهم (زعماء القبائل) يمارسون الجنس مـــع فتيات القبيلة وهذا ما يسمى عند المتقدمين منهم بـــ (حق الليلة الأولى) وتقدمت هذه الظاهرة في الأدب الشرقي بقصص رمزية كان يعتقد حتى اليوم أنها قصص(خرافيه)وفي الواقع أنها غير ذلك، فلقد روى الناس حتى وقت قريب قصصاً عن:(وحوش) يقدم لهم في كل عام (قمري) فتـــاة من اجمل فتيات القبيلة ليأكلها الوحش ، تكون فداء" عن أهل المدينـــة ، كما يظهر ذلك في قصص وروايات (حسن الشاطر) الذي دائما" مـــا تنتهي قصصه ورواياته بتخليص الأنثى وقتـــل الـــوحش ، ولا يتحقـــق موضوع الخلاص ألا بتدخل زعيم ذكري له رجولة غير عادية ، تتغلب على كل الصعاب حتى الظروف غير الطبيعية.

والأكل هنا تعبير رمزي عن (فض البكارة) ولسوف تبقى هذه الظاهرة ملحه جدا" إلى عصر ولادة المسيح، وهي التي سوف نراها فيما بعد تؤسس مفهوم (الألوهية البشرية) في نهاية كل الديانات الزراعيـــة، وفي أوروبا استمرت حتى في وقت قريب من عصر النهضة والإصـــلاح الديني، حيث كان يأخذ شيخ القبيلة العروس من عريسها في الليلة الأولى من زواجهما وغير ذلك من العادات .

* * * *

كل هذا الذي ذكرناه ليس ألا خيطا" رفيعا" بين عدة خيـــوط امتدت من بلاد الرافدين وربطت باقي الأقاليم المجاورة لها ولا نـــستطيع أن نحدد تواريخ دقيقة جدا" ذلك أن التغـــيرات كـــانت تقـــاس

بمئات أو آلاف السنين وهذا يعود كما أسلفت إلى بطء الحركة العمرانية والثقافية والفكرية والسياسية وأن التحولات الديموغرافية بطيئة بعكس سرعتها في العصر الحاضر، وان التجار بعد ذلك أبدو مهارة وخبرة عاليه بنقل الأدوات الصناعية أكثر من نقل الفنون الفكرية[٢١] ودائماً ما يكون نقل العلوم الفكرية والفلسفية متأخراً جداً بسبب عدم الاهتمام بعلم الكلام كما هو الاهتمام بالحاجيات اليومية مثل المأكل والملبس والمشرب لذا كان التأخر طويل المدى ولقد انبثق فجر الحضارة في (سومر) بنفس الوقت الذي انبثقت به حضارة (النيل) القديمة حوالي(٣٢٠٠ق.م) في كل من مصر وبلاد ما بين النهرين ، ولقد ساعدت ظروف مناخية على نشوء هاتين الحضارتين ، وأقدم ديانة كما قلنا سابقا"هي (ديانة الخصب) وهي موغلة في القدم منذ بداية العصر الحجري القديم أي عندما بدأ الإنسان يواجه بيئة معادية ومهددة لحياته. واتخذت صفة الآلهه المؤنثة أولى الإلهات عند كل الشعوب الزراعية البدائية في العالم أجمع.

وأقوى إلهه أو أقوى الإلهات هي (عشتار) وهي كوكب الزهرة وسن الإله- القمر وشمس- الشمس[٢٢]، وهذه الديانات هي كلها بسبب تأليه القوى الطبيعية والخوف منها، حتى قال أشور -بانيبال:

أني أرهب ألوهيتك، فامنحني حياة مليئة بالأيام الطوال،

---

[٢١] تاريخ الحضارات العام، موسوعة في سبع مجلدات، باشراف موريس كوزيه، الجزء الاول المشرق واليونان القديمة ل- اندرية ايمار-رجانين او بوابة، منشورات عويدات -بيروت- باريس -١٩٩٣ م ص ٢٦.

[٢٢] تاريخ الحضارات، المرجح السابق١٦٤-١٦٥.

فرحة القلب ولأني أعبدك في هيكلك دع قدمي تشيخان[٢٣]:
ومن اللازب جداً معرفته هو أن هذه الالهه ارتبطت عبادها مع نشأة (المدينة) الأولى في التاريخ أو التجمعات القروية الزراعية البدائية، وكان يعتقد حتى وقت قريب أن أول تجمع سكاني في التاريخ كان في مدينة (أريحا) على تله تطل على البحر الميت في فلسطين والأردن ، ونشأت هذه المدن بسبب.

التحول الجذري من البحث عن الغذاء إلى الإنتاج الزراعي البدائي (٩٠٠٠-٦٠٠٠ق.م)[٢٤] وقد رافق هذا في الآونة الأخيرة تصاعد العدد السكاني من ١٠٠ ألف إلى ٣ ملايين نسمه بسبب الاستقرار والتدجين الزراعي بشقيه الحيواني والنباتي وهذا يشكل ثلث أجمالي عدد السكان في العالم من ما نسبته ١٠ ملايين نسمة حسب إحصائية (هكسلي)[٢٥] وكلمة (أريحا) تعني (القمر) أي مدينة القمر التي اصبح فيما بعد عدد سكانها في عام (٨٠٠٠ ق.م) ما يزيد على (٢٠٠٠ نسمه) وهذا العدد التقريبي استنتجه علماء الآثار من خلال الأدوات الزراعية التي وجدت داخل المدينة مثل (المدقات والهاونات) التي استعملها الإنسان في ذلك الوقت لدق الحبوب وإعالة الناس وبقي عدد السكان محافظاً على معدله مع بعض الزيادات غير الملحوظة واستمر هذا حتى قبل مائة عام من تأليف هذا الكتاب.

واسم المدينة يدل دلاله واضحة على عمق الثقافة النسوية في

---

[٢٣] قمحاوي ، وليد تنظيم النسل دار العلم للملايين -بيروت ١٩٥٤ ص ٨٢-٨٣.

[٢٤] الطعان-عبدالرضا-الفكر السياسي في العراق القديم-دار المهد ص٣٠-٣٢.

[٢٥] قمحاوي، وليد، تنظيم النسل دار العلم للملايين ،بيروت١٩٥٤ ص ١٣.

الشرق الأدنى ، حيث أن الديانة الزراعية تتجه نحو اعتبار (القمر) رمزا" للأنثى وذلك لسبب خطير جداً جداً وهو:-

- أن المرأة تشترك مع الطبيعة في خصائصها ، ومع القمـــر بالـــذات في دورته الشهرية التي تكتمل مع دورة المراه البيولوجية من ٢٨-يـــوم إلى ٢٩-٣٠- يوم . واحيانا" كان وما زال (القمر) بالنسبة للأنثى (وصفا" جماليا") عبر تشبيه المرأة الجميلة بصورة البدر أما التشابه البيولوجي بـــين وظيفة المرأة البيولوجية وخط سير القمر فقد تطور فيما بعد هذا التشابه إلى أفراد القمر محل وظائف المرأة البيولوجية واستوعب كافـــة صـــفات المرأة وأولها أخطرها وهي (الولادة- الخلق) .

فلأن دورة القمر الشهرية تكتمل مع دورة المرأة الشهرية لتكون المرأة بعدها بوضع جاهز بعد مضي (٥) أيام على جاهزية تامة لاستقبال الحيوان المنوي، فأن سكان المدن الزراعية اعتبروا أن القمر بعد اكتمالـــه (بدرا) يكون جاهزا مثله في ذلك مثل المرأة الأم ، التي تصبح بعد الدورة الشهرية جاهزة للخصب والتكاثر.

وقد لاحظت الشعوب القديمة أن المرأة تتعرض في أثناء دورتهـــا الشهرية لكثير من المشاكل (الميكانيزميه) والعصبية ،حتى أن بعض النساء يتوترن لدرجة تثير (الخوف) وهن في تلك الفترة عرضة للإصابة بالامراض النفسيـــــة مثـــــــل (الاكتئاب) أكثر من الرجـــــــال غير أنه لم يلاحظـــوا مضار الدورة الشهرية وتأثيرها على الرجل لـــــذلك لم يك

تشترك المرأة مع القمر من حيث إكتمال دورة القمر الشهرية مع دورة المرأة الشهرية وهذا كان من أسباب تميز المرأة عن الرجل إذ إعتبر الانسان الشرقي أن المرأة خالق والرجل غير قادر على الخلق

الرجال يتجنبون النساء أثناء الدورة وكانوا يموتون أحياناً لهذه الأسباب ذلك أن دم الحيض ينقل مواد سامة إلى أجسامهم وقد لاحظـوا ذلـك متأخراً جداً عن طريق الخبرة والمشاهدة وكان لهذه الملاحظات الأخـيرة تأثيراً اجتماعياً على المرأة وسنشرح ذلك لاحقاً بالتفـصيل الـدقيق في الفصل القادم.

لهذا أرحن النساء أنفسهن من الأعمال المترليـة[٢٦]، في أثنـاء الدورة الشهرية ، ونظرا لهذه الأعراض فقد نظرت الشعوب الشرقية الى المرأة على اعتبار أنها (واهبة الحياة) ويجب عليها أن ترتاح مـن كافـة الأعمال المترلية وعلى رأس هذه الأعمال (الطبخ) وإشعال النار ، وجمع القوت، وحول هذا الموضوع يخبرنا سلامه موسى في كتابـه(البلاغـة العصرية واللغة العربية) أن كلمة(الحياة) مشتقة من عضو التناسـل،عند المرأة، وذلك لأنه ينجب الأطفال، لذلك نظروا إلى المرأة على أنها هـي واهبة الحياة، وظل إستعمال الكلمة دارجاً حتى اليوم ومازال الفلاحـون في مصر يصفون الجهاز التناسلي عند البقرة بـ(حياه البقـره)،(حيـاه الفرس) وكذلك في شمال الاردن.

وحين كان الإنسان ينظر إلى الأعلى بحثا عن الحلقة المفقودة التي أوجدت الإنسان ، فقد إتجه ببصره إلى القمر واعتبره واهـب الحيـاة، وهذا هو أول معبود في تاريخ الشرق الأدنى وبما أن المرأة تحيض وتخلـق أو (تلد الإنسان -تنجب الإنسان) فان القمر مع تشابهه مع وظـائف المرأة البيولوجية فإنه لا بد أن يكون خالقا كما هي المرأة ويرتاح مـن أعمـال الخلـق في آخـر أيام دورته وهذه الظاهـرة لم تنتـشر في تلك الحقبة ، أي حقبة مدينة (أريحا) مدينـة القمر في

---

(٢٦) السواح،فراس،لغز عشتار،الالوهه المؤنثة واصل الدين والاسطورة-دار الكندي للترجمـة والنشر ط .٣

تلك الفترة التاريخية من (٩٠٠٠-٨٠٠٠ ق . م) ولكن يكفي أن معنى الكلمة هو مدينة القمر.

واستمرت هذه الثقافة بالتصاعد لأكثر من خمسة آلاف عام حتى أن الشعب البابلي أقر يوما تعطل به كافة الفعاليات الاجتماعية ودعوا هذه اليوم باسم (اسباثو) أي الراحة وكانوا يريحون أنفسهم كما ترتاح المرأة نفسها مرة واحدة في آخر كل شهر قمري ثم أنهم – أي البابليون – طوروا هذه العادة فأعلنوا عن تعطيل كافة . فئات المجتمع في كل ربع من أرباع الشهر[٢٧] وكان هذا بداية تأسيس تاريخي لنظام (العد القمري) وأول تأسيس تاريخي للسنة القمرية وللعطلة (الأسبوعية) وكان هذا اليوم يدعى باسم(اسباثو) وقد انتقل هذا اليوم من الأدب البابلي إلى الديانة اليهودية في أثناء فترة السبي الأولى والثانية ونقله اليهود وتعلموه عن البابلين وأسموه بيوم (اسباتو) واعتبروا أن الإله (يهوى) خلق الكون كله في ستة أيام ثم ارتاح في اليوم السابع ، وما زالت هذه العادة منتشرة من قبل الميلاد إلى اليوم في الديانة اليهودية ، وان الدليل على ذلك أن اليهود في هذا اليوم لا يعملون أي عمل ، حتى إن اليهود يجهلون أن للمرأة الشرقية علاقة وصلة بالموضوع ناتج عن الديانة القمرية وخصوصا المتزمتين والمتشددين منهم . ومن الجدير بالذكر أيضأ أن كلمة (اسباتو) دخلت إلى اللغة العربية بلفظ جديد وهو (السبات) بمعنى النوم العميق إلى أن أصبحت كلمة (السبت) المشتقة من (السباتو) تعني عند كل العرب أول أيام الأسبوع[٢٨] وهذا دليل

---

[٢٧] السواح، فراس، لغز عشتار –المصدر السابق.

[٢٨] السواح، فراس،لغز عشتار–المصدر السابق.

أيضا على وحدة اللغة والثقافة بين العبرانيين والعرب كما سنلاحظ ذلك لاحقا عند الحديث عن الثقافتين.

كل هذه التطورات كانت الديانة الزراعية مصدرها من بداية تأسيس مدينة (أريحا)[٢٩] التي تعني القمر باللغة الكنعانية واللفظ بالكنعانية (ياريح) أو (ياريخ) غير أن كثيرا من المدن التي نشأت بعد مدينة (أريحا) ساهمت وعززت هذا المفهوم أكثر وأكثر ومن الضروري ذكره أن علماء الآثار وجدوا قرية أردنية في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية أقدم من مدينة أريحا بألف عام تقريبا وتدعى (البيضاء)، ووجدوا بها آثار عظم ماعز مطحون وحبوب قمح هجين أو مهجن ، مما يدل على بداية الاستقرار الزراعي أولا في الأردن وليس في أريحا ، أو أن الاستقرار بدأ في ثلاث مناطق في الشرق الأدنى ، في أريحا والبيضاء وأشور، شمال العراق حيث الأمطار والخصب أكثر من أي مكان آخر في المنطقة.

واعتقد الأمريكي (روبرت برايدوون)[٣٠] أن الزراعة من المفترض أنها بدأت في شمال البلاد الرافدين في (أشور) والمعروفة اليوم بأسم (كردستان) حيث كانت تسقط أمطار كافية

البيضاء في جنوب الأردن هي أقدم مدينة في العالم

وينبت القمح والشعير البريوتعيش الاغنام والمعز والأبقار والخنازير بوفرة كافية.فظهور مدينة (البيضاء) في جنوب الأردن هو الذي عزز من فاعلية وجود مدينة (أريحا) وأن أريحا لم تك في الآلف التاسع قبل

---

(٢٩) الباشا،حسن، الميثولوجيا الكنعانية، ص١٦-١٧-١٨.

(٣٠) مرعي، عيد ،التاريخ القديم،مطبعة الاتحاد ، دمشق١٩٩١ ص١٦-١٧.

الميلاد ، فهناك آراء عده تؤكد أنها في الآلفية الثامنة وهناك آراء تقول أنها في منتصف الآلفية الثامنة قبل الميلاد أي في عام (٧٥٠٠ ق.م)[٣١] .

ومن الجدير بالذكر أن كلمة مدينة لا تعني مصطلح (المدينة الحديثة) المتعارف عليها اليوم ، ولا تعني مستوى (دولة المدينة) في كل من (أثينا) و(روما) لكنها تعني بداية العيش بمشترك قروي ، ذلك ان مقومات المدينة لم تك معروفة كما أن أبسط أنواع الإدارة مفقودة . وأول اختراع عرفه الشرق أو الشرقيون هو (الفخار) في العصر الحجري الوسيط (٥٠٠٠ ق.م) وبعده بفترة بسيطة أخترع (الدولاب) اليدوي وذلك لتسهيل دوران الطين الفخاري .

وبما أن المرأة تتشابه مع (قوى الطبيعة) فأنه لا بد أن يكون لهذا الفخار دور في هذا التشابه وكان هذا ممكن فعلا لمعرفتنا أن (الجرة) الفخارية تشبه المرأة من الكتف إلى الردفين.

وأول ما استعملت الجرة كان (لدفن الموتى) على إعتبار أن المرأة هي التي أنجبت الانسان وحين موته لا بد له أن يعود إلى أمه التي أنجبته ولقد عثر في فلسطين والأردن على جرار فخارية كانت تستعمل لدفن الموتى في (العصر النطوفي) حيث ظهرت عظام الميت بها بشكل مكور يشبه وضع الجنين في رحم أمه[٣٢] وتشترك المرأة مع الأرض على اعتبار: أن الأرض تحرث وتزرع وتسقى بالماء وتحافظ على بقاء الإنسان من حيث توفير الغذاء ، وتوفير الماء، وخروج النبات من باطن الأرض وكذلك المرأة فأنها ، تحرث[*] (نسائكم

[٣١] سوسة،احمد حضارة وادي الرافدين-منشورات وزارة الثقافة١٩٨٠،-سلسلة دراسات عدد رقم (٢١٤) ص ٦٨.

[٣٢] السواح ،فراس لغز عشتار،المصدر السابق.

[*]راجع حول هذه الاية تفسير القرآن الكريم.

حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وكذلك المرأة تسقى بماء الرجل وتزرع بها النطفة وتنجب الذكر والأنثى وتحافظ على النوع، وأقدم أسم للأرض هو (مامي) و(ننخرساج) وهذا للدلالة الرمزية على تقارب المرأة الأنثى مع كل قوى الطبيعة ، وأنه ما زال حتى اليوم تسمى الإناث بأسماء طبيعية مثل (قمر، خضراء، شمسية) ومن شدة غيرة الرجال الذكور فأنهم أبدو تنافسا شديدا مع المرأة من حيث هذه المسميات فسموا ذكورهم بأسماء مشابهة مثل (خضر، شمس، شمسي، ربيع) غير أن الغلبة في هذا للنساء كون اكثر أسماء المدن والدول والعواصم مؤنثة في أكثر صيغها ، وأن نقل الصيغة من المؤنث إلى المذكر هو نقل قابل للتبديل في كل عصر مثل (قمر ، قمرية ،قمران) (*). وذلك راجع إلى طبيعة التفوق والتمايز بين الذكر والأنثى .كل هذا الذي ذكرناه لم يأت على الإنسان في يوم وليلة بل احتاج لما يقارب من ٥٠٠٠ آلاف عام تشكلت من خلاله الثقافة النسوية أو الانثوية أو الطبيعية من ما يقارب من (٩٠٠٠إلى ٤٠٠٠أو ٣٣٠٠ ق.م) أي من الفترة الأولى لبدايات الثورة الزراعية إلى بداية تأسيس النواة الحقيقية للثقافة الشرقية وظهور نظام الملكية الخاصة للدولة(**). مع ما رافقه من أول انتشار للكتابة الصورية واستعمال الأختام الأسطوانية الشكل في (لوركاء). وان الذي شجع أكثر على احترام وتبجيل المرأة ووضعها في مصاف ألآلهه، هو الطبيعة من حيث كونها في اغلب الاحيان قاسية ومرعبه ومدمره ومهددة لوجود الإنسان، لذلك فهي تأخذ بنفس الوقت

(*) راجع حول ذلك المراجع السابقة.

(**)صحيفة الرأي عدد ١٢٥٧٢-الاثنين ٢٠٠٥ميلادي عمان-الاردن.

الذي به تعطي، لذلك ظهر موضوع جديد في خر قرون هذه الثقافة الزراعية ، وهو موضوع بالغ الخطورة أثر وبقيت آثاره في ذاكرة الديانات الشرقية، وهو موضوع (البعث) الذي سوف نأتي على شرحه وكشف آثاره في الديانة المسيحية والربط بين هذا الموضوع وموضوع بعث المخلص وقيامة المسيح.

من هنا نستطيع القول أن عدة مواقع وعدة أماكن ساهمت في تعزيز مفهوم الثقافة الطبيعية مثل مدينة البيضاء في جنوب الأردن ، (وعين الغزال) في عمان حوالي الألفية الثامنة (٨٠٠٠ق. م) واستمرت بالظهور ما يقرب من ثلاثة الآف عام بسبب توفر المياه، وبلغت مساحتها أربعة أضعاف مساحة أريحا أي ما يعادل (١٥٠) دونم وبلغ عدد سكان عين الغزال أكثر من (٢٠٠٠) نسمة ولربما هم الذين ساهموا عبر هجرتهم إلى وسط عمان في ازدهار الحضارات المتتالية .

وكل تلك المدن حوالي (٩٠٠٠ ق.م) وأريحا حوالي (٨٠٠٠ ق.م) وحضارة (حسونه) نسبة إلى تل حسونه في جنوب الموصل، وهؤلاء زرعوا (قمح، شعير، ذره) ودجنوا (أغنام وخنازير) وانقرضت هذه الحضارة في أواخر الألف الثامن قبل الميلاد، وظهرت حضارة أخرى (المريبط) حوالي (٧٧٠٠ق.م) وهي زراعية وبعدها مباشرة ظهرت مدينة (سامراء) حوالي (٦٠٠٠) وانتهت في آخر هذه الألفية ومما يميز هذه الحضارة هو استعمالهم (الطوب) لبناء البيوت، وهناك من يقول أنها قادمة من (إيران) حيث أنها امتدت من الموصل جنوب بغداد ومن سفوح زاغروس شرقا حتى الفرات غربا، وانتهت حوالي نهاية الألفية السادسة قبل الميلاد .

تل حلف ولوركاء

وبعد أكثر من ١٥٠٠عام ق .م ظهرت حضارة جديدة في سوريا وهي حضارة (تل حلف) شمال شرق سوريا، ومن الملفت للنظر أن الزراعة بدأت تتطور فيها ، وتنشط الفلاح ، وازدادت أنواع الحبوب وبدأوا يستخدمون (الرصاص) غير أنها لم تدم لأكثر من خمسمائة عام (٥٠٠٠،٥٥٠٠ ق.م) وجاءت بعدها حضارة (العبيد) (٤٠٠٠ ق.م) حيث زرعوا الحبوب وصنعوا الفخار وأنهم أول من نطق بكلمة (فلاح) و(محراث) و(راع) واستعارها منهم السومريون لما ظهروا على خشبة المسرح التاريخية في عام (٣٥٠٠٠ ق.م) وكل هذه المعطيات أدت في النهاية إلى ظهور مدينة (لوركاء) إذ أن هؤلاء أول من مارس الكتابة التصويرية الأولى وكانت تتألف من (٣٠٠٠) إشارة ، وذلك بهدف تعزيز (الملكية الفردية) أو الخاصة لذلك فأننا نستطيع الفصل الآن بين هذه العصور وعصور ما بعد الكتابة[٣٣].

غير أن التغير والتبدل كان لربما بسبب الامراض المعدية وهجرة الناس المتكررة بسبب الآفات المرضية التي تسلطت الطبيعة بها على الإنسان والحيوان ، فظهور حضارة تل حسونه والبيضاء وتلاشيهما وظهور حضارة (المريبط) وتلاشيها أيضا وظهور حضارة سامراء ومن بعدها (تل حلف) إلى (العبيد) ومن ثم (السومريون) ومن بعدهم (لوركاء) كل هذا يدل على ظاهرة صحية في موضوع نشأة المدن والحضارات ذلك أن هذا التنقل يدل أولا على محاولة الإنسان الشرقي لفهم الطبيعة وملاحقة الأرض الخصبة ومقاومة

---

[٣٣] مرعي،عيد، التاريخ القديم مطبعة الاتحاد دمشق١٩٩١ ص.٢١

الجفاف ، وكل ذلك يظهر من خلال المواقع الأثرية التي سكنها الإنسان الشرقي القديم، وللأسف فأنه لا توجد أي علاقة تدل على استعمالهم للكتابة التصويرية لذا فقد اختفت معهم آدابهم إن كان لهم (آداب) وأصبحت معرفتنا بهم قليلة أما أسماء تلك المدن المشار أليها فإنها أسماء حديثة أطلقت عليها كلا حسب موقعها الذي أكتشفت به حديثاً.

ولطبيعة المناخ المعادي، الذي تحول من ١٠٠٠٠آلاف قبل الميلاد من مناخ حليف إلى مناخ معادي وذلك في نهاية العصر الجليدي الرابع- لهذا السبب صار الإنسان من هنا وهناك باحثاً "مستقصيا" عن المناخات المناسبة لتربية وتدجين الحيوانات والحبوب الزراعية وايضا"لملاحقة الطرائد".

وان التنقل من منطقة لمنطقة ليس دليلا على عدة (حضارات) فمن الممكن أن سكان البيضاء في جنوب الاردن - وأريحا هم أنفسهم الذين سكنوا باقي المواقع في الحوض المتوسطي وتنقلوا من هنا وهناك بحثا" عن مواقع الخصب كما كان يحدث بعد الميلاد بوقت ليس بالبعيد عنا من حيث ملاحظتنا للسكان وهجرات القبائل من الجنوب إلى الشمال بحثا" عن (الطرائد) ومواقع الخصب ، أو تكون الهجرة بسبب الكوارث الطبيعية.

و من الملاحظ أن فترة جمع القوت استمرت ٩٩٠ألف سنة وأنه ما يمثل ٤٥% من مجموع سكان الأرض حتى العصر الحديث كانوا صناعيين وان ما نسبته ٦٥% عاشوا في مجتمعات زراعية و٩٠٥% جامعي ثمار[٣٤] وصيادين بالرغم من وجود ما نسبته ٦٥% فقط

---

(٣٤) فارب،بيتر، بنو الانسان ، المرجع السابق، ص ٥٢.

زراعيين فإن هؤلاء رغم قلة نسبتهم فان ثقافتهم استمرت في السيطرة أكثر من طبقة الصناعيين، وما زالت آثار هذه الطبقة مسيطرة حتى اليوم على ما نسبته أكثر من نصف عدد سكان العالم من حيث أعياد الخصب وقيامة الإله زد على ذلك أن الأعياد المسيحية هي من آثار الديانة الزراعية التي ولدت في الشرق وعاشت وترعرعت وعانت في الغرب ..... الخ .

وان ما نسبته ٩٠% من جامعي الثمار والصيادين ولدوا وأنتجوا (الإنسان المحارب) وهو الذي طور مفهوم السيطرة على الطبيعة الأم وهو الذي عمل على توسيع المدن إلى دول وإمبراطوريات .وان الثلاثة أنواع هذه هي التي ساهمت في تحديد مكانة كل من المرأة والرجل في الشرق الأوسط كافة والعالم بأسره.

ولأن غالبية سكان العالم هم من الصيادين فانهم سيطروا سيطرة حربية على مراكز قوى الطبيعة، كونهم فرقة معدومة الثقافة إلا ثقافة الصيد ومعدومة الاستقرار، وبعبارة أوضح نريد أن نقول أن عصر ما بعد الكتابة سيطر به على الإنسان (مجتمع الذكور) دون مجتمع الإناث ذلك أن طبقة الصيادين هم من الرجال، ومن الملاحظ أن أول ملك في التاريخ الشرقي هو (نرام سين) حفيد القائد العسكري (سرجون الا كدي) حوالي (٢٣٤٠-٢١٨٠ق.م) إذ أنهم بدءوا أول تحول من الهيكل إلى الملوك ، وكان شعار نرام سين في إحدى الرسومات قرنين من قرون الثور يظهران فوق رأسه وهو ما عرف فيما بعد باسم (تاج الملك) الذي تحول من القرن إلى طوق مصنوع من الذهب ما زالت "سائدة" آثاره إلى اليوم.

ويظهر الملك (نرام سين) بقرني الثور كتعبير عن القوة والخصوبة وتظهر (نجمة عشتار) فوق راسه تعبيرا عن حسن الطالع كما يقـــول مؤلـــف كتاب (بنو الإنسان) بينما نحن نراه غير ذلك وهو : محاولة اشتراكه مع عشتار في إدارة شؤون الحياة ، ويراها الجدل التاريخي على أنها عـــشتار كما نراها (نحن) .

السلعة الوسيطة:

وفي هذه الفترة من ما يقارب من (٣٣٠٠ ق.م) إلى بدايـــة العهد الملكي منذ بداية استخدام الذهب بد ء تحديد سعر صرف الأوقية الواحدة من الذهب بتسع أوقيات فضه، وبالتالي فان الشرقيين أول مـــن فتح المصارف ونظام القروض الربوية ، وبدأ الإنسان منذ ذلك العـــصر في الشرق الأدنى يبيع (قوة عمله) للحصول على (قوة غذائـــه)، وبـــدأ عهدا جديدا من حياته قائما "على الكسب المـــشروع وكـــان رجـــال (الهيكل) هم المشرفون على نظام القروض حيث انهم حددوا سعر الفائدة بـــ(٣٣% سنويا) وهي فائدة كبيرة إذا ما قيست بـــسعر الفائـــدة في العصر الحديث، وهذا السعر للفائدة إذا كانت القروض غلات زراعيـــة مثل (القمح، الشعير) وهذا يفسر لنا سر استعمال (المكيـــال بمكيـــالين) الذي ما زال مثلا " يضرب به في حالة عدم وجود عدالة منصفه، حيث أن الأمر راجع في الاصل إلى نظام قروض الغلات الزراعيـــة، و كـــان الدائن يكيل بمكيال وفي حالة سداد الدين يكيل بمكيال أوسع وأكبر.

وأما إذا كانت القـــروض (مالا) فأن الفائدة محددة[٣٥] بـــ ٢%

---

[٣٥] تاريخ الحضارة العام،موسوعة فرنسية،المصدر السابق ص ١٥٩.

وكان سعر الفائدة يهبط ويترل حسب سعر الذهب حيث بلـــغ ســـعر الاوقية الواحدة من الذهب ، تسع اوقيات من (الفضة) وكان الهيكل هو (المصرف) ورجل الدين في الهيكل هو (الصيرفي العـــصري) وأن ســـيد الهيكل هو صاحب المصرف، وكان في بعض الاحيان يـــشرف صـــيرفي على سعر الفائدة ، وذلك بهدف حماية (المدين) من قسوة المرابي، ومـــن اللافت للنظر أن هذه التقسيمات في الهيكل والقروض الربوية تفسر لنـــا سبب اهتمام اليهود بالذهب والصيرفه وسعر الفائدة في الهياكل الدينيـــة أيام المسيح ، وكونهم شرقيين قدموا من بلاد الرافدين عـــبر هجـــرات متتالية من أرض (أور) فانهم نقلوا هـــذه المبـــادلات التجاريـــة ،وازداد نشاطهم بها أيام استعمار (الهكسوس) لأرض النيل المـــصرية ، ومـــن ثم نقلوا هذه العلوم إلى كافة أصقاع الأرض ، وهذا يفسر لنا أيضا ســـبب تعامل اليهود مع الربا والمصارف الربوية ، حتى أن اليهود هم أول مـــن اخترع نظام (تحرير راس المال من عبء القيود الداخلية) وذلك أنهـــم في كل سبع سنوات كان اليهود يسامح بعضهم بعضا من ســـعر الفائـــدة ويحررون (عبيدهم) إذا كانوا من اليهود ،وذلك بهدف إطلاق الحرية من جديد للحركة التجارية والمالية ، إذ أن اليهـــود تنبـــهوا إلى عواقـــب وخطورة إغراق كافة فئات المجتمع من الطبقات العاملة بالمشاريع الربوية إذا استمرت هذه المشاريع وأدت إلى (شل) (حركة الإنتاج) وقبـــل أن ننتقل إلى نقطة أخرى نود أن نقول أن الذهب والفضة لم يكونا الـــسلعة الوسيطة فحين بدأ الإنسان ينتج السلعة كان يستبدل الفائض عن حاجته بسلعة أخرى من هنا نشأ نظام المقايضة سلعة بسلعة فمثلاً كان الشخص يذهب إلى السوق ليبدل سمناً بشعير ولكن صاحب الشعير إذا كان لا يريـــد سمنـــاً في

مثل هذه الحالة كان الاثنان يبحثان عن شخص ثالث، من هنا بدأ نظاماً جديداً هو اعتماد سلعة ثابتة لتقييم حجم التبادل وأخيراً اعتمد الشعير والفضة في العراق القديم لأن الحاجة إليه جعلت منه قوة شرائية وفي الهند استعملت الماشية أما في الصين فقد اعتمدت السكاكين كسلعة للتبادل ويقال أنهم اتخذوا المحار للتبادل أما في اليونان فقد استعمل الثور للتبادل وكان يقدر سعر المرأة بأربعة ثيران، وهذا يدل على أن فائض الإنتاج في كل منطقة هو الذي كان يتحكم بالسلعة الوسيطة إلى أن اعتمدت في النهاية على الذهب والفضة كقوة شرائية[٣٦]. سنة(٢٢٥٠ ق .م) في آشور إلى أن عرفت العملة النقدية في اليونان سنة(٧٧٠) ق .م[*]

نشأة العبودية

بدأت حياة الذل والعبودية مع بداية العلم والمعرفة وكانت النساء هن أول من علم الإنسان كيف يزرع وينتج غذاوه،وتطور هذا المفهوم مع بداية سيطرة الرجال الفعلية على موارد الطبيعة،وكانت تقطيع موارد المياه عن الذين يرفضون العمل في الأرض الزراعية.

لهذا فإن الذل والعبودية بدأ نتيجة كل هذه الأسباب وكان المدين يؤخذ إلى الهيكل بموجب قرار ديني إذا عجز عن تسديد ديونه ليعمل في الأراضي الإقطاعية، التابعة للهيكل ومن أجل الذهب والمال شنت الحملات العسكرية وبدأ تأسيس أول جيش نظامي في التاريخ من طبقة (الصيادين) على اعتبار أنهم الأكثر والأشد مهارة

---

[٣٦] الطراونة، خلف وناهض عبدالرزاق دفتر، المسكوكات وقراءة التاريخ،دار النشر عمان١٩٩٤م.

[*] مونتا جيوه، آشلي، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان ، ص،١٥٧ ترجمة رمسيس لطفي مؤسسة سجل العرب القاهره-١٩٦٥.

في الصيد، إذ تحول الصيد من صيد الحيوان إلى صيد أخيـــه الإنـــسان وابتلاع أرضه بالقوة وضمها إلى أراض الهياكل الدينية وبعدها مع بداية تدجين الحصان وانتشار أسلوب الحياة الرعوية، بدأ تأسيس الجيوش من طبقة الرعاة والبدو وذلك لخشونتهم وعدوانيتهم ومنذ تلك اللحظة بدأ النظام الأمومي أيام الإحساس بالتبعية للطبيعة بالانحدار تدريجيا" إلى يومنا هذا، وان المراحل التي تلت ذلك باتت حنينا" وحلما مستحيلا بـــالعودة إليه، فمنذ أن انسحب النهر الجليدي وانتهى العصر الجليـــدي الرابـــع والإنسان ما زال يشعر بخسارة مشروعه الدائم وهو (الفردوس) الـــذي كان يأكل ويشرب منه دونما تعب، ومنذ أن بدأ الإنسان بالزراعة أصبح يشعر بالتبعية الزائدة للأرض الأم ، وللطبيعة معا من حيث إشـــراك الأم الأنثى مع وظائف الطبيعة ، وبقيت وما زالت لهذه الفترة آثار موغلة في القدم وحتى أن أول مؤرخ شرقي كان قد أخبرنا عنه (فيلـــو الجبلـــي) (حوالي ١٠٠ ب.م) هو المؤرخ (سنكن يتن)[٣٧] أو (سانخونياتن) ولفظ اسمه هنا متعدد الأصوات حسب تقارب مخارج الحروف، وعاش هـــذا الكاتب المؤرخ حوالي (٣٠٠ ق. م) إذ قال وتنبه إلى ظـــاهرة الطبيعـــة وأثرها في الإنسان الشرقي إذ قال: (أن الإنسان الـــشرقي لا ينظـــر إلى الطبيعة على أنهـــا متميزة عنـــــه، بـــــل علـــى أنهـــا تـــشاركه خصائصـــه) [٣٨][٣٩] ويبـــــدو أن استنتاج (سنكن يتن) ناتـــــج من

---

[٣٧] عبدالحكيم ، شوقي، مدخل الدراسة الفلكلور والاساطير العربية دار ابن خلدون بيروت– ط١،١٩٧٨م ص ٤٤.

[٣٨] الطعان،عبدالرضا ، المصدر السابق ص ٣٧.

[٣٩] الحوراني يوسف البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الآسيوي القديم دار النهار بيروت١٩٧٨م ص ٢٦، اطروحة دكتوراه.

خلال دراسته وقراءته للأساطير الرافدية والكنعانية وخصوصا قراءة أكبر ملحمتين أدبيتين وهما (ملحمة جلجا مش) و(عنـــدما في الأعـــالي) أو اسمها الحقيقي (اينوما ايليش)، غير أن (ســـانخونياتن) لم ينتبــه إلى أن الإنسان الشرقي قد تعدى هذه المرحلة بعد محاولاته الطويله في السيطرة على مصادر الطبيعة ودخول عصر الاقتصاد النقدي ، الذي فرض علـــى المرأة والرجل معا قيما جديده، وهذا بدأ تاريخيا " منذ نشأة مدينة بابل ، وحول هذه الظاهرة ظاهرة حب السيطرة على الطبيعة يقـــول مؤلـــف كتاب، (كيف يحيى الإنسان)[٤٠] معلقا بذلك على قصة (الفـــردوس المفقود) يقول: (أحيانا يتمثل الإنسان حب الانسجام مع الطبيعة واحيانا حب السيطرة عليها والاستفادة منها....) وتعليق الكاتب مـــا هـــو الا مراحل حقيقية واقتصادية مر بها الإنسان عبر سنين تطـــوره الفكـــري والمادي من مرحلة جمع القوت والصيد وهي (الفـــردوس) إلى مرحلـــة إنتاج القوت وهي المرحلة الأكثر انسجاما مع الطبيعة المتمثلـــة ببدايـــة الزراعة واستئناس الحيوان ،إلى مرحلة بداية السيطرة على الطبيعة الـــتي أصبحت مزعجة جدا من حيث سنين القحط ومواسم الجفاف والفيضان غير المنظم ، وهذا العامل الأخير أدى إلى ظهور (دولة بابل) التي عملت على استحداث أنظمة زراعة من أنظمة زراعية تعتمد على الصدفه ، إلى أنظمة الري الصناعي التي امتدت من بغـــداد إلى ســـواحل الخلـــيج في الجنوب ، حيث تسقط بها الأمطار في نهاية الخريف وفي الشتاء ، بسبب انتهاء العصر الجليدي الرابع، الذي أحدث هو الآخر كل هذه التغيرات.

[٤٠] يوتانج، لين ، كيف يحيا الانسان ، دار الكتاب العربي بيروت ط ،١ ،١٩٦٧ ص .٣٧٦

والمهم في كل هذه التغيرات هو أنها تحكمت بشكل العائلة وشكل الإنتاج الذي عن طريقه تحددت علاقة الذكر بالأنثى وعلاقـــة الأنثـــى بالذكر وهذه المرحلة الأخيرة ما زالت قائمة حتى اليوم وهي المرحلة التي سيطر بها الذكر الصياد على قوى الطبيعة وتحول من منتمى للطبيعة الأم إلى مثقف ومسيطر ومتميز عن الطبيعة وذلك بسبب خبرته التي وظفهـــا للسيطرة على مصادر الطبيعة . وهذا يظهر من خلال الحركات الأخيرة التي أحدثت انقلاباً نوعياً في حياة الإنسان الشرقي حيث دخـــل ولأول مرة في التاريخ، الثقافة من أوسع أبوابها ، وبدأ تـــدوين أولى انتـــصاراته على الطبيعة،.والتي سنقرؤها فيما بعد في ملحمة "جلجامش وملحية" عندما في الأعالي.



الملك حمورابي

الهرم

من هنا نستطيع القول أن المرحلة الأولى من حياة الشرقي هـــي جمع القوت المعروفة باسم الفردوس الدائم ومن ثم إنتاج القوت والمعروفة باسم الثورة الزراعية الأولى حيث كان يشعر الإنسان بها إلى منـــتم إلى الطبيعة وليس متميزاً عنها والمرحلة الأخيرة وهي مرحلة دخول عـــصر اقتصاد يشبه اقتصاد السوق يعتمد على حجم المبـــادلات والمقايـــضة، واعتماد الفضة والذهب لتغطية باقي السلع، وتأســـيس أول جـــيش في التاريخ شبه نظامي في كل من بلاد الرافدين ونهر النيل في مـــصر أبـــان عهد (رعمسيس الثاني ١٣١٤ ق. م) وهذا الجيش هو الذي اســـتطاع تسخير ما يقرب من مائة ألف عامل واكثر لبناء هرم واحد يبلغ طولـــه ١٥٠م ووزن كل حجر من أحجاره (٢،٥) طن وعدد أحجـــار هـــرم (خوفو) مليون وثلاثمائة ألف حجر واستمر بناؤه ما يقرب من عـــشرين عاماً.

وقام بمقابل ذلك سرجون الاكـــدي الأول مؤســـس الدولـــة الأكدية (٢٠٣٩-٢١٨١ ق.م) ببناء السدود والسيطرة الفعليـــة علـــى الفيضان غير المنظم وحملت دولته لوائح جديدة ثقافية منظمة تهدف إلى السيطرة وفي عام (١٨٠٠ق . م) ظهر المشرع الأول في التاريخ وهـــو حمورابي ووحد دولة كل من (ايسن ولارسن)[٤١] وجعل (بابل-الحلـــه) عاصمـــــة لها وأعتـــــرف بأخطر قـــــرار ديـــــني وسياسي وهو الاعتراف بالإلـــــه (مردوك) ألهاَ رسميـــــــاَ للمدينة. وحكم بابل ما

---

[٤١] النجار،منيرة، موسوعة احداث العالم المصورة منذ بدئ الحضارات إلى أوائل ٢٠٠٣م، ط١ ٢٠٠٣م دار المناهج للنشر والتوزيع ،عمان.

يقارب من ٤٢ سنة عمم خلالها قوانين نظامية تهدف إلى ترويض الإنسان عليها بعد أن كان يعيش آلاف السنين دون ضوابط تحكمه، ولأن الذكر هو الغالب والمنتصر فقد اجبر المرأة الأنثى التي عاشت آلاف السنين على قبول وصاياه وانتصاره كما انتصر إلهه مرودك الأب على الآلهة (تعامه الأم) وهذا هو نتيجة أول انتصار تاريخي على الطبيعة ولا يمكن العودة عن هذا الانتصار ، لذلك ولهذا السبب تقول إحدى خبيرات علم الأناسه:

(أن النساء معرفات بالطبيعة أو مرتبطات بها بشكل رمزي، إذا ما قورن بالرجال المعرفين بالثقافة على أساس تفوق الثقافة على الطبيعة وليس تميزها عنها، أما هذا الشعور بالتميز والتفوق فيعود بشكل رئيسي إلى قدرة الثقافة على تغيير الطبيعة وذلك بتهيئتها اجتماعيا ثم تثقيفها)[٤٢].

وهذا التعريف لا يكون خاصا بالمرأة الشرقية لوحدها أو الغربية أو انه ميزه تميز امرأة عن امرأة ولكنه يعمم على كل منتمى إلى الطبيعة وكل متميز عنها ، لذلك صدق الشعراء حين قالوا (إن من لم يعشق امرأة لا يمكن أن يعشق أرض) وهذا هو سر المرأة والطبيعة ، الأولى تعشق والثانية تعشق .ورافق حكم حمورابي (١٧٩٢-٧٥٠.ق .م) تدوين وانتشار آداب جديدة تعمم مفهوم محاولة سيطرته على المناطق المجاورة(للحلة -بابل) حيث قضى مدة حكمه وهو يحاربها ويحاول إخضاعها لأكثر من ثلاثين عام من أصل أربعين عاماً من مدة حكمه .وأكثر هذه الآداب انتشاراً هي

---

[٤٢] النجار،منيرة. موسوعة احداث العالم المصورة منذ بدئ الحضارات إلى أوائل ٢٠٠٣م، ط١ ٢٠٠٣م دار المناهج للنشر والتوزيع ،عمان.

(ألا ينوما ايليش- عندما في الأعالي)[٤٣]

ولا بد أن انتصار الإله (مردوك) على الآلهة (تعامه) لا بد أن هذا تجسيد لانتصار حمورابي (١٧٩٢ق .م -٧٥٠ق.م) على آله المـــدن المجاورة لها[٤٤]إخضاعها للثقافة الجديدة ثقافة الطبقات الاجتماعية وثقافة (الأدنون والأعلون).

ولسبب أن الإنتاج الزراعي أستمر بنفس الطريقة التي بدأ بهـــا منذ الثورة الزراعية الأولى في التاريخ حتى قبل مائة عام أو مائتي عام من كتابة هذا البحث، ولان هذا السبب ما زال ساري المفعول، فأن اخطر ملحمتين تاريخيين وهما (ألاينوما ايليش) و(جلجامش) ما زالتا حتى قبل مائة عام يرويان عند الفلاحين مع تغير بسيط في الأسماء و(جلجـــامش) هو نفسه (حسن الشاطر) و(علي الزئبق) و(عشتار) الآلهة هي نفـــسها (ليلى) في قصة ليلى والذئب التي سنرويهن بعد قليل و(الذئب) هو كناية عن خيانة الذكر للطبيعة الأم والمرأة الأنثى، ألا تلاحظون أن الطريقـــة الأولى التي حرث بها الفلاح الأول أرضه ما زالت حتى اليـــوم ســـارية المفعول عند أغلب فئات المجتمع، وأن وصل الإنسان مستوى (الـــشبع). وهذا نادر جداً فإنه لم يصل إلى مستوى فائض الإنتاج ، الا قبل مائـــة عام من كتابة هذا البحث ، وهذا الفائض ليس من الجـــائز أن تعتـــبره متوفراً لكل الشعوب لذلك ما زال الإنسان ينتج غذاءه بطرق بدائيـــة ، وأكثر الدول لم تصل لأكثر من مستوى الكفاف[٤٥]وهذا كله ســـاعد على بقاء الآداب الزراعية وعلى ثبات العادات الاجتماعية بسبب عـــدم

---

[٤٣] الطعان، عبدالرضا،المصدر السابق ص ٤٢٦-٤٢٧.

[٤٤] كيرا، ادوارد، كتبوا على الطين ترجمة محمود امين دار المتنبي بغداد١٩٦٤ ص.٩٣

[٤٥] فارب، بيتر، بنو الانسان ترجمة زهير الكرمي، المصدر السابق ص ٧٦.

تغير طريقة الإنتاج وأن التخلف الفكري والاجتماعي سببه بقاء بعض الناس على نمط إنتاج تقليدي دون الالتحاق بأنماط الإنتاج الحديثة.

قراءة في ملحمة الخلق البابلي:

في عام ١٨٠٢.ب.م ، كان قد توصل العالم (جرو تفند) في تحليل[٤٦] أول أو بدايات اللغة المسمارية التي كتبت بها ملحمة الخلق البابلي ألا ينوما ايليش أي (عندما في الأعالي) و(ملحمة جلجامش) وبعد ما يقارب من عشرين عام ، استطاع العالم الفرنسي (فرانسو شامبليون) فك رموز الهيلوغروفية ، عن طريق حجر (رشيد) الذي عثر عليه الجنود الفرنسيون وعليه عبارة بالهلوغروفية ، وتحتها عبارة أخرى مترجمة باللاتينية ، وهذا فتح الطريق لمعرفة المسمارية وتفكيك رموزها نهائيا سنة (١٨٧٥ بعد الميلاد) وكان يعتقد أن النص اللاتيني هو ترجمة للنص الهيلوجروفي غير أن العكس هو الصحيح.

وفي عام (١٨٧٢١ بعد الميلاد) أعلن عالم الآثار البريطاني (جورج سميث)[٤٧] عن تواصه لحل رموز إحدى ألواح مكتبة (بانيبال) وكان نصاً يتحدث عن الطوفان التوراتي، وبعد ذلك عثر على باقي الألواح

بداية ثورة عصر الآباء تظهرها ملحمة الخلق البابلية

[٤٦] مرعي، عيد ، التاريخ القديم، المرجع السابق.

[٤٧] السواح ، فراس، مغامرة العقل الاولى ط العاشرة-دار علاء الدين دمشق ص ١٦١.

التي تبن فيما بعد أنها أي: الألواح ما هي إلاَّ (ملحمة جلجامش) ومنـــذ ذلك الحين تبين أن هناك تزوير تاريخي في التوراة وسرقة جريئـــة مـــن مؤلفيه لقصة الطوفان، التي اقلقوا العالم بها لاكثر من ثلاثة آلاف عـــام تقريبا ، وكان هذا الرأي عائد لكل أصحاب المواقـــف الحركيـــة مـــن الصهيونية ، أما رأي البحث العلمي فانه يعتبر أن ثقافة التوراة جزء مـــن ثقافة المنطقة يجري عليها مثل ما يجري على ثقافات كافة شرائح مجتمـــع الشرق الأدنى ، وفي التوراة كما في ملحمة الخلـــق البـــابلي وملحمـــة جلجامش، فيها اغتصاب وقهر ثقافة الطبيعة وتوجيهها لخدمة الإنسان ، من ماء وأرض وهواء ومعادن. وفيها صراع القديم والحديث أو الاصالة والمعاصرة في ذلك الوقت ، وهي أيضا تخبرنا عن اختراعات ذلك العصر من خلال الاسلحة التقليدية البدائية التي كان يتسلح بها مردوك البطـــل، فاتح الثقافات الحديثة وفي الواقع أن هذه الملحمة تعبر عن بداية انحطاط عصر الأنثى إلى هذا اليوم ، وهي التي أسست مفاهيم دينيـــة حديثـــة ، ولان الملحمة طويلة فأننا لن نستطيع ذكرها بالكامل الا أن نورد حكاية مردوك و(تعامه) الأم ، لنبين بدايات الصراع الثقافي بين القديم والحديث أو بين ثورة الأبناء على عقول الآباء أو ثورة الذكر على الأنثى :-

ولقد بـــدأ تدوين هذه الملحمة الادبية أبان سيطرة حاكم مدينة بابل وعلى ما حولها من تجمعات زراعية لذا فأنها استمدت قوتهـــــا من قوة العسكري المحترف وجاءت هي انعكاسا لهـــــــذه الانتـــصارات العسكرية التي حققـــــها حمورابي، انعكاسا من الثقافـــــة الجديـــدة ، بل أن الثقافة الجديدة هي التي انعكست عن الانتصارات العسكريـــــة

لمدينة بابل ، وتقول الملحمة :- أن الآلهة ضاقت صبرا من تصرفات الآلهة الأبناء لذا وجب على الكبار أن يضعوا حدا لتصرفات الصغار، فذهب (آبسو) الذي ينتمي إلى جيل الآباء الكبار ، إلى (تعامه) وهي الآلهة الأم ، فأخبرها ومعه (ممو) وزيره الذي يفرح له قلبه ، وفتح (آبسو) فمه قائلا -لتعامة الأم :-

(((لقد غدا سلوكهم مؤلما لي
في النهار لا أستطيع راحة، وفي الليل لا يحلو لي رقاد
لأدمرهم ، واضع حدا لفعالهم ،
فيخيم الصمت ونخلد للنوم)))[٤٨]

ولكن الآلهه الأم تأخذها رأفة الأم الحنون بأبنائها فتقول — لآبسو الأب :-

((لماذا ندمر من وهبناهم نحن الحياة؟
إن سلوكهم لمؤلم حقاَ ، ولكن دعونا نتصرف بلين وروية))

غير إن الأب آبسو ، لم يعر تعامه اهتماما ، واستمع إلى نصائح شريرة من ابنه (ممو) الذي ينتمي هذا أيضا إلى الجيل الأول جيل الآباء الكبار ، ويتعانقا ويتصافحا على الشر والغدر بأبناء (تعامه) الأم .

وفي نفس اللحظة يشتم (ايا) الحكيم رائحة خطط المتآمرين، فيعمد إلى أبسو الأب ليلا فيقتله ويسجن وزيره (ممو) ويسكن(ايا)

---

[٤٨] السواح، فراس مغامرة العقل الأولى، المصدر السابق ص ٤٧.

في مسكن (أبسو) هو وزوجته (دومكينا) ويرزقان هناك بـــابن اسمـــه (مردوك) وكانت آذانه أربع وعيونه أربع . وكان } مردوك { كـــثير الحركة فانزعج منه الكبار وذهبوا إلى الأم قائلين:

-(((عندما قتلوا زوجك آبسو، لبثت هادئة ، دون أن تمدي
له يدا وعندما خلق (آنو) الرياح الأربعه،
اضطربت أعماقك وغابت عنا الراحة تذكري آبسوا زوجك.
تذكري (ممو) المقهور ، وأندبي وحدتك
لم تعودي أما لنا ، تهيمين على غير هدى حرمتنا عطفك وحنانك ،
عيوننا ثقيلة دعينا ننام دون إزعاج
واجعليهم نهبا للرياح))).

وبعد ذلك تثور (الأم تعامه) وتعلن مع الجيل الاول من الآبـــاء دخول الحرب ضد الاجيال الشابة وتأتي تعامه الأم باسلحة قديمة جـــداً من صنع وابتكار الطبيعة مثل :-

(((... أفاع هائلة ،
حادة أسنانها ، مريعة أنيابها ،
ملأ ت جسدها بدل الدم سما ،
أتت بتنانين ضاريه تبعث الهلع ،
توجتها بهالة من الرعب وألبستها جلالة الآلهه
يموت الناظر إليها فرقا،
حتى إذا انتصبت لم تخنع ولم تدبر ....الخ)))

وتعدد في الملحمة أنواع أخرى من الأسلحة ، أســـود ، كلاب

مسعورة ، وعقارب وعفاريت ، والبيسون....الخ ومن الملفت للنظر أن المخلوقات الأنثوية هي أقوى بكثير من المخلوقات الذكرية وهذه الظاهرة موجودة في المخلوقات السفلى مثل العقارب والفراش والأفاعي والزنابير... الخ، إلاَّ أن أنثى الإنسان أضعف من الذكر وهذه حقيقة علمية وفي هذه الملحمة يبدو أن كاتب الملحمة على معرفة بهذه الفروقات إبان بداية سيطرة الرجل على العائلة بعد أن حكمت المرأة العائلة مدة تزيد على (٣٥٠٠٠) سنة لذلك فإنه قام على لسان الأم (تعامه) باستدعاء هذه المخلوقات من أجل أن تنصرها على الذكر الإنسان وهي بهذا تحاول أن تستمد قوتها من هذه المخلوقات الأكثر قوة من الذكر على حسب تصنيفها بعكس الإنسان الذي يمتاز الذكر بالقوة مقارنة بقوة الأنثى.

وقد وصلت هذه الاستعدادات الحربية إلى (أيا) وإلى أبيه (أنشار) وهو منتمي إلى الجيل الثالث من الآباء ، فيقول له (آيا) مخاطبا:

(أي أبتاه، أن تعامه التي حملت بنا تكرهنا)

ويعدد آيا أمام أنشار كل أسلحة تعامه، ولما عرف أنشار نية تعامه عض على شفتيه ، وقال قم – أنت يا قاتل آبسوا وقاتل... الخ، فيعتذر عن ملاقاة تعامه ، فيبعث (أنشار) ابنه (آنو) وعندما يذهب (آنو) يعود معبرا عن عدم مقدرته على مواجهة الأم تعامة ،وعلى الفور قام (أنشار) باستدعاء (مردوك) البطل وقال له :

(((أمض أمام أنشار في عدة الحرب الكاملة

قف أمامه منتصبا بينما تكلمه، فتهدأ خواطره)))

وعندما رآه أنشار بهذه الحالة ، قام إليه وقبله ، فقال له مردوك

((أي الرجال قد أشهر سلاحه ضدك

أم تراها تعامه ، وهي أنثى ، قد فعلت ذلك ؟)))

ويعد مردوك (أنشار) انه قريبا جدا سيطأ عنق الآلهه تعامـــه ، شريطة تنفيذ مطالبه السياسية وهي :

أولا : أن يعلن الجميع في اجتماع رسمي اقتداره على دخول المعركة.

ثانياً : أن يجعلوا من كلمته، قوة "تقرير المصير بدل" ويوافق إنشار على هذه المطالب، ويقوم باستدعاء باقي الالهة إلى مأدبته ليأكلواخبزاً وخمراً(ويتنازلوا عن قدراتهم إلى)مردوك ويعلمهم أن تعامه التي حملـــت بنـــا تكرهنا (ويجتمع الالهة ويعطوا مردوك القوه، ولهذا السبب احضروا ثوباً لاختبار قوة) كلمته(ويأمر الثوب بالارتداد والانثناء، والثوب في حالة استجابة لكلمة مردوك القوية، عندها يرفع الجميـــع صـــوتهم قـــائلون: (مردوك ملكاً) وبادر مردوك على الفور بخطة التسليح وشرع بصناعة) القوس(و)سهاماً، وهراوة(ث أرسل البرق أمامه، تعبيراً عـــن ســـرعته وبطشه ثم صنع) شبكه، ودرع (تلك الأسلحة في هذه الملحمة تظهـــر الفرق بين أسلحة الأجيال الحديثة والتي هي من صنع التقدم والحـــضارة ومجتمع ما بعد الكتابـــة والعلم بأكثر من ١٥٠٠ بعد الكتابـــــة وبين أسلحة الأم تعامه وهي مـــــن)خلـــق الطبيعـــة(مثـــــل الأفاعي والبيسون والعقارب، التي هي ايضاً أسلحة ما قبل الكتابة بثلاث آلاف عام أي تحت) ٣٢٠٠ ق.م(وهنـــا موقف جد مؤثر حين يلتقي

الابن وبنيته القضاء على (الأم تعامه) فلنستمع لخطاب مـــردوك حـــين يلتقيان قبل بدء الالتحام البطولي صارخاً في وجه الأم:

(((كفى ما رأينا من عجرفتك وتكبرك

لقد شحنت البغضاء قلبك فحرضت على القتال،

وأوقعت بين الآباء والأبناء

فنسيت حب من أنجبت

أعليت (كنغو) وجعلتيه زوجا لك

واعطيته منزلة انو دونما حق

ضد انتشار ملك الاله كشفت سوء طويتك

فلتتركي الآن حشدك يتجهز بكل ما عنده من سلاح

ولتتقدمي اليَّ وحيدة في معركة ثنائية)))

فلما سمعت تعامه هذا الخطاب اهتاجت صـــراخا وارتجفـــت ساقاها معا وتلت تعويذه ضد شر مردوك وتقدما من بعضهما والتحمـــا في صراع دموي، انتهى بقتل الأم تعامه على يد مردوك البطل واســـقط معها كل اسلحتها، وتفرغ بعدها الإله مردوك لخلـــق (لالـــو) وهـــو الانسان، وفي نهاية الملحمة تعداد لأسماء مردوك الخمسين، ولقد درســـنا في الاطروحات الادبية، المترامية عند كل شعوب الارض مـــا يـــسمى بـــ(بيت القصيد) الذي من خلاله نتعرف على الهدف الاسمى من كتابة القصيدة أو ما تعنيه القصيدة من خلال بيت واحد أو اكثر وفي ملحمة الخلق البابلي يبدو أن بيت القصيد هو اظهار قـــوة مردوك وبطشه، وان البنـــاء الملحـــــمي (ليس من اجل الفن) بمعنى (ان الفن ليس للفـــــن) وانما لتأسيس بناء اجتماعي

قائم على سلطة السلوك الذكري ولتعزيز الدور الاجتماعي الذكري من خلال اظهار قوة الاله مردوك الذكر، وإخضاع الآلهه الأم تعامه ومنذ تلك الحقبة أخذ مفهوم الرجل الذكر ينتشر إنتشارا واسعا منذ بداية الكتابة التصويرية في كل من (سومر) و(مصر) حوالي ٣٢٠٠ ق.م الى ما يقرب من بداية دخول عصر الذهب والفضه وتأسيس الجيوش الشبه نظامية العائدة الى حاجة (رأس المال) لجيش نظامي يحميه كما يقول (الصادق النيهوم) في احدى مقالاته المعروفة باسم (اين خسرنا ولماذا)؟

ولأن الرجل الذكر انتخب نفسه أنتخابا طبيعيا للصيد والقنص والرماية فقد ظل يعيش حياة شبه حرب طويله الامد مع الحيوانات المفترسة ولما ظهر نظام (الاقتصاد النقدي) فقد تحول من صائد حيوانات مفترسة الى محارب عسكري يهدف الى تسخير كل شيء لخدمته ومصلحته عن طريق (الذهب والفضة) وتحول الذكر الصياد الى مسلح في جيش نظامي يقوم بحماية رأس المال من اللصوص والطامعين بأملاك (الهيكل) هذا الهيكل الذي تحول فيما بعد الى أول محل (صرافهْ) في العالم على ا لاطلاق وكان هذا في الشرق الأدنى .

بداية تراجع أنثى الإنسان:

ولأن المرأة منعزلة في المترل تجمع الثمار فقد تحولت في عـــصر بداية الثورة الزراعية وتأسيس المدن الى مسيطرة نهائية على كل شـــيء بسبب التقارب البيولوجي الوظيفي بين الـــسلوك الانثـــوي والـــسلوك الطبيعي للطبيعه ولما كانت الطبيعه مخيفة جداً بسبب الكوارث الطبيعيـــة من حيث الزلازل والجوع والفيضانات غير المنتظمـــة فقـــد أدى هـــذا التخوف الى الخوف من المرأة حليفة الطبيعه، ولكن حدث ما بعد عصر الكتابة التصويرية (٣٢٠٠ق.م) حدث انقلاب جديد في تاريخ الـــشرق الادنى أدى الى بداية عصر السيطرة على الطبيعة، وتنظيم ميـــاه الـــري، والاستعدادات التامة لمواجهة الجفاف وتقدمت وسائل الانتاج وبدأ نظام العد القمري في بلاد الرافدين ونظام العد الشمـــسي في مـــصر، نظـــرا لفيضان النيل المنتظم بعكس الفرات غير المنتظم، فقد بـــدأ المـــصريون يعدون شروق الشمس وغروبها، وحسبوا بذلك عدد الشروق والغروب كي يواجهوا فيضان النيل، كل تلك الاسباب مع تقدم ادوات الانتـــاج ادت الى قهر الطبيعه على يد الانسان الذي نظر ايضا الى المرأة حليفـــة الطبيعة على أنها (مخلوق مهزوم) بفضل التقدم العلمي، لذلك ومن هـــذا المنطلق فانـــنا اذا ما عدنا الى (ملحمة الخلق البابلي) وقمنا بعد واحصاء اسلحة الـــــذكر الصياد الالـــــــه المنتصر فاننا سوف نجدها كلـــها من صنع وابتكار الإنسان[٤٩] وان أسلحـــــة الأم الآلهة تعامه كلهـــــا

---

[٤٩] الربيعو، تركي علي، المصدر السابق ص ١٥٢.

من صنع عصر ما قبل التقدم وهي اسلحة طبيعية كما يظهر في هذا الشكل :

اسحلة الأم تعامة الانثى	اسحلة الذكر مردوك	المغزى من ذلك
-أفاعي -كلاب مسعورة -ثيران هائجة -اسد -أحد عشر نوعا من العفاريت...الخ	-رمح -قوس -هراوة -شبكة..الخ	-انتصار الجديد على القديم -بداية عصر التمايز بين الجديد الذكور، والقديم الانثى من خلال الأسلحة. -والاعتراف بتقدم الذكر البيولوجي على الانثى مع تقدم الإنسان في مسار التاريخ

وأن هذا الصراع في الملحمة هو صراع بين العصر الجديد والعصر القديم، وهو عصر التمايز بين الانسان وباقي المخلوقات تحت سلطة جديدة من سلطة الرجل الذكر، وهو أول تأسيس تاريخي لفكره (الذكر الخالق) التي لم تك معروفة من قبل اذ كان الخلق فقط بواسطة رحم المرأة ولكن مردوك بعد انتصاره على الام اصبح ينافسها في كل الميادين وبلغت به (الوقاحه) لان يخلق بـ(الكلمة) بدل الخلق بفعل (الرحم - رحم المرأة) اذ أنه في اثناء الاستعراض العسكري لقوته الجديدة، احضر له ثوبا وطلب من الثوب ان ينثني فانثنى ثم طلب منه ان يعود الى حالته الطبيعية فعاد، وهنا يجب ان نتوقف قليلا عند هذه النقطة لنلاحظ كيف اثرت هذه

الفكرة واسست بذور الديانة العبرية الأولى في تاريخ الـــشرق الادنى، وكيف ولد المسيح فيما بعد بـــ(الكلمة) الخالقة وكيف خلقـــت هـــذه الكلمة نزاعا جدليا في القرن الرابع الهجري ومحنه عظيمة للامام (احمـــد بن حنبل) الذي رفض بدوره ان تحل الكلمة محل الخلق اذ ان هذا الامام العبقري رفض ان يكون القرآن الكريم مخلوقا لمجرد انه كلمـــة مـــن الله سبحانه وتعالى واعتبر الموضوع دخيل على الثقافة الاسلامية من الثقافـــة المسيحية، والفارسية، وسكت عن موضوع خطير كان قد سكت عنـــه رسول الله وكان هذا الامام اول من لاحظ ان هنالك ثقافـــة اســـلامية وثقافة عربية .

ومن ناحية اكثر خطورة وهي ان الحرب والقتال والعـــسكرية تؤكدها هذه الملحمة على انها من وظائف الرجل الذكر وليـــست مـــن وظائف المرأة الانى على اعتبار ان هنالك فروق بيولوجية بين المرأة الانثى وبين الرجل الذكر، منها مثلا ما ذكره مؤلف كتاب (بنـــو الانـــسان) اتساع الحوض عند المرأة بمقدار (60°) أدى إلى تخليهـــا عـــن ممارســـة (الصيد) وذلك لبطئها في الحركة إذ أن خطواتها تذهب بشكل تباعـــدي بزاوية منفرجة، وإن ضيق الحوض عند الرجل بـــ($30^{\circ\circ}$) جعـــل منـــه صيادا ماهراً لذلك اكتسب الرجل قوة عضلية وخشونة في الوقت الذي اكتسبت به المرأة نعومة وطراوة لقعودها عن الصيد والحرب.

ولقد كاد أن يقول الدكتور (الكسيس كاريل) الحـــائز علـــى جائزة نوبل في كتابه (الانسان ذلك المجهول) قال : (كل خلية في المـــرأة تنطق بأنها انثى)[٥٠] لهذا فان انتصـــــار مردوك الذكـــــر هـــو مـــن

---

[٥٠] القاضي، علي، وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ص ٣ مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشر والترجمة عمان–الاردن–١٩٨٤م ط.١

موقع التاكيد على التفوق والتمايز بين الرجل وبين المرأة، فلطالما ان (كل خلية فيها تنطق بإنها انثى) طالما ايضا ان (كل خلية في الرجل تنطق بانه ذكر) والملحمة هنا تؤكد على اهمية قيادة الرجل للمجتمع بدل المرأة الانثى بدليل قتل الام تعامه، ولو كان ذلك رمزيا لاظهار دورها الضعيف ودور الرجل القوي، ومن ملاحظات العلم الحديث انحناء العمود الفقري عند المرأة اكثر من الرجل لذا فانها تشيخ اسرع من الرجل، ولدى جسمها قابلية اكثر لتخزين الشحوم، بينما يتجمع الدهن عند الرجل في البطن والردفين وان عضلات المراة تقل [٥١] عن عضلات الرجل بنسبة ٢٥%[*] لذلك فان الانسان الشرقي حين انتقل من مجتمع البدايات الزراعية الى مجتمع الذهب والفضة واقتصاد السوق فانه لاحظ هذه الفروق واحس بها منذ بداية العطلة السبتية الى بداية تأسيس الجيوش النظامية التي لا مجال للمرأة بها لضعف قوتها.

من هنا ومن موقف القوة والضعف بدا نظام الاقطاع وأخذ الرجل المحارب ارضاً له حرية التصرف بها لهذا فقد شاع حق ملكية الرجل للارض وللمرأة ولأولادها مع منحه رتبة جديدة وهي حرية التصرف ولأن الصيد مهنة شاقة فانه استصعب على المرأة المسكينة في الشرق الادنى طوال الاف السنين الأمر الذي اكسب الرجل قوة بدنية في الشرق الادنى اكثر من المرأة[٥٢] لهذا كان تفوق (مردوك) في تلك الملحمة تفوقاً عضلياً وليس عقلياً وهذا لا يعود لطبيعة خلق

---

[٥١] القاضي، علي، المصدر السابق، ص ١٨.

[*] يذكر علي القاضي فروقا عديدة وهي صحيحة من ناحية علمية ولكنها لاتستدعي إلى اتخاذ موقف تحيزي ولسوف نناقشها فيما بعد.

[٥٢] مناع، ليلى ، المرأة في التاريخ العربي ص ٥٤ وزارة الثقافة دمشق١٩٧٥م.

المرأة كما يقول اصحاب المواقف الحركية بل الى (الانتخاب الطبيعـــي) وعلى مبدا (العضو الذي لا يستعمل يضمر ثم يموت)[**] أي بمعـــنى ان المراة الشرقية قد ظلمت بسبب وضعها الاقتصادي والمهـــني وســـيطرة الرجل الصياد على الذهب والفضه والسلاح وملكيـــة الارض ومـــن ثم ملكية الانسان والعائلة وظهور نظام او اقتصاد العبيـــد في المجتمعـــات المتقدمة عسكريا وهذا هو العصر الذكوري الأبوي الذي رافق عـــصر الحديد ونهاية العصر البرونزي، ويعرف بالعصر (الأبوي).

ويذكر الأستاذ (علي القاضي) مؤلف كتاب (وظيفة المـــرأة في المجتمـــع الانساني) يذكر هذا الكاتب عشرات الفروق بين الذكر والانثى وقـــال ايضا ان حجم الدماغ عند الرجل اكبر او اوسع من حجم دماغ المـــرأه وهو يدل على قوة عقل الرجل ، وان الرجال بهذا اذكى مـــن النـــساء، واعتقد ان الذكاء ليس بـــ (كبر الرؤوس) بدليل ان اكبر حجم دمـــاغ انساني هو دماغ الكاتب الروسي[٥٣] المشهور (ايفان تورجنيف) حيث بلغ وزن دماغه اربعة ارطال وسبعة اوقيات، وان اصغر حجم دماغ هو دماغ الكاتب الفرنسي (اناتول فرانس) ذ بلغ حجم دماغ اناتول رطلين واربعة اوقيات وهو لا يقل شهرة عن نظيره ايفان وقد عاش الكاتبان في القـــرن التاسع عشر ولو كانت المسالة بـــ(كبر الرؤوس) لوجدنا ان هنالك فروقـــا بـــين الكاتبين برغم من انني اتفق علمياً مـــع الكاتـــب في بعـــض المـــسائل العلميـــة والفروقات البيولوجية بين الرجل والمراة وان الـــذي ادى الى ذلك هو ظهـــور

[**] هنالك قبائل في العالم مازالت حتى ا ليوم المرأة فيها قوية عقلياً وجسمياً والرجـــل نـــاعم ولطيف وطري العضلات مثال ذلك التبت)

[٥٣] فارب ، بيتر، بنوالانسان المصدر السابق ص ٢١.

النظام الاقتصادي الجديد بعد عصر الكتابة في الـــشرق الادنى واعتمـــاد الذهب والفضة لتغطية باقي السلع وانتشار الملكيـــة الفرديـــة لـــلأرض والانسان وتعزيز مراكز القوى الدينية وتاكيد مفهوم الولاء للذكر الاب والاخلاص له والعمل بجد ونشاط في ارضه حتى يكثر ويتنامى راس المال لديه.

وقد أدى هذا الوضع الى استدعاء عناصر جديدة للعمل عنـــد اصحاب رؤوس الاموال وقد تم استدعاء هؤلاء العمال كلهم من طريق اقراضهم ذهبا وفضة واغراقهم بالديون وتوريطهم اكثر واكثر حتى يتبين عجزهم وضعفهم عن السداد وفي هذه الحالة اصبح الانسان يبيع قـــوة عمله ومجهوده العضلي للدائن حتى يوفي سداد دينه من هنا بدا نظام الرق ليس للمراة وانما للرجل وللمرأة وللرجل وللأطفال ولا بد أن هنالـــك ملاحظة هامة وهي ان مجتمعات جمع القوت في العصور المتأخرة جـــدا لاكثر من ٣٥ الف قبل الميلاد لم تك تعرف هذه المجتمعات نظام الـــرق والعبودية وفي مجتمعات بدايات تأسيس المدن في الشرق الادنى حـــوالي ٩٠٠٠-٧٠٠٠ق.م لم تك تعرف هذه المشاعات البدائية نظـــام الـــرق والعبودية ولكن في العصور الاخيرة من عصر بداية الكتابة التـــصويرية ٣٢٠٠ ق.م الى بداية تجزأ هذا النظام وذلك لاسباب عدة من بينها :

أولاً: لإصلاح الأراضي وزراعتها والسيطرة على إنتاج الشعير لأنه كان سلعة وسيطة اعتمد عليه كقوة شرائية قبل ظهور الذهب والفضة.

ثانياً: لزيادة حجم الإنتاج ولعدم توزيعه بشكل متساوي.

ثالثا : لمحاولة الوصول الى ما يعرف اليوم بـــ فائض الإنتاج.

رابعاً : للسيطرة على الماء وموارد الطبيعه وحرمان أكثر فئة منه.

وإن دخول عصر اقتصاد السوق خلق انظمة جديدة وفوضى عارمة وان كتابة هذه الملحمة الادبية (الإينوما- إيليش) تزامن مع احداث عالمية هامة في الشرق الاوسط وفي اسيا وافريقيا منها : ان الملحمة دونت في بداية الربع الاول من الالفية الثانية قبل الميلاد وهي الفترة التي قضاها (حمورابي)[٥٤] يسن قوانينه المعروفة وقد امضى حمورابي من فترة حكمة الأربعين سنة تقريبا قضاها حربا استمرت اكثر من ثلاثين عاما من حكمه وهو يحاول اخضاع الاقاليم المجاورة لبابل وهي الحلة لحكمه تقريبا حوالي (١٧٩٢ق.م ١٧٥٠ ق.م) وذلك عبر تحطيم وحدة الهدف للأقاليم المجاورة وما كان هذا يتحقق لـ حمورابي الا بالسيطرة العسكرية والاقتصادية واستعباد المغلوب واستعلاء الغالب وتاكيد مفهوم الغالب والمغلوب كل هذا ترمز اليه ملحمة الخلق البابلي وذلك أن[٥٥] مردوك هو اله بابل ولان حمورابي انتصر فقد انتصر معه الهه مردوك لذلك لم تكن تعامه الأم هي المقصود وانما طبقة المغلوبين على امرهم من رجال ونساء واطفال من اهل المدن الاشورية المجاورة ولبعيدة على الحدود التركية وفترة حكم حمورابي عرفت عند كل المؤرخين بطبائعها القاسية على الانسان مع بداية نهاية العصر البرونزي ودخول عصر الحديد الذي إتسم بالصرعات الاموية .

وفي هذه الفترة ايضا او بعدها بمائة عام حوالي (١٧٠٠ق.م) كان في الجهة المقابلة من بلاد الرافدين كانت مصر الفراعنه تؤكد

---

(٥٤) الطعان، عبدالرضا، المصدر السابق ص ،٤٢٦ .٤٢٧

(٥٥) كيرا ادوارد، كتبوا على الطين ، ترجمة محمود الامين دار المتنبي -بغداد١٩٦٤م ص .٩٣

مفهوم بداية اول مسيطر على الماء في عهد مينا الذي هو اول من بـــنى السدود ووحد مصر بفضل ما عنده من ذهب وفضة الذي ادخلـــهم الى نظام اقتصاد السوق وشراء الولاءات العسكرية والمدنية وشـــراء قـــوة الرجال العضلية بفضل الذهب والفضة وتأسيس الجيوش شبه النظاميـــة ولطبيعة ما تخلفة هذه الانظمة الاقتصادية من فوضى اجتماعية واطمـــاع مادية ، فقد ضعفت سلالة مينا واجتاحت مصر قبائل غريبة ما زالـــت مجهولة حتى اليوم حوالي (١٦٥٠-١٥٦٠ق. م) تعتمد علـــى اقتـــصاد النهب والسطو المسلح وتعتمد عسكريا على ركوب الخيـــل (تـــدجين الحصان) وهؤلاء هم (الهكسوس)(*) واستعمر هؤلاء مصرما يقارب من ١٥٠ عام واكثر وقد دخل اليهود الى مصر أثناء فترة حكم الهكـــسوس لها لذا فانه من الملاحظ جدا لمن يقرأ سورة يوسف في القرآن انه لا يجد لفظ واحد يدل على اسم فرعون كما هو في سورة موسى وانما هنـــاك لفظ ملك وعزيز مصر بمعنى الوزير ولقد خرج جماعة إبراهيم من ارض اورمع خروج (ابرا) أي إبراهيم حوالي (١٩٠٠ق.م) ودخلوا مصر مع دخول الهكسوس لها لمعرفتهم جدا بالذهب والفضة وعلو في مصر علوا كبيرا ولكنهم سقطوا مع سقوط الهكسوس في أول معركـــة تاريخيـــة للعبرانية مع المصريين وهزموهم في معركة (مجيدو) وتم طردهم الى منطقة العريش وتم اخضاع بلاد كنعان لحكم الفراعنه في عهد (تحـــتمس)(٥٦) واخضعوا سوريـــــا والاردن وبما انـــــــهم اخـــضـــــعوا ســـوريا

(*) لايوجد شعب أسمه الهكسوس، حسب رأي التوارة، ولكن نسبة إلى هجرة القبائل من الأردن وأرض كنعان التي وصفت بـــ(**EXodus**) وحين نقلت الكلمة إلى العربية أبدلت-E- بحرف الهاء ويقال أن المصريين إسموهم هكسوس، وتعني الأمراء البدو سنة(١٧٨٨-١٥٧٣ق .م).

(٥٦) النجار ، منيرة، موسوعة أحداث العالم، المصدر السابق.

والأردن فانه من المحتمل ان جيش الهكسوس المدعم بقوة الحصان قـــدم من شمال الاردن وبهذا يكون الاردنيون هم اول من دجن الحـــصان إن صحَّ التعبير، وعلينا أن نعرف أن الحصان في بدايـــة تدجينـــه كـــان لا يستطيع أن يحمل إلاَّ جندياً واحداً مع أسلحة خفيفة جداً كـــل هـــذه الأحداث من ١٩٠٠ق.م الى بداية مولد المسيح كل تلـــك الاحـــداث عملت على صناعة الثقافة الشرقية القديمة التي ما زالت افكارها راسخة في اذهان الشرقيين من خروج ابراهيم من ارض (اور) الى بداية مولـــد المسيح وبالعودة إلى الملحمة البابلية (الاينوما ايليش) أي عندما في الاعالي ونقرأ مضمونها فإننا نستنتج من الاسماء الخمسين للأله مردوك ان بدايـــة الديانات التوحيدية قد بدأت من بابل وبما ان ابراهيم ابو الانبيـــاء قـــد خرج من (اور الكلدانية) حوالي ١٩٠٠-١٨٠٠ ق.م فانه من المحتمـــل جدا انه خرج مع قوم موحدين لاله واحد قادر على استيعاب صـــفات من حوله من الاله والثقافات وهناك اختلاف كبير بين العلمـــاء عـــن هجرة القبائل فمنهم من يرى ان الكلمات المختصة بالسهول والزراعـــة كلها مشتركة بين جميع اللغات السامية لذلك يرى بعـــض العلمـــاء ان القبائل التي تحدثت بهذه اللغات جميعها قدمت من مكان وافر المياه وكان يرجح حتى وقت قريب ان العراق هو موقع انطلاقة الهجرة وهناك آراء تقول عكس ذلك فهنالك آثار مكتشفة تدل على وجـــود بحـــيرات في صحراء الربع الخالي عند منخفض (أبي بحـــر)[٥٧] وآثـــار نباتـــــــات وحيوانات في جبل (عـــــترا) ووداي (الرمة) ما زال مليئا بالـــصخور الرسوبية والحصى مما يدل على وجـــــود نهر قديـــــم في تلك المنطقة

---

[٥٧] العلي، صالح احمد، تاريخ العرب القديم ، والبعثة النبوية ص ١٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر -بيروت لبنان.

وكانت الفيله تعيش في سوريا والاردن حوالي ٢٠٠٠ق،م وأول ذكر للعرب يرجع إلى نقش يعود إلى عهد (شلمنصر الثالث) حوالي (٨٥٤ق.م) وقبل ذلك لم يك أي ذكر للعرب.

وكان يعتقد حتى وقت قريب، أن التجمعات السكانية كانت فقط في بلاد الرافدين وأريحا، ولكن المكتشفات الحديثة أثبتت أن صحراء الربع الخالي كانت تعج بالمياه والسكان وان منطقة (عين الغزال) في الأردن كانت تزيد على اكثر من ٢٠٠٠ نسمة حوالي ٧٠٠٠-٨٠٠٠ ق.م ولكن التغيرات المناخية هي التي أدت إلى الهجرة من الصحراء العربية بسبب جفاف الأنهر والينابيع حيث هاجرت القبائل إلى بلاد الرافدين ومصر طلبا للماء والقوت ، وهذا يعني عكس التوقعات العلمية التي قالت ان القبائل العربية هاجرت من (اور) الكلدانية ، ويمكن ان يكون هذا الكلام صحيحا اذا اعتبرنا ان هذه الهجرة هي الهجرة الثانية ، وهذه الهجرة الثانية نقلت معها الثقافة والدين من ارض اور وامتزجت بالثقافات الاخرى مع ظهور عصر الذهب والفضة ، وبدأت تتشكل معها ثقافة التوراة ، وهي بمثابة عصر الأدب الشرقي الثاني بعد (الاينوما ايليش) أي (عندما في الأعالي) وقد استوعب الاله (يهوى ، يهوه، يهو) كل صفات الاله مردوك من حيث قدرته على الخلق والإبداع وقهر أعداء بني اسرائيل كما فعل مردوك باعداء بابل وخلق (يهوى) الانسان كما خلق مردوك (لالو) وهذا مؤشر طبيعي على انتشار الثقافات الجديدة ومركزها (الرجل) مع وجود ثقافة اخرى مركزها (المرأة) غير انها تابعة ومهزومة بدليل ان كافة صفات الاله مردوك مذكرة مثل اسمه المذكر وايضا الاله يهوى اله اليهود مذكر وليس مؤنث.

العبرانيون:

سادت هذه الثقافة وانتشرت في صحراء النفود وهي معروفة اليوم باسم بادية الشام وصحراء الجنوب هي الربع الخالي الى البحر الاحمر ثم غربا باتجاه الشمال حتى البحر الابيض المتوسط واول مزج ثقافي كان بسبب اختلاط الساميين بالسومريين حوالي (٣٥٠٠ق.م)[٥٩] اذ هاجر الساميون وهم في حالة بداوة وتخلف بعكس السومريين العارفين بالحروف والكتابة لذا اكتسب الساميون من السومريين الكتابة وبدل ان ينتصر السومريون فقد اختلطت الثقافة السومرية الزراعية الامومية بالبداوة والخشونة نتج عن ذلك شعب جديد عرف فيما بعد بالشعب البابلي وقد اخترع البابليون هندسة القناطر الاقبية والعربة ذات العجلات ونظام المقاييس والموازين وكل ذلك ادى على يد البابليين الى قتل الروح القديمة للثقافة السومرية وادى الى ولادة عصر جديد يعتمد على المشاهدة والخبرة في قهر الطبيعة والتفنن في السيطرة عليها وفي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد حدثت هجرة اخرى وهي هجرة الكنعانيين وقد نزلوا هؤولاء غرب الشام وفلسطين بعد (٢٥٠٠) قبل الميلاد وقد اخترع الفنيقيون اعظم اختراع عرفته البشرية وهو (الحروف الهجائية) وعددها (٢٢) حرفا كانت هذه الحروف فيما بعد اساسا لكل الحروف وبين (١٥٠٠-١٢٠٠ق.م) تسرب البرانيون الى جنوب الشام وفلسطين والاراميون السريان الى شمال سهل البقاع جوف سوريا، والعبرانيون اول من اكتشف ديانة التوحيد بنظر اكثر المهتمين بالثقافة الشرقية والديانات السماوية الشرقية النشأة والمولد،

---

[٥٩] احمد، مصطفى أبو ضيف، تاريخ العرب، ص ١٦،ط٣، ١٩٨٦م دار الممعارف.

وارى أن البابلين وهم من اصول سامية هم اول من دل علـــى ديانـــه التوحيد حين استوعب مردوك صفات الاله المجاورة لبابل وهي خمسون اسما وصفة تدل دلالة واضحة على بسط سيطرة الثقافة الجديـــدة محـــل الثقافة القديمة وبهذا فان الافكار القومية بدأت تنموا وتتطور عبر ديانات التوحيد التي هي اصلا بداية البذرة الاولى للأفكار القوميـــة اذ ان قتـــل مردوك للأم تعامه واعلان سلطته الوحيدة هو دليل على نـــشأة الفكـــر الواحدي والثقافة الموحدة التي تهدف الى توحيد شعوب الـــشرق الادنى تحت امرة رجل واحد وكتاب واحد ودولة مركزية واحدة وهذا فعلا ما فعله حمورابي حين وحد الاقاليم المجاورة وهو ليس حبا للسلطة بقدر ما هو وضع اليد على انتاج الانسان وتوزيعه بشكل عـــادل ومـــرض او بشكل غير عادل وهو توزيع حصة الاسد الكبرى علـــى مـــن بيـــدهم الصولجان والقوة واول شعب في العالم توصل الى موضوع فائض الانتاج هو الشعب السومري ولكنه ليس الفائض المعروف اليوم انما فائض بسيط ادى الى من بيدهم القوة ان يعيشوا في مـــدن بدائيـــة علـــى (فـــائض إنتاج)[٦٠] الفقراء والمعذبين في الارض لذلك شنت الحروب الذكوريـــة من اجل الحصول على مصادر الطبيعة، والسيطرة على إنتاج الغذاء ، وتم بسبب ذلك المزج بين الغالب والمغلـــوب ، وكانـــت بعـــض الفئـــات الاجتماعية تنتصر ثقافيا وعسكريا وفي أغلب الاحيان تهـــزم عـــسكريا وثقافياً كما هو الحال اليوم عند أغلب الشعوب الآســـيوية والإفريقيـــة وأحيانا تنتصر الشعوب ثقافيا بنفس الوقت الذي تهزم به عسكريا كمـــا فعلت الثقافة المسيحيـــــــة أو الديانـــــــة المسيحية مـــــع (روما)

---

[٦٠] توينبي، آرنلد، تاريخ البشرية،الجزء الأول ترجمة نقولا زياده ص ٦٣ الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨١م.

في عهد (بولص) الرسول ، في البدايات الأولى للميلاد .

وكان من نتائج استعباد المصريين لبني اسرائيل ، انه نتج عن هذا الاستعباد إلصاق الثقافة الفرعونية بالثقافة السامية ، ولاول مرة خرج بنو إسرائيل من مصر وهم يحملون معهم صفات الإله (آتون) المصري ومن ثم إلصاقها باله بني إسرائيل (يهوى ، الحياة) أو (الحياة) معناه (واهب الحياة)[٦١] وكان هذا بعد عصر تدجين الحصان في السهول الأوراسية وبداية عصر البداوة بـ(٢٠٠ عام) تقريبا ، إذ بدأ تدجين الحصان حوالي (١٨٠٠ ق.م) واحتل الهكسوس مصر حوالي (١٦٧٤ق.م)[*] ولربما كان تعامل اليهود مع الهكسوس بهذه القوة راجع إلى طبيعة الوحده الثقافية بين الاثنين على اعتبار أن بني إسرائيل والهكسوس ينتمون إلى بقعة جغرافية واحده مما سهل طبيعة التفاهم بين الشعبين ، ولما حررت مصر قبض على اليهود بتهمة خيانه الدولة والنظام وفرضت عليهم الحكومات الجديدة المصرية ، انظمة شاقة ومهينه مثل استعباد الذكور واستحياء النساء ولربما ان الهكسوس هم نفسهم العبرانيون المهاجرون والعابرون وأعتقد أن التمثيل الجنسي بالعبرانيات كان هو السبب الذي جعل عند العبرانيين ردة فعل أخلاقية إذ ظهر الاحتشام على أيديهم لهذا السبب كان العبرانيون يرفضون رفضاً قاطعاً إقامة شراكة حقيقية مع الكنعانيين ذلك أنهم نظروا إليهم بحقد واحتقار كنظرتهم إلى الفراعنة الذين

اشتقاق كلمة الحياة كان أولاَ من الجهاز التنسالي للأنثى ويقول بعض العلماء أن الآلهة الذكور إغتصبوا من الإناث هذه الصفة وكان يهوى من أوائل المغتصبين

---

[٦١] توينبي ، آرند، تاريخ البشرية، المصدر السابق ص ١١٥.

[*]يجب التنويه إلى تضارب الأرقام بين المؤرخين وانها تختلف من مصدر إلى مصدر .

مارسوا الجنس مع نسائهم وبناتهم غصباً وكرهاً.

وفي بداية الأمر قام حكام مصر، بقتل جميع الذكور من بني اسرائيل بعد تحريرها من استعمار الهكسوس لهم، وكان العقلاء من البلاط الفرعوني قد اقترحوا على الفراعنه ، أن يقتلوا عاما ويعتقوا عاما وان تستحيا النساء الجميلات من بني اسرائيل وبهذا دفع اليهود ثمن تعلمهم سياسة اقتصاد الذهب والفضة ثمنا أخلاقيا باهظاً وانتقاماً اجتماعياً رذيلاً وذلك عبر جعلهم :-

البناء التحتي للمجتمعات الحديثة التي تعيش على فائض إنتاج الطبقات الدنيا والتسري بأجمل ما لديهم من المتع الجنسية كما يحدث اليوم للطبقات الفقيرة، وبهذا ساهم اليهود ببناء الأهرامات بما لديهم من عبيد، وساهموا أيضا ببناء الشهوات بما لديهم من جنس ناعم وبذلك يشير القران الكريم(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبنائكم ويستحيون نسائكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم[٦٢] وهذا من ابرز سمات الحضارة أن تعيش طبقة على حساب طبقة ، وان تتصارع الطبقة المغلوبة مع الطبقة الغالبة وذلك بهدف الصعود للاعلى وإسقاط الأعلى للاسفل ، وان التمايز الطبقي من أبرز سمات الحضارة الذي لولاه ما بنيت الأهرامات في مصر ولا ناطحات السحاب في أمريكا والدول المتقدمة اليوم، حتى مدينة بابل بعد وفاة حمورابي انتقل ميزان القوى منها إلى الآشورين في شمال العراق ، وقام (آشور بانيبال) بتخريب بابل وطمس حضارتها واعتلائه على أكتافها وذلك عبر تحويل مجرى نهر الفرات عليها وقام آشوربنيبال

---

[٦٢] القرآن الكريم.

باستغلال كل خيرات بابل لصالح عاصمته الجديدة (نينوى) وهي مدينة الموصل اليوم، وبهذا اعتلى الشعب الآشوري المقهور فوق الشعب البابلي القاهر وتحويله من غالب إلى مغلوب واستعباده والعيش على فائض إنتاج البابلي المغلوب وبناء القصور الآشورية من عرق الشعب البابلي الذي بقى مقهورا زهاء اكثر من خمسمائة عام[٦٣].

وهذا هو السبب الذي حدى بالأنسان الشرقي للتركيز على مفهوم الوحدة الدينية والثقافية والسياسية الواحدة ، وذلك بهدف الاعتلاء وتحقيق مفهوم الغالب والمغلوب ، لذلك بحث الشرقيون عن الوحدة الاجتماعية لمواجهة تصرفات المحتل ، وان حمورابي والاله مردوك وبني اسرائيل هم اول من عزز مفهوم الاله الواحد والدولة الواحدة والكتاب الواحد وبهذا فإننا نحن الشرقين نتميز عن غيرنا بالتركيز على مفهوم القومية والتوحيد والأديان التوحيدية وبهذا لا نستطيع أن نقول أن ديانة (آتون) هي أول ديانة توحيدية، لقد ساهم العبرانيون والبابليون في تعزيز الديانات التوحيدية بسبب تقارب مفاهيم بناء المجتمع الحديث القائم على سلطة الذكر وبناء الدولة الواحدة الحديثة، ومن أجل تحقيق وحدة إنتاجية اقتصادية بين كافة فئات المجتمع في ذلك الوقت.

وبالعودة للوراء نجد أن أمراء طيبة طردوا من مصر في معركة (مجيدو) الشعوب الهكسوسية المهاجرة على يد (تحتمس) ونجد أن تحتمس هو أول غريب يتدخل في الشؤون الآسيوية ويخضع الأردن وسوريا وفلسطين لحكمه وبالتالي فان الاستعباد لم يكن لبني

---

[٦٣] النجار،منيره موسوعة أحداث العالم المصورة ص ٢١ المصدر السابق.

إسرائيل لوحدهم. ويؤكد على مفهوم الغالب والمغلوب عبر إســـتعباد كل من الساميين من العراق إلى فلسطين وبهذا تعلم (الكلدانيون) مـــن جيراهم المصريون وتحالفوا مع (الميديين) عام (٦١٢ ق.م) وغزوا نينوى عاصمة الآشوريين وهي (الموصل) اليوم وخربوها وبعد مائة عـــام قـــام (نبوخذ نصر) بتخريب (أور-شاليم) وسبى اليهـــود عـــام (٥٦٨ق.م) وهذا يفسر لنا طبيعة النظام الاقتصادي الذي تعيش به طبقـــة علـــى حساب طبقه أخرى، وكيف تتم عملية الجلاد والمجلـــود إذ أن المـــرأة والرجل والطفل والكبير والصغير يوضعون كلهم تحت وصاية الجـــلاد الذي لا يرحم سوطه أحد ، وإن طبقات اجتماعيه كاملة توضع تحـــت وصاية المنتصر الذي يملك أدوات القوه التي تتحكم بالمنتج سواء أكـــان امرأة أو رجل وبهذا فإن خروج (موسى) ببني إسرائيل من مصر ، كان بهدف تحريرهم من الطبقات العليا التي تعيش على فائض إنتاجهم مـــن السلع ومن القوى البشرية التي تحولت إلى طبقة عبيد من جنس الذكور وإماء وموسات من جنس الإناث . وهذا يفسر لنا كـــره الـــشرقيين للإناث عند ولادهن ذلك أن هتك عرض المغلوب ضرورة حتمية لتأكيد مفهوم الغالب والمغلوب وهذا دائما ما يتمثل بالتمثيل الجنسي بالنـــساء سواء أكان أخذهن غصبا أو عن طيب خاطر كما يتم اليوم اخذ النساء الجميلات من الدول الفقيرة والمغلوبة إلى الدول الغنيـــة ،ولقـــــــــد افتخر في الماضي (تحوتمس) الثالث بعد تحريره مـــصر مـــن أيـــــــدي الهكسوس إذ أفتخر هذا كثيرا بما جلبه من ارض كنعـــــــان مثـــل العاج والتماثيل الذهبية والأبانوس وربما النســـــاء السبايا وكان هـــذا لكل شعوب المنطقة من البحر إلى النهر ، وإن خـــــروج موسى بـــبني

إسرائيل من ارض مصر إلى فلسطين كان خروجا واختيـــارا صـــحيحا ذلك ان الشعب الاسرئيلي كان يشترك بمأساته مع كافة شعوب المنطقة التي خضعت للمنتصر ، وفلسطين هي جزء من الهلال الخصيب ألـــتي ولدت بها اكبر ديانتين متصارعتين حتى اليوم ويرى بعـــض المختـــصين بالثقافة الشرقية ان فلسطين(*) قد ظهرت على خشبة المسرح بعد ظهور عصر الكتابة في سومر (٣٢٠٠ق.م) وذلك عـــبر الهجـــرات المتتاليـــة للكنعانيين من جنوب الجزيرة العربية و(كنعان) وهو ابن (حام بن نـــوح)نزل ارض ميعاده في الساحل واقاموا مدنا بأسمائهم وهم(٦٤)

١-الصيدونيون ٢-الحثيون ... الخ على فلسطين (مريام) أو اموريـــا الشمالية ومن الكنعانيين ايضا (سالم اليبوسي) الذي بنى مدينـــة (اور-سالم) او (اور-شاليم) وهي مدينة القدس اليوم وهناك مـــن يتحامـــل كثيرا على بني إسرائيل وعلى الثقافة العبرية وكأنها ليست مـــن مواليـــد الشرق وهذا كله بسبب المواقف الحركية مـــن القـــضية الإســـرائيلية وشرعية وجودها في العصر الحاضر،اذ ان كل ما كتب عن بني اسرائيل هو وليد العصر الحديث أي قبل مائة عام من كتابة هذا الكتاب وبالتالي لاتوجد اراء علميه بحته عن هذا الشعب الاالقليل والنادر الذكر بـــسبب طبيعة العداء العربي لاسرائيل والاسرائيلي العربي ويرى اكثر الباحثين ان كل فصول وأسفار التوراة مسروقه عن الاداب البابليه :- مثل اســـطورة الخلـــق البابلي واسطورة خلق الله للعالم في ستة ايام واسطـــــورة الطوفـــان طوفـــان

(*)آرا ءتقول ان الفلسطنيين قدموا من جزر اليونان وايطاليا يدعون: (فلست) أو (ابلاســـت) وجمعهم فلستينيون وابلاستيون ثم قلبت التاء طاء فصارت فلسطينيون.

(٦٤) الباش، حسن، الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي المصدر السابق ص ١٤.

نوح وطوفان (أوبنشتايم) في ملحمة الملك جلجامش ، وجميع فصول التوراة متشا بهه مع الاداب البابليه القديمه ، ولا ارى في هذا سرقة وانما نمطا انتاجيا واحدا لثقافة واحده وفي فتره او في (عصر التسلل) تسلل القبائل الساميه الى مصر المعروفه باسم الهكسوس لم تك خاصه ببني اسرائيل بل كانت تجمع في هجرتها القبائل من غرب الاردن وشرقه، ولما وقع الاضطهاد المصري على القبائل المهاجره لم يك هذا الاضطهاد خاصا ببني اسرائيل بل كان خاصا بكل القبائل المهاجره والمتسلله ، وجاء في سفر الخروج:

(.. وقال لهما اذا استولدتما العبرانيات فانظر عند الكرسي،فان كان ذكرا فاقتلاه وان كانت انثى فاستبقياه، الإصحاح الأول سفر الخروج)

وهذا يفسر لنا طبيعة الموقف من المرأة والرجل فاستبقاء المرأة هو فقط من اجل التمتع بها ، ولقد عثر العالم المصري (سليم الحسن) المختص بالاثار المصريه على رسالتين في تل العمارنه يذكر فيها شعبا متسللا باسم :- (الخابيرو) وهذا اقدم ذكر للعبرانين باسم (الخاييرو) مع ابدال حرف الخاء عينا والعين خاء والرسالتان عائدتان الى عصر انهزام الهكسوس ١٤٠٠ق.م وهذا نصها:

(استرضاء لسيدي أتممت أمره، الذي أنفذه إلي قائلا أعط الجنود قوتهم وأعط أيضا (العبريون) الذين ينقلون الحجاره لبناء الملك رعمسيس ومريمانا خليل العدل والذي وكل أمره الى رئيس الشرطه (عيتميان)

فإنا آجرين عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الاوامر الساميه التي أنفذها الي سيدي)[٦٥] [*]

وهذا نص الرسالة الثانية:

(أطعت ما أمرني به سيدي قائلا أعط الجنود أرزاقهم و(العبريو) أيضا الذين ينقلون الحجارة هيكل الشمس الذي انصرفت اليه عناية رمسيس مريمانا في جنوب منف)

وهاتان الرسالتان تحتويان عدة دلالات أهمهما ذكر الشعب العبري من بني إسرائيل ،وثانيا تدل على استعباد مصر للشعب الآسيوي الذي وقع تحت رحمة الفراعنة وليس هنا لك رحمة وثالثا: تدل الرسالتان على أن بني إسرائيل والعبريون هم الذين قاموا ببناء الاهرامات بجهودهم وعرقهم وتدل هاتان الرسالتان رابعا على الجذور الأولى لكلمة (خليل)إذ كان يقول المصريون واصفين ملكهم:ب(خليل +العدل)الذي إنتقلت صفاته مع بداية كتابة التوراه إلى (إبرا العبري)الذي لقبه بنو إسرائيل فيما بعد بلقب (خليل الرحمن)،وهذا كله بسبب سياسة الأقتصاد الحديث الذي وضع المرأة والرجل معا موضعا دنيئا وبرغم كل جهود الأنبياء والسياسيين والمثقفين فان التوصل إلى حلول عادلة وشاملة ما زال حتى اليوم حلما (يوتوبيا) خياليا مستحيلا فطالما أن النظام الأبوي قائم ، طالما ان هنالك تميزا طبقيا وتمايزا ثقافيا ،وإن قضية المرأة الشرقية والرجل الشرقي هي قضية صراع اقتصادي قائم على

---

[٦٥] دروزة، محمد تاريخ بني اسرائيل ص ٣١+٣٢ المطبعة العصرية طبعة جديدة، صيدا – بيروت١٩٦٩م.

[*]راجع حول هذا المفهوم كتاب جودت السعد، أوهام التاريخ اليهودي، الأهلية للنشر والتوزيع –عمان الاردن ط ١–١٩٩٨م ويرى جودت السعد أن لفظ (خيرو)كان معروفا سنة ٢٠٧ق. م وكان يطلق على المحاربين في جيش (نرام سين) ص ٦٥–٦٦.

سلطة الأقوى الذي يهدف لأن يعيش اشخاص في جزر شبه معزولة عن باقي الطبقات الأجتماعية على فائض إنتاج المغلوب من الفقراء.

وهذا النظام الاقتصادي الذي يخلق طبقتين إجتماعيتين ليس خاصاً بشعب معين بل أن كل شعوب العالم تعاني منه منذ بداية النظام الاقتصادي النقدي الذي يعتمد على فائض إنتاج المزارعين من منتجي السلع ،وهذا الفائض في الإنتاج الاقتصادي أدى لأن تعيش فئات اجتماعية في مدن شبه معزولة عن طبقة المنتجين الحقيقيين للسلع وإن سيطرة الطبقة العليا بتغلبها على الطبقة الأدنى، خلقت نظاما ثقافيا دينيا جديدا يعتمد على الحكمة والصبر وغنى النفس وأشاعته بين الناس مع فكرة اكثر قبولا وهي الجنة والآخرة والسعادة الحقيقية هي بالصبر على المكروهات لا بالتمتع بالمتع الحقيقية ،وبسبب إحساس الفقراء والمعدمين بالجوع والفاقة فإنهم رسموا بأخيلتهم (أحلام يقظة) مثل : العدل والحرية والمساواة بين فئات مجتمع يعتمدون على التمايز الطبقي، وبالتالي ظهر ملوك وحكام على خشبة المسرح ينادون بالعدل مثل (رعمسيس خليل العدل) الذي إمتزج مع صفات (إبرا العبري) او(عبرا العبري) الذي سماه بني إسرائيل فيما بعد ب(خليل الرحمن) وهذه المزايا والفروقات شاعت في المواقع الزراعية المنتجة للسلع وفائض الإنتاج أنها تجارة بأماني الأمم الفقراء وأن التاريخ لا يرحم المغلوب بل ويزيد من قهره حين يتجاهله ويناديه أنه يناضل من أجله، غير أن الغالب يتاجر ويربح ويكسب من أحلام المقهور.

معنى لفظ العبري واليهودي:

أقدم مفهوم للثقافة العربية كثقافة نوعية مستقلة بذاتها أو أقدم جذور لها هي الثقافة (العبرية) ،وقد بدأت هذه الثقافة تتشكل من خلال مصدرين هامين وهما : البابلية القديمة والفرعونية ، أما الأولى فقد ترسبت في أذهان العبريين من خلال الوحدة الجغرافية والقبلية على إعتبار أن العبريين هم من القبائل المهاجرة من بلاد الرافدين إذ هاجر (إبراهيم سنة ١٩٠٠ق.م) مع قومه من (أور) ونقلوا معهم كل فنون الثقافة الرافدية، فالفضل في ديانة التوحيد يعود إلى العبرانيين الذين نقلوا صفات الإله (مردوك)[٦٦] إلى يهوى،من ثم نقلوا فكرة خلق العالم في ستة أيام مع العطلة السبتية التي نقلوها عن المرأة الحائض التي تعفى في أيام الحيض من كافة الأعمال المترلية والتي تحدثنا عنها في الصفحات الماضية، إذ إعتقد البابليون أن الآلهة عشتار تكتمل دورتها الشهرية مع إكتمال الشهر القمري، لذا عطل البابليون مرة واحدة في آخر كل شهر قمري ثم في كل ربع من ارباع الشهر وأطلقوا على هذا اليوم إسم (إسباتوا)[*] ثم نقله العبرانيون إلى ديانتهم التوحيديه واسموه (إسباتو) وعرفه العرب بإسم (السبت) أو السبات بمعنى الراحة والنوم العميق،لذا فإن الثقافة العبرية هي مولودة النشأة في الشرق الأدنى ،وحصل مع الثقافة العبرية ما حصل مع كافة الثقافات التي تأثرت بسطوة الرجل على المرأة مع ظهور الاله (يهوى) الإله الذكر

---

[٦٦] سالم، عبدالعزيز، تارخي العرب في عصر الجاهلية ص ٤٧٥، دار النهضة بيروت ١٩٧١.

[*] يقول البيروني، ان العرب تبدل بالحروف حين تنقل الكلام من لغة للغة ومن لهجة للهجة ، حسب تقارب المخارج الصوتية مثل: الالف والعين والتاء والطاء.

صاحب القوة الذكورية وهذا بسبب إنتشار الأنظمة الأقتصادية الحديثة التي تعتمد على (رأس المال) الذي يوفر تجنيد الجيوش النظامية لحماية الممتلكات الرأس مالية ،وهذه الأنظمة ظهرت أولا في بلاد ما بين النهرين وبلاد النيل (مصر القديمة) لذلك انتقلت هذه الشعوب من نظام ليس به مسيطر إلى نظام حب السيطرة والتملك ، وأعظم حضارة قديمة تعاملت مع هذا النظام الأقتصادي كانت مصر القديمة.

لذلك بدأت تظهر حركة الانزياح السكاني او كما يسميها بعض المؤرخين بـ(حركة التسلل) وهي حركة قبائل (الهكسوس) إلى الأرض المصرية ذات الاقتصاد القوي حوالي (١٧٥٠ق.م) وهذه الحركة جاءت بعد الهجرة (إبراهيم ١٩٠٠ ق.م) بمائتي عام تقريبا ، لذلك سمو أو اتصفت القبائل المها جره بصفة (العبرية) وذلك لكثرة عبورهم من موقع الى موقع وقيل لعبور إبراهيم الفرات وانهر أخرى[٦٧] وهكذا ظلت حالهم إلي إن استقروا في أرض كنعان فكرهوا ان يقال لهم (عبريو) فاصبحوا يؤثرون ان تعرفهم الناس ب(بني إسرائيل) لذلك فهم العبريون خلال فترة تنقلهم من موقع لموقع وكما جاء أيضا في رسائل تل العمارنة السالفة الذكر إذا طلق عليهم لفظ (عبريو)(خبيرو) وأطلق عليهم لفظ(اليهود) لعدة أسباب أهمها حين سقطت مملكة (يهودا)

في بلدان الخليج العربي مازالوا يستخدمون لفظ (عبري)للمسافر مشياً على الأقدام –المقدم.

---

(٦٧) الطنطاوي، محمد سيد ، بنو إسرائيل ص ٤+٥،الناشر المؤلف وجامعة البصرة بغداد ١٩٦٨.

على يد(بختنصر٦٥٨ق.م)وساقهم سبايا الى مدينة (بابل) فقيل لهم (اليهود) وللواحد منهم(يهودي)، وقيل سمو باليهود لتحركهم كثيرا عند قراءة التوراة، وقيل نسبه لابن يعقوب الرابع يهوذى[٦٨] وقيل سمو يهود لما تابوا عن عبادة العجل وجاء في لسان العرب تعريف :-الهود- بالتوبة) لقوله تعالى: (وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنه وفي الاخره أنا هدنا إليك[٦٩] والجدير بالذكر ان العبرنيين هم اول من وضع أسس الثقافة الدينية وخلطوها بالتراث البابلي والمصري ونقلوا كافة العلوم الشرائعيه من هنا وهناك.

العبرانيون أول من اشتق كلمة الأنثى ومفاهيم أخرى:

وهم الذين نقلوا الإلهة (إناث أو إناثا) المشتق منها اسم (الأنثى) وهي ابنة الإله (بعل الفينيقي) وإناثا هي الهة المحا صيل العذراء نقلها (العبريون) الى مصر اثناء فترة التسلل الهكسوسي إلى مصر ولقبها (قادش) او(القديشه)[٧٠] ويرى (عباس محمود العقاد) في كتابه (ابليس) ان كلمة القديس والقديسات كانتا تطلقا عند البابليين والكنعانيين على الذكور والإناث الذين يمارسون (البغاء المقدس) في هيكل الربه (عشتروت) وقد ترجمت هذه الكلمات في العهد القديم بالمأبونين والزانيات وهي في الأصل من لفظ (القديش) ويقال أن الربه نفسها كانت خليله لكل الأرباب[٧١] والعبرانيون هم أول من أشاع قصة خروج آدم وحواء من الجنه

---

[٦٨] الطنطاوي ، محمد سيد ، بنو اسرائيل المصدر السابق ٧+٨.

[٦٩] القرآن الكريم.

[٧٠] عبدالحكيم ، شوقي ،مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، ص ٦٩ دار ابن خلدون-بيروت ط ١-١٩٧٨م.

[٧١] العقاد، عباس محمود، ابليس، ص ٣٣+٤٠ ط ٢بيروت-دار الكتاب العربي .١٩٦٩

وعمموا بذلك مفهوم الشيطان على كل الثقافات الشرقيه اذ اعتبروا ان الشيطان تمثل لآدم في صورة الحية حين أغراه بأكل الثمره المحرمه لـــذلك إنتشرت هذه الثقافه عند العرب اذ كان العرب يسمون الافعى الكـــبيرة والضخمه بالشيطان وهذا يفسر لنا قوله تعالى (طلعهـــا كأنـــه رؤوس الشياطين [*]) وهذا كله بسبب تعميم بني اسرائيل لثقافتـــهم الجديـــده ، ولسبب ان بني اسرائيل امه كتابيه فقد عـــادوا العبـــادات والـــديانات الوضعيه واعتبروا ان (بعل ومردوك) هما ديانه وضعيه من صنع البـــشر ولهذا السبب عمموا مفهوم عبادة الاله (يهـــوى) و(إيـــل) ووضـــعوا الشيطان بمقابل ذلك كموسوس ونقيض لافكارهم والدال على ذلـــك كلمة الشيطان إذ انها عبرية الاصل ومعناها (الضد والعدو).

وإحتقروا (بعل زبوب) ووصفوه أنه (رب الزبالـــة) [*] لـــذلك عممت شعوب الشرق الأدنى صفة (زبال) على الإله بعل، وما زال هذا اللقب منتشرا حتى اليوم عند فلاحي الأردن وفلسطين وأنزلوا بعل مـــن مرتبته العليا إلى مرتبة الزبالة و(الزبالة) التي تعني عند الفلاحـــين وســـخ الماعز الذي (تزبل) به الأرض، وقالوا ايضا أن المزروعات البعلية –نسبة إلى بعل– تسقى بالأمطار مثل : (البندورة البعلية) وهذا كلـــه بـــسبب تنافس الأقطاب بين الثقافتين المذكورتين ثقافة بعل وثقافة يهوى و(أيل) وأنزلوا بعل وثقافة الإلهة عشتار والصقوا صفات عشتار بالبهائم لـــذلك قالوا ومازالوا حتى اليوم يلصقون صفة (معشرة) بالأبقار والحيوانات، ومع كـــل هذا العداء فما زال حتى اليوم يوصف الرجل الـــزوج بـــ(البعل) رغم إلصاقهم

---

[*] القرآن الكريم.

[*] وما زال العرب في شمال الأردن إلى اليوم يقولون عن النفايات "زبالة".

هذه الصفة بالذكر الفحل (البغل) وكان من شعارات بني إسرائيل حين ظهر المسيح : أن المسيح يشفي المرضى بمساعدة الإله (بعل زبول) وذلك حتى ينفر منه أهل بيت المقدس وبيت لحم والناصرة[٧٢] وبعل إله بـــابلي ومن اسمه ايضا أشتق اسم مدينة (بعلبك) اللبنانية وأول ما ظهـــر عنـــد البابليين ظهر باسم (بل)[٧٣] وكلمة (بل) تعني عند الكنعانين (الـــسيد) أي (الزوج) وجمعها عندهم (بعليم) وهو نفسه (مردوك) الذي قـــضى على الاله (تعامه) في معركة (الأينوما-إيليش) وهي ملحمة الخلق البابلي ولكن الثقافة العبرية انتقمت للآلهة تعامه وقضت على عبـــادة (بعـــل - بعليم) ولكنها في نفس الوقت لم ترجع عبادة الأم تعامه لتقـــيم ديانـــة زراعية تعتمد على المرأة الأم الأنثى التي تشترك مع الطبيعة في خصائصها ولكنها رجحت عبادة اله ذكر هو (يهوى) و(ايل) اللذان يشتركان مع الثقافة والعلم في كل خصائصهما مثل : النظام الاقتصادي الحديث الذي يعتمد على الذهب والفضة وعلى حب السيطرة على كل شيء وعلـــى حب التملك للأرض والإنسان معا، لذلك أقام اليهود مملكتهم الجديـــدة على نهج مملكة مصر القديمة صاحبة فكرة اعتماد الذهب والفضة لتغطية كل السلع، لذلك فأنه من الخطأ الجازم أن نقول أن الدولة الفارسية هي التي قضت على الثقافة الرافدية والمصرية مع أنها ساعدت وقضت نهائيـــا على الوجود العسكري للدولـــة البابلـــية والمصرية، أما الانهزام الثقافي فقد فعله

---

(٧٢) العقاد، عباس محمود، ابليس، ص ٦١-٦٢ المصدر السابق.

(٧٣) عبدالحكيم، شوقي ، مدخل لدراسة الفولكلور ص ٣٢ السابق

راجع ايضاً: موسوعة تاريخ الحضارات العالم ص ١٦٧موسوعة في سبع ملجدات باشراف موريس كروزية ج١-الشرق اليونان القديمة/أندريه ايمار وجانت او بواية-منشورات عويدات بيروت باريس ١٩٩٣.

العبرانيون على يد إلههم يهوى وأيل، ويهوى أصلا اله غريب أحضره العبريون معهم من مصر ذهنيا أي انه لم يكن له شكل (ناسوتي) أي أنه ليس وثنا أو صنما ولكنه صفة جميلة ومحببة من صفات (اتون) ومعنى هذه الصفة (يهوى- واهب الحياة)[٧٤] أو (الحياة) ولأن صفاته لاهوتية فقد عبده العبرانيون عبادة غيبية بخلاف العبادات المنتشرة في منطقة الشرق الأدنى، أما الإله (إيل)[٧٥] فقد عرفه عرب الشمال بـ(إل إل إل إل) ويقول أكثر الباحثين أن أل (إل إل إل) عند العرب الشمال، هو حرف تعريف ويرى المختصون بذلك أن عرب الشمال والعبرانيون كانوا يعتبرون أن لفظ اسم الإله أعظم من أن يذكر على ألسنة البشر لذلك تحرجوا من ذكره وأشاروا إليه إشارة بـ(إل) التعريف وبعد ذلك أدغمدت اللآت في بعضها البعض وتحول اللفظ من (أل أل أل - إلى - أل الله) وهذا هو الجذر اللغوي لكلمة (الله) ويرى ابن (خالويه) في كتابه (اعراب ثلاثين سورة من القرآن) أن الأصل في كلمة (الله) هو (الإله) ويرى أن لفظ الإله أسبق من لف
على كلامه قول عبد الله بن رواحه:

من أين جاء إشتقاق لفظ الله

---

[٧٤] توينبي، ارنلد، تاريخ البشرية ، ص،١١٥ ترجمة نقولا زياده، الأهلية للنشر والتوزيع.

[٧٥] الهدروسي، سالم، الطقسية الاسطورية في عينية أبي ذؤيب الهذلي-مجلة أبحاث اليرموك مجلد٢ عدد ٢٠٠٤/٢ من ٢٩١.

باســـم الإلـــه وبـــه بـــدينا   ولـــو عبـــدنا غـــيره شـــقينا

وحبذا رباً وحـــــب دينـــا

وقال معلقاً على هذا (حذفت الهمزة اختصارا وأدغمت اللام في اللام و لم تنون لدخول الألف واللام ونقل عن ابي علي النحـــوي ان الله من (تأله الخلق) اليه أي فقرهم وحاجتهم اليه، أي أنهم يتولهون بـــه(*)، وكلام ابن خالوية يعزز النظريات الحديثة ولا يخالفها فلـــو أدرك ابـــن خالوية المكتشفات الحديثة لقال ايضا: أن أصل كلمة الاله هو اصل الاله الكنعاني (إل) ويقول الدكتور ديتليف نيلس : (أن هنالك اسماً واحـــداً مشتركاً بين اسماء الألهه العرب يجب ان نذكره وهو (إل) أو (الإله) بمعنى (الله)(**)

(*) هو أبو عبدالله بن احمد المعروف بابن خالويه والمتوفى في سنة ٣٧٠هـ، حققتـــه دار التربيـــة للطباعة والنشر.

(**) سوسه، أحمد،العرب واليهود في التاريخ ، ص ٦٩.

الفصل الثاني

بين ثقافتين زراعية ورعوية

لم يعرف الشرقيون ثقافات وافدة منذ بداية الخط المسماري حوالي (٢٣٠٠ق.م) لأنهم سابقون على الثقافات الأخرى مثل اليونانية وفلسفاتها والرومانية وقوانينها، ولكنهم عرفوا مراحل متطورة من مراحل نمو الثقافة الشرقية ،مثل ثقافة (عصر جمع القوت) الذي عاش به الإنسان مع الإنسان دون الإحساس بفوارق اجتماعية بينه وبين الآخر ، أو بين الأنثى والذكر ، وتطور بعد هذه المرحلة واصبح ينتج السلع والقوت ، وتحول إلى منتمى إلى الطبيعة ومن ثم إلى متميز عنها مع بداية دخوله عصر بداية استخدام الأدوات المعدنية وبداية بناء السدود وشق الطرق الزراعية مع بداية السيطرة على الماء.

ومن هنا عرف الشرقيون ثقافتين الأولى زراعية تختص بالتربة والأرض وروحها روح الاستقرار ومدجنة وملتصقة بالأرض التصاق الروح بالجسد ، وهذه كانت منذ بداية تدجين الحبوب حتى اليوم ، وثقافة أخرى رعوية وهي مختلفة كل الاختلاف عن الثقافة الزراعية إذ أنها أولاً :غير ملتصقة بالأرض وغير مستقرة وغير مدجنة- بضم الميم – وغير مدجنة–بكسر الجيم –. إلا قبل مائتي عام من كتابة هذا الكتاب إذ تحول الرعي إلى علم زراعي بفضل تدخل الإنسان بالصناعات العلفية وتحسينها لتحسين إنتاج اللحوم والحليب وبيض المائدة كما سنرى في نهاية هذا الكتاب.

لذلك ارتبطت الثقافة أو الفئة الزراعية برابط الإنتاج والخصب وتحسين الإنتاج ، عن طريق الطرق التقليدية الزراعية،ولما كانت هــذه الطرق غير كافية لتحسين الإنتاج ، فان المزارعين والمجتمعات الزراعيــة لجأوا إلى اختراع ثقافة دينية تعني بالخصب والنماء وزيادة الخصب عــبر تشكيل عبادات الخصب وطقوس الجنس المقدس وبقيت هــذه الفئــة الزراعية تدين بالولاء للمرأة وللطبيعة معاً وذلك كما أسلفنا في الفــصل السابق للتشابه القوي بين المرأة الام وطبيعة الام من حيث وظيفة كــل من الطبيعة والمرأة ، والطبيعة تزود الإنسان بالزرع والمزروعات لــذلك فهي مصدر الحياة، والأنثى تزود الإنسان بنوعه عبر الولادات المتكررة في رحم المرأة ، ولهذا اعتبر الجنس عند الثقافة الزراعية عاملاً محفــزاً علــى استمرار الحياة وتكرارها في دورة طبيعية تقوم بأدائها كائنات مؤنثــة ، لذلك انتشرت الصور المتكررة للتماثل الأنثوي ، مثل تمثال (ربة الينبوع) إذ تظهر به (عشتار) وهي حاملة بين ذراعيها جرة فخارية ،ووجــد في تلك الفترة حوالي (٧٠٠٠-٤٠٠٠ق.م) جرار فخارية في الشرق الأدنى يبدو أنها لدفن الموتى وتظهر فيها عظام الميت بشكل (مكوَّر) كما هــو الوضع للجنين في رحم أمه ، على اعتبار أن الجرة تشبه المرأة من حيــث التفاصيل الجسمانية ووضع الإنسان بها يشير إلى وضع الخلق البدائي وإلى أن الذي يعطي هو نفســـه الذي يقدر على الأخذ وبالتـــالي فان عودة الإنسان للأرض داخل جرة فخاريـــة هو إشــارة أيــضا لعودته إلى خالقه الذي بدا منه وانتهـــى إليــه ، لــذلك نــشــأ الإنسان في بلاد الرافــدين وبلاد كنعان وهو محب جـــداً للأرض وللمرأة وملتصق بالاثنتـــين معاً ولهذا السبب فإن المزارعين هم أول

من قام ببناء المدن ذات الأسوار مثل أريحا والبيضاء في الأردن والأولى عائدة إلى الألف الثامن قبل الميلاد والثانية عائدة إلى الألف التاسع قبل الميلاد وكانت الأسوار تبنى كحد فاصل بين القرية وبين الأراضي الزراعية.

بمقابل هذا كله تشكلت في منطقة الشرق الأدنى في صحراء الأردن والحجاز وارض سيناء قبائل أو فئات (رعوية) تقوم على الرعي في المواقع قليلة الخصوبة من الأرض وهذه الطبقة الاجتماعية (مستهلكة) لموارد الطبيعة وغير منتجة ولا تستثمر في الأرض أو الإنسان ، وفي سني القحط تلجأ إلى الاستيلاء على أراضي المزارعين وتخريبها للحصول على (الغذاء) من قبل المزارعين المنتجين للسلع وللمزروعات الصيفية ، وتختلف الثقافة الزراعية عن الثقافة الرعوية اختلاف المجتمعات الزراعية عن المجتمعات الرعوية ،إذ أن المجتمعات الزراعية مجتمعات مثقفة بسبب العلوم الزراعية السائدة في كل عصر على حده، وبسبب نشوء المدن واستقرار المثقفين والسياسيين ورجال الدين والهياكل الدينية في المشاعات القروية البدائية في كل قرية زراعية[٧٦].

أما المجتمعات الرعوية (البدوية) فإنها تختلف عن المجتمعات الزراعية اختلافاً كلياً :

أولاً: الرعاة، غير مستقرين في أغلب الأحيان.

ثانياً: غير مثقفين مدنياً، بسبب هجرة المثقفين إلى المواقع الزراعية وبقاء غير المثقفين على حياة البداوة.

ثالثاً: غير مؤهلين لبناء المدن لأنهم لا يحبون الاستقرار وغير

---

(٧٦) الأهواني ، احمد فؤاد، المعقول واللامعقول ، ص١١٠+١١١، دار المعارف، مصر١٩٧٠،م.

منتجين صناعياً.

رابعاً: غير منتجين للسلعة، بعكس المزارعين المنتجين للحبوب والمدجنين لها.

خامساً: دائماً في حالة استعداد للحرب ويتصفون بالكرم وحسن الضيافة اكثر من غيرهم، وذلك يعود إلى طبيعة المناخ الصحراوي، إذ أن الإنسان يموت جوعاً وعطشاً في الصحراء إذا لم يجد من يتكرم عليه بالماء والطعام وهذا أعطى الصحراء طبيعة مناقضة أحياناً للواقع.

وهذا بعكس المزارعين إذ انهم دائماً في حالة استعداد للسلم لذلك انتج المزارعون ثقافة قوية ومستقرة. وخصصوا لكل شيء آلهة مؤنثة فكانت عشتار هي الأقوى بين جميع الآلهة ، وامتاز المزارعون عن (الرعاة) بطقوسهم الجنسية المقدسة فكانت النساء تهب نفسها لرجال الدين في الهياكل الدينية بهدف زيادة الخصب والنماء لذلك ولد أشخاص نصفهم (اله) ونصفهم بشر ، ولما ولدت (مريم – العذراء) قال لها اليهود (يا أخت هارون ما كان أبوك امرئ سوء وما كانت أمك بغيا)[٧٧] إذ كان ذلك إشارة من اليهود إلى مريم أنها تمارس (البغاء المقدس) لان مريم كانت تلزم الهيكل مع زكريا زوج خالتها ، ولما كبر المسيح (آلهةْ) المزارعون وليس اليهود على اعتبار إن نصفه اله ونصفه بشر وان عيد (الفصح المجيد) الذي يحتفل به المسيحيون على اعتبار انه قيامة المسيح في ليلة ٤٢ و٢٥ اذار هو عيد ربيعي، وهو قيامة السيد المسيح من بين الأموات بعد أن (مشى على درب الآلام الحزينة) وهذا لا يخص اليهود في

---

(٧٧) القرآن الكريم،سورة مريم.

شيء لذلك وجب عليهم أن يحاربوا المسيح لأنه مخالف لطبيعة ثقافتهم الرعوية ، وهذه الصفات التي أطلقت على المسيح هي في الأصل صفات الإله (بعل) الزراعي العدو اللدود ليبهوه الرعوي، وقد حلت مريم محـــل الآلهة عشتار، ومازال حتى وقت قريب في (إيطاليا) يدعون مريم ب¯(افر وديتا) على اعتبار أنها تشترك مع مريم في كثير من الخصائص والصفات.

ومن الخطأ الجازم اعتبار أن الصليب هو التمثيل الناسوتي لصلب المسيح ، ولكنه قبل دعوة المسيح بمئات السنين كان يظهر في يد الآلهة عـــشتار وفي يد(بارات) الفينقيه المشتق منها اسم مدينة (بيروت) اليوم . وهـــو يرمز إلى (الخصوبه) وليس إلى قصة الصلب الرومـــاني للـــسيد المـــسيح والصليب أيضا رمز الآلهة (اندارا) وشكل .الصليب هو شكل للكلمـــة (الويا) وهي سومرية الأصل**ELELEU**–هلوليا) ومعناها :- (اله الـــسائل المنوي) أو السائل المخصب[٧٨]وبهذا تكون الديانة المسيحيه الشرقيه ديانه زراعيه وثقافه طبقة زراعيه مخالفه لشريعة اليهود رغم قول السيد المسيح (ما جئت لانقض الناموس وانما لاتممه) وهو يعني بالناموس (التوراة) أو القوانين التورانية وكانت أعياد الخصب الزراعية تنتشر في كل المواقع الزراعية من بـــــلاد فـــــارس إلى البـــحر الأبيض المتوسط

أصل الصليب في التراث الشرقي

فقد كان أهل فارس يحتفلون بيوم ٢٥ كانون الأول يوم ميـــــلاد الاله

[٧٨] السواح،فراس،مغامرة العقل الأولى، ص ،٣٧٣-.٣٧٤ط العاشرة ، دار علاء الدين دمشق.

(ميثرا) اله الضوء والظلامُ

وفي الفتــــرة الــــتي ولـــد فيهـــا (ســـرجون الأول ٢٣٨١-٢٣١٦ق.م.) كان يحظر على النساء الممارسات للبغاء المقدس أن ينجبن الأطفال كي لا تكثر نسبه البشر المؤهلين من الذكور وهذا بدليل القصة السومريه التي عثر عليها مكتوبه على لسان سرجون التي قال فيهـــا:- أن أمه كانت كاهنة من كاهنات الهيكل العليا اللواتي يحرم عليهن الزواج أو الإنجاب من كاهن وبما أن أمه فعلت ذلك فقد استدعتها الضروره إلى وضع سرجون الاول في صندوق خشبي ومن ثم القته في الفرات ، حــتى وصل إلى رجل فلاح اسمه (إلى) واتخذه وزوجته ابنا لهما ،وتعلم سرجون على يد الفلاح (الي) كثيرا من العلوم الزراعيه واصبح بــستانيا ، عنــد حاكم كيش ، وهناك رأته الاله عشتار وعشقته ومن بعدها صار ملكــا لسومر واكد[٧٩].

وبذلك يقول :- (سيجموند - فرويد) في كتابــه (موســى والتوحيد) [٨٠]ان ولادة سرجون ، هي أول واقدم الــولادات الاهيــه لنموذج البطل (المخلص) او(المنقذ) وبذلك فإن تاليه المسيح ليس غريباً عن الديانات الزراعيه ولكنها مثيره للسخط والعجــب لــدى اليهــود الرعويين ومن اللافت للنظر ان الثقافه الزراعيه لا تجد حرجا من ذكــر وتكرار العبارات الجنسيه ، ولا ترى في صراحة التعبير عيبا او خجــلا بقدر ما تراه ضرورة حتميه ، وهي لا تكبت مشاعر الجــنس والرغبــه بالمتعه مع الآخر وهــــــنا لدينــــا ملحمه ادبيــــه تعد من أروع

---

[٧٩] المعموري ، ناجح، الاسطورة والتوراه، ص٣٧٣،٣٧٤ط العاشرة، دار عــلاء الــدين ، دمشق.

[٨٠] فرويد، سيجموند، موسى والتوحيد، ترجمة عبدالمنعم الحفــني ص ٤٤-،٥٠ ط ١٩٧٨٢- مطبعة الدار المصرية.

الملاحم الادبية بعد ملحمة الخلق البابلي، وملحمة جلجامش وأخيراً هذه الملحمة المسماة : (دموزي وإنكمدو) وهي منافسة للزواج بين دموزي الراعي وانكمدو، الفلاح وبذلك تقول : (أنانا) لأخيها :

بعد أن تجلب ملاءة العرس
من سينام معي؟؟
شقيقتي: عريسك من سينام معك
هو الذي ولد من رحم مثمر
هو الذي حبلت به امه على عرش الزواج المقدس
دموزي الراعي سينام معك
(أنانا قالت :
الراعي لن أتزوج الراعي
ملابسه رثة وصوفه خشن
الفلاح يزرع الكتان لملابسي
الفلاح يزرع الشعير لمائدتي)[٨١]

وإن الثقافة الزراعية هي أول من قام بتوسيع خيال الأدباء من خلال قصصهم عن أبطال غير طبيعيين في كل شيء وهم الذين صوروا أبطالهم بهالات كبيرة، وحولوا ولاداتهم من ولادات طبيعية إلى ولادات غير طبيعية، وذلك لإقناع الناس انهم صورة تختلف عن صور الأشخاص الطبيعيين مثل سرجون الأول ودموزي الذي تظهره الملحمة الأدبية على انه ولد من أُمٍ حبلت به على فراش عرش الزواج المقدس.

---

[٨١] المعموري ، ناجح ، الاسطورة والتوره ص،٣٧ المصدر السابق.

اللاهوت والناسوت

ولادة المسيح والتعريف بشخصية المسيح (المشيح):

وهذا يشبه أيضا ولادة المسيح، الذي يراه كثيرُ من دارسي الأديان أن في ولادته خلط بين الصورة الحقيقية وبين الثقافات الزراعية السائدة في ذلك العصر، وأنا لا أرى في ذلك خلط بقدر ما هو ولادة طبيعية في ثقافة دينية مركزها الإخصاب ومن الملاحظ أيضا جداً أن قول (أوتو) شقيق (أنانا) عن (دموزي) (أنه: ولد من رحم مثمر) هو تعبير صادق عن مشاعر الخصب تجاه المرأة المثمرة مثل الأرض ومثل النبع ومثل الشجر ومثل كافة أصناف الحياة، التي تتكرر بها يومياً مشاهد الخصب، ولكن في ولادة المسيح اختلاف جوهري، وهو أن كل الذين ولدوا قبل المسيح اعترفوا -دون حرج أو عيب - أن أمهاهم قد مارسن الجنس المقدس أو البغاء المقدس مع الآلهة الذكور الذين يقومون في الهياكل بتمثيل أدوار ذكورية، وإن ولادة المسيح قد اختلطت بفلسفات لغوية وأسرار روحية، لسبب معلوم لدينا وهو أن (عيسى ابن مريم) حين بعث كان قد ولد أصلاً في مجتمع زراعي مستقر يهودي وعبري الأصل ينتمي إلى ثقافة (رعوية) يهودية ترى أن (يهوى) ليس له مكان لكنه منتشرٌ مثل الضوء في كل مكان، وهذا يشبه طبيعة الإنسان الراعي والبدوي الدائم الترحال، ولأن ديانة اليهود ديانة رعوية تختلف عن الديانة الزراعية ذات الأسرار والألغاز، فقد رأوا في ديانة الخصب عداء دينياً ما بعده عداء وفارقاً ثقافياً ما بعده التقاء ولأن اليهود أيضاً تعلموا قصة الخلق عن مردوك البابلي وهو الخلق بفعل الكلمة بدل الخلق بفعل الرحم ، لهذه الأسباب كلها يلجأ المسيح والمؤمنون به

إلى فكرة الولادة بفعل كلمة من الرب ألقاها إلى مريم البتول أو العذراء، واسم مريم معناه البتول والبتول معناه العذراء والعذراء معنـــاه البتـــول، وهكذا كلها ألفاظ تدل على العفة والشرف التي لم يمسسها بـــشر و لم تك بغيا، وهذا الالتفاف من قبل المؤمنين بألوهية المسيح ناتج عن كـــره (اليهود) الرعاة للعبادات الزراعية لما بينهم وبين المزارعين مـــن عـــداء بسبب الهجرات العبرية المتكررة باتجاه الأراضي الزراعيـــة والاحتكـــاك عسكرياً مع المزارعين عداهم المتكررة على الأراضي الزراعية وابتلاعهـــا دونما تعب ولأن المسيح بعث كما هو قال على لسانه أنـــه (بعـــث إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل) لهذا السبب مزج المؤمنـــون بـــه بـــين طبيعتين : الأولى (ناسوتيه) والثانية (لاهوتية) ولكنها هذه المـــرة بفعـــل الكلمة التي تخلق بفعلها القوي من الإله (كن فيكون)، ولقـــد جـــاءت الديانة المسيحية بعد نهاية عصر العنف الذي اتسم بالصناعات الحربيـــة الحديدية وبعد فشل وسقوط (هانيبال) القرطاجي في تـــونس وســـيطرة (روما) القوة العسكرية الضاربه من روما إلى النيل وإلى الشرق الأوسط أو الأدنى لذلك عانت هذه المناطق من ويلات الحروب وانتـــصارالغرباء على السكان المحليين من فلاحين ورعاة وقد ترتب على هـــذا الوضـــع احتراق الثقافة الزراعية وانتصار ثقافة عسكرية لا تعـــرف شـــيئاً عـــن الحالات الإنسانية وليس لها هم سوى فرض نظام (الجباية) لهذا الـــسبب جاء المسيح بشريعة: (الحب والمساواة) : (أحبوا بعضكم بعضا وباركوا لاعنيكم) و(ومن لطمك على خدك الأيسر فأدر له خدك الأيمن) وقال: (ما جئت لأنقض الناموس وإنما لأتممه) لقـــــد جـــــاء المسيح بعـــد انتصـــار عصر الحديـــــد على عصر الثقافات الأمومية السمحة والتي

تبدلت من خلال نظرة الفكر الإسرائيلي العبري إلى ديانـــات الخـــصب على أنها غير أخلاقية وتتجاوز كل ما هو محرم في العرف الديني ونظرت إلى ديانات الخصب العشتارية كما ينظر المـــسلمون اليـــوم إلى (عبـــدة الفرج) أو (عبدة النزوات) والمتع الجنسية نظرة احتقار وبـــدون مجاملـــة لأحد هذب العبرانيون الفكر الشرقي لأول مره من ديانـــات الخـــصب ودعوا إلى عبادة (يهوى) ومعناه (يهوى- واهب الحياة) وهـــذه كمـــا أسلفنا إحدى صفات الإله المصري وهذه الصفة كانت رسالةً من اليهود إلى كل شعوب المنطقة تهدف إلى إخبارهم أن عبادتهم عبادة مـــا أنـــزل يهوى بها من سلطان وإن عبادة الخصب الأنثوية محرمة على شـــعب الله المختار لذلك ومن هذا المنطلق أحس العبرانيـــون أنهـــم مميـــزون عـــن الكنعانيين وأهل الفرات، لما يعبدون من دون آلهتهم وعلى الـــرغم مـــن تأخر الرعاة علمياً عن الفلاحين المستقرين إلاَّ انهم اســـتطاعوا خـــلال تنقلهم في الصحراء أن يتعرفوا على إله مثله مثل الضوء موجود في كـــل مكان، وبدون مجاملة لأحد وبرغم كل حركات التمرد والعدوان والعداء بين اليهود والعرب اليوم برغم كل ذلك فإن هؤلاء الرعاة هم أول مـــن هذب الديانات ورفعها من الأرض إلى السماء وهم أول مـــن أســـقط الأوثان والأصنام ودعوا إلى عبادة اله واحد ليس له مثيل لهذا الـــسبب كان العداء بين اليهود وبين الكنعانيين ليس من أجل لقمة العيش فقـــط وإنما أيضاً لأن الكنعانيين كانوا يعبدون[٨٢]الخصب والنمـــاء والجـــنس والبغي المقدس وأول لفظ لكلمة (قديسة)[*] كانت تطـــــــلق علـــى

---

[٨٢] وايتلام، كيت، اختلاق دولة اسرائيل القديمة ص ١٦٥-١٦٦، ترجمة سحر الهنيدي، مجلـــة عالم المعرفة عدد ٢٤٦-١٩٩٩م.

[*]راجع حول هذه الكلمة هذه الكلمة المصدر السابق(ابليس) ل عباس محمود العقاد.

النساء الممارسات للجنس في الهياكل الدينية فيقال لهـــن (قديـــسات)، فحولها العبرانيون إلى كلمة (كديشه) أي (البهيمة) ذلك انهـــم رأوا في هذه الأفعال أفعالاً حيوانية شهوانية أما تغير الحروف مـــن (قـــاف إلى كاف) فذلك يعود إلى تقارب المخارج بين الحرفين ولكن يبقى المعـــنى واحد لذلك أكد (برايت) على رأيه أن الاندماج بين الرعاة العـــبرانيين والفلاحين الكنعانيين كان مستحيلاً بسبب تناقض الثقافتين، وهذه الآراء يخفيها كل العرب الدارسين للثقافة الشرقية بسبب طبيعة العداء بينـــهم وبين اليهود ولا بُدَّ أن فترة ازدهار مملكة داوود وسليمان كان لهما الأثر الكبير في فرض ديانة التوحيد المهذبة إذ نقلها بنو إسرائيل مـــن الأرض والخصب وعبادة الجنس إلى السماء والطهارة وعبادة الإلـــه (يهـــوى) الواحد.

لذلك اندثرت في الشرق الأدنى عبادة (عشتار) بعد أن سيطرت علـــى أذهان وسلوك الشرقيين اكثر من خمسة آلاف عام حتى ظهور العبرانيين على مسرح الشرق الأدنى اللذين لولاهم لبقيت المنطقـــة علـــى ديـــن الخصب والجنس حتى مجيء الدين الإسلامي الحنيف، وبرغم هذا كلـــه فقد تدخلت قوتان عظميان أسقطتا بني إسرائيل عسكرياً وهـــي قـــوة (سرجون الثاني) حوالي (٧٢١ ق.م) حيث ساق اليهـــود إلى العـــراق القديم والقوة الثانية هي قوة (نبوخذ نصر٥٨٦ ق.م) حيث انه خـــرب يهوذى وساقهم إلى بابل وهناك أطلق على بني إسرائيل ولأول مـــرة في التاريخ لفظ (اليهود)[٨٣] نسبة إلى دولة (يهوذى) العبرية المخربة، من هنا علينا أن نتعرف على المسيح ونعيد قراءته من جديد لأن بناءه الشخصي

---

[٨٣] الطنطاوي ، محمد سيد، بنو اسرائيل، المصدر السابق ص ٨-١٠.

تدخلت به عوامل زراعية وإن سبب محاربة اليهود له هو بسبب تـــدخل هذه العوامل وليس لسبب أن اليهود يقتلون الأنبياء والرسل مـــن غـــير سبب ولكن لأن المسيح في تعاليمه وأسلوب ولادته خالف كل الأخلاق اليهودية وحاول إقامة ديانة زراعية منافسة للديانة الرعويه، ومن يقـــرأ سورة مريم في القرآن فإنه سيلاحظ أن اليهود من البداية قد اعترضـــوا على ولادة المسيح من دون أب قبل أن يدعوهم المسيح لديانة جديـــدة، لقد خاف اليهود على ديانتهم أن تتبدل بسبب دخول عوامل جديدة من الثقافة الزراعية القديمة على ديانتهم كما حدث أيام الملك سليمان.

*　*　*

آن الأوان أن نقول أن الثقافة الزراعية أنتجت أدباً زراعياً يعـــبر عن طبيعة المجتمعات الزراعية من حيث الخصوبة التي تحولت إلى مفاهيم واصطلاحات جنسية تعني بالخصب وممارسة الجنس في الهياكل الدينيـــة وفي الهواء الطلق وتحت الأشجار دون حرج علـــى مبـــدأ الـــسحر التشاكلي وهذا النوع أنتج رجالاً مؤلهين نصفهم (بشر) ونصفهم الآخر (إله) الأمر الذي دفع باليهود لأن يتهموا مريم بممارسة هذا النوع مـــن العبادة إذ قالوا لها (يا أخت هارون ما كان أبوك امرئ سوء وما كانت أمك بغيا) وهذا يفسر لنا سبب دهشة(نوال السعداوي) حين عرفت – السعداوي– أن "لوط"قدم إبنتيه في التواره ولحماية رجل واحـــد علـــى إعتبار أن الرجال أفضل من الإناث[*].

---

[*]السعداوي،نوال ، الأناث هي الأصل ص٢٢٧ المصدر السابق.

ولهذا السبب أيضا هدموا كل البيوت الـتي بناها سليمان للكنعانيات زوجاته خوفا على ديانتهم من الاختلاط بالديانة الكنعانية وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرعاة كلما استقروا كلما تحولوا إلى مزارعين وإلى مثقفين زراعيين، وهنا يبدأ الصراع بين الأصالة والمعاصرة.

وامتازت الحياة الزراعية والمجتمعات الزراعية بتعميم مفاهيم جديدة من التعاون وحب التعاون [٨٤]بين أفراد المجتمع المتكامل من اجل تحقيق التكافل الاجتماعي لمواجهة الطبيعة القاسية مثل تحريم السرقة وإشاعة العدل وكانت ومازالت هذه المفاهيم سارية المفعول حتى قبل خمسين عاما من كتابة هذا الكتاب.

علاقة العبري بالعربي لغوياً وثقافياً:

.بمقابل ذلك ساعد تدجين الحصان والجمل على انتشار الحياة البدوية (البداوة) واصبح في الشرق الأدنى مجتمعين متميزين بخصائصهما:

الأول: زراعي -(فلاحة).

والثاني: رعوي -(بداوة).

والمجتمع الأول مستقر والثاني دائم الترحل ، عرف باسم (العبريو) و(العربي) ولا غرابة في ذلك إذ كان يطلق لفظ (عبري)[٨٥] على كثير من القبائل العربية التي تسكن شمال الجزيرة وعلى القبائل في طور سيناء وشرقي الأردن ومنهم العمالقة، وحتى أصبحت كلمة عبري مرادفة لكل إنسان يسكن في الصحراء، وهي

---

(٨٤) الأهواني ، احمد فؤاد ، المعقول واللامعقول،ص ،١١١ دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م.

(٨٥) سوسه، احمد، العرب واليهود في التاريخ ، ص ،١٢٥ ط ٤-١٩٧٥م ،العربي للإعلان والنشر-دمشق.

ليست خاصة باليهود ،بل أن كل الذين يسكنون الصحراء يقال لهم (عبريون) و(عرب)ومازالت اكثر الناس حتى اليوم تطلق مصطلح (عرب)على كل من يعيش حياة (البداوة) وكلمة (فلاحون) على من يعيش حياة الزراعة واستعملت كلمة (إبري ،هبري ،خبيرو ، عبيرو) في اللغتين المسمارية والهيلوغروفية و لم يكن لليهود ذكر ، وذلك للدلالة على حياة ،التنقل والعبور والبداوة ومن الملاحظ جدا أن كلمة (عبري)[٨٦] و (عربي) متشابهتان وكلمة (عربي) مشتقة من كلمة (عبري) وحول هذا الموضوع يقول العالم (ولفنسون): أن كلمة عبري تؤدي نفس معنى كلمة عربي ، أي أن العبريين هم قبائل رحل،كانت تتنقل بخيامها وإبلها من مكان لآخر ، وهذا الاسم كان يطلق على أبناء يعقوب وعلى كل القبائل الرحل في سوريا والأردن وفلسطين.

ولفظ (الرعاة) أيضا كان يطلقه المصريون على (الهكسوس) إذ دعوهم (مينو –ساتي) أي الرعاة ويقال أن من أطلق لفظ الهكسوس هم (اليونان)بمعنى (الملوك الرعاة)ولكن العرب لم تعرف لفظ هكسوس بل أسموهم (العمالقة)[٨٧] الذين استمروا بالظهور حتى بداية الرسالة الإسلامية.

ومن الجدير ذكره ، أن العبريين هم كل سكان الأردن وفلسطين وسيناء وسوريا الذين يحيون حياة البداوة والترحال ، وان ما عدى ذلك لا يطلق علية لفظ عبري ويدل على ذلك ما جاء في التوراة

---

(٨٦) سوسه، احمد، العرب واليهود في التاريخ ، ص ٤٣١،المصدر السابق.

(٨٧) سوسه، احمد ،العرب واليهود في التاريخ، ص ١٢٩–١٣٠،المصدر السابق.

(صموئيل الثاني : ٧:٦-٨-أنت تبني لي بيتا،

لسكناي، لأني لم اسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل

من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة...)

وهذا الكلام موجه إلى الملك داود إذا انه أول من نقل العبرانيين من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار وتأسيس الدولة ، وان العرب والعبرانيين هم شعب واحد يشتركون مع بعضهم في كل الصفات على اعتبار انهم (رعويون ورعاة وبدو) ينتقلون في الصحراء ولا يعرفون حياة الاستقرار، لذلك نجدهم في عصورهم المتأخرة لا يملكون قوانين ونواميس خاصة بهم إلاَّ في حالة واحدة وهي خاصة بالذين يستقرون ولا يتنقلون، لذلك ليس من العجب أن نجد العبرانيين أثناء استقرارهم في ارض كنعان يكرهون لفظ اصطلاح (العبرانيون) ويؤثرون آن يطلق عليهم لفظ (بني إسرائيل)[*] وذلك لما تحمله كلمة (عبرانيون) من معانٍ ومفاهيم وتقاليد بدوية ، وكان في ذلك الوقت المزارعون والفلاحون همُ المدنيون العصريون بلغة اليوم ، إذا انه كان ينظر إلى الفلاح على أنه (الإنسان المتمدن) بلغة اليوم أو الإنسان العصري.

وكان الإنسان الشرقي في كل المواقع الزراعية متحضرا اكثر من الإنسان الراعي وكان يتمتع بمزايا اجتماعية اكثر من الإنسان الرعوي وقد اكتسبها بسبب استقراره وهذه المزايا تتمثل بالعلوم الزراعية والعلوم التشريعية والحقوق المدنية بسبب الحاجة الماسة بضرورة المحافظة على ملكيته الفردية للأراض الزراعية لذا شاع في المجتمعات الزراعية مفاهيم العدل والاستقرار الأمني وحب السلام

---

[*]راجع حول ذلك المصادر السابقة.

للمحافظة على خط سير الإنتاج الزراعي من التلف والتدهور بسبب الحروب وكان حتى وقت قريب ينظر إلى الإنسان الزراعي على انه هو وحده المتمدن والحاذق ، حتى أن القران وصف الإنسان المؤمن ب(أولئك هم المفلحون) وتكرر هذا اللفظ عبر أشكال مختلفة من التعبير لوصف كل ما هو جيد وكيس وفطن ، على اعتبار أن كلمة (مفلحون) وفالح ومفلح ،كلها تعبيرات مشتقة من الثقافة الزراعية وكان ومازال حتى اليوم في معظم قرى الشرق الأوسط يوصف الإنسان الذكي بـ(فالح) ،ولكن هذه الثقافة مع حبها للاستقرار الأمني وقدرتها على فرض نظام دولة القانون والمؤسسات إلاَّ أنها اصطدمت مع الثقافة العربية والعبرية بسبب الهجرات المتكررة للعرب والعبريين وميلهم إلى الاستقرار في الأراضي الزراعية تسبب بمواجهة عسكرية بين العرب والعبريين من جهة ، وبين الفلاحين من جهة أخرى، ويقول (جودت السعد) مؤلف كتاب (أوهام التاريخ اليهودي):- كان الإنسان في ارض الرافدين ومصر خاضعا للطبيعة الأم ...أما الفكر التوراتي فقد تجاهل هذا الرمز ولم يعترف إلاَّ بالأب[88].

وفي الحقيقة أن ما قصده المؤلف هو اتهام الثقافة العبرية بالتسلط وفرض النظام الأبوي وهذا صحيح من جهة واحدة ، وهو أن الثقافة العبرية هي ثقافة غير زراعية وغير منتجة ومستهلكة للأراض الخصبة وانه من الطبيعي في كل أنحاء الكرة الأرضية أن تتكرر مثل هذه المواجهات، وموقف المؤلف (السعد) ناتج عن اتجاه

---

(88) السعد، جودت،اوهام التاريخ اليهودي، ص ،١٧ الأهلية للنشر والتوزيع عمان-الأردن-ط١ ،١٩٩٨م.(٨٩)السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى ،دار علاء الدين -دمشق ط ١٠-ص .٢٤٨

حركي أيديولوجي،وليس عن اتجاه علمي بحت فالاتجاه العلمي يعلـــم أن الثقافة الزراعية والرعوية كانتا على نقيض دائم بـــسبب الاختلافـــات الاقتصادية بين أنماط الإنتاج الاقتصادي وكانت هذه العداءات بينهما مستمرة بالظهور في كل أنحاء العالم حتى ظهور الثورة الصناعية الحديثـــة التي شكلت بمجملها مجتمعا له أنماط مختلفة من التفكير وجديدة.

قصة آدم وحواء وجذورهما:

لهذا السبب تحول العداء بين المـــزارعين الكنعـــانيين والبـــدو العبرانيين من عداء اقتصادي إلى عداء ثقافي إيديولوجي، وتمثل هذا العداء بين عشتار وبعل وبعليم وكل ما يتعلق بالخصوبة والجنس بينمـــا عبـــد الرعاة العبرانيون (إله) ذكر قادر على خلـــق الطبيعـــة وإماتتـــها، ولأن المزارعين أمة مسالمة ليس لها نوايا عـــسكرية فقـــد انهزمـــت نوايـــاهم العسكرية وعلى يد (الرعاة. العرب والعبرانيون) بسبب خشونة الرعـــاة وقوة جأشهم وقدرتهم الفائقة على حمل السلاح ووجهت الاتهامات إلى الثقافة الطبيعية والطبيعة الأم على أنها طبيعة فاشلة وعاجزة عن تقديم أي نوع من أنواع الخصب طالما أن الإله (يهوى) الأب لا يريـــد ذلـــك، وقالت أن ما تقدمه الطبيعة الأم للإنسان ناتج عن إرادة (يهوى) للكون وليس إرادة الطبيعة وعلى المزارعين الذين عبدوا الطبيعـــة والمـــرأة الأم، عليهم أن يعرفوا أن إرادة (يهوى) فوق كـــل إرادة، وانـــه لا يتمثـــل بالأصنام والأوثان بل انه موجود في كل مكان في الأرض وفي البحر وفي السماء، وقد ترجم كتاب التوراة ومدونوه قصة قديمه كانت قد وجدت منقوشة في الألفية الرابعة قبل الميلاد تتحـــــدث عن رجـــل وامـــرأة

وشجرة نخيل وأفعى، ولما وصلت إلى كتاب التوراة ترجموها من لوحه فنية مرسومة إلى قصة مكتوبة واللوحة تشير إلى رجل جالس وبمقابله امرأة تمديدها إلى شجرة نخيل وخلفها أفعى تهمس لها ، والرجل يمد يده إلى الشجرة كما تفعل المرأة علما أن شجرة النخيل بينهما. ومن الجدير بالذكر أن هذه اللوحة رسمت قبل زمن الكتابة بألف عام ،وقد وصلت إلى الأدب الزراعي كتعبير عن إرادة الطبيعة في مشهد رومانسي يبعث على النشوة وعلى الامتثال الفوري لأوامر الطبيعة وهي تخلق جوا من الرومانسية والمتعة بين الرجال والنساء:



وحينما وصلت هذه القصة إلى العرب الرعاة[٨٩]والعبرانيين الرعاة فانهم حوروا نصوصها المرسومة لتتوافق مع طبيعة مفاهيمهم الرعوية ، وقالوا أن ممارسة الجنس هو سبب سقوط الإنسان

[٨٩] السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى ،دار علاء الدين –دمشق ط ١٠–ص .٢٤٨

الأخلاقي، وكان هذا أول انتقاد تاريخي للأخلاق والمعايير الأخلاقية. وتصوروا أن المرأة التي تهب نفسها لرجال الهياكل هي امرأة مومس ومأبونة وسيحلُ بها غضب الإله (يهوى) وهي زانية بحكمٍ الدين والشريعة وفي القرن العشرين قالت نوال السعداوي منتقدةً اليهود والعرب :(إن ممارسة الجنس كان سببا في ارتقاء آدم وحواء وليس سببا للسقوط وللهبوط) وكان من أسباب عداء اليهود لمريم هو لهذه الأسباب إذ اعتقد اليهود أن مريم (قديسة، قديشة)[*] والقديسة هي التي تهب نفسها لرجال الهيكل وهي ممارسة شرعية ومسموح بها بنظر الديانة الزراعية الكنعانية.

بينما بقي الفلاحون المزارعون يعبرون عن احترامهم لهذه الصور والمشاهد الجنسية التي تثير عاطفة الإنسان وتثير عاطفة الآلهة وتغدق على الإنسان من خيراتها كما يغدق الإنسان بالفعل البيولوجي.

لهذا السبب جاز لنا أن نقول أن العبرانيين هذبوا الديانات الشرقية وسمو بها فوق مستوى البشر من ديانة مركزها الجنس والمتعة الجنسية إلى ديانة مركزها روح سماوية فوق مستوى الفهم والإدراك; والسؤال الذي يطرح نفسه هو:- من أين للعبرانيين هذه التصورات طالما انهم بدو رحل ليس لهم ثقافة مستقرة؟ وهم بعيدون كل البعد عن الثقافة والحضارة[*]!!

(*) القديشة والقديسة والكديشة كلها ألفاظ كانت تدل على لفظ واحد وذلك نظراً لاستعمال حرف السين متأخراً إذ كانت تلفظ السماء شما والمسيح مشيح وقديسة قديشة ولكن اليهود حولوا وخصصوا لفظ كديشة وقديشة فقط للبهائم كاشارة منهم أن التي تمارس الجنس في المعابد هي متدنية أخلاقياً بمستوى الحيوانات والبهائم.

(*) يبدو ان الكاتب لايذكر شيئاً عن الرسالات السماوية المنزلة (المراجع).

ويقول: ويلز (أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجا، وعادوا منها متمدنين، خرجوا منقسمين وعادوا بروح قوميه شديدة وجنوح إلى الاعتزال، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك وعادوا ومعهم مادة العهد القديم[٩٠].

وأعتقد أن اليهود تمدنوا وتفقهوا وتحضروا قبل ذهابهم إلى بابل،وإن ويلز يناقض نفسه بدليل وصفه للعبرانيين أنهم (يهود) والذي يؤسس دولة المدينة لا بد أن يكون متحضرا، وهذا يعني ان اليهود قد انتقلوا من العيش في خيم متنقلة إلى العيش في مساكن آمنة وقد أتقنوا التجارة وبعد وفاة الملك سليمان أمر (يوشيا). الشعب وجمع الكهنة من أجل إحراق الأواني المصنوعة للبعل وهدم المرتفعات التي تقع قبالة أور شليم والتي بناها الملك سليمان ملك إسرائيل لنسائه الكنعانيات اللواتي أملن قلبه على حد تعبير التوراة لعشتروت ديانة الخصوبة الأنثوية الكنعانية التي رأى (يوشيا)[٩١] أن الملك سليمان قد تأثر بالثقافة الزراعية الحديثة وقد انتصرت عليه المعاصرة على الأصالة بينما عاد يوشيا إلى الأصالة ورأى مثل:- الموسيقا، والغناء، والاحتفال بالأعياد والرقص أمام تابوت العهد، كلها عبادات كنعانيه [٩٢] لم يستطع اليهود أن يتخلصوا منها حتى اليوم وان معظم ثقافات العالم تتأثر بغيرها وتؤثر بغيرها ولكن هنالك مفاهيم خاطئة عن اليهود وأهمها ما ذكرناه سابقا حول نظرتهم إلى الأم الطبيعة أو الطبيعة الأم التي هي أهم ركائز الديانة الكنعانية.

---

[٩٠] سوسه، احمد، العرب واليهود في التاريخ ، ص ٣٨٨-،٣٨٩ المصدر السابق.
[٩١] الأهواني، احمد فؤاد، المعقول واللامعقول ، ص ،٥٤دار المعارف مصر ١٩٧٠م.
[٩٢] الشريقي، ابراهيم،اور-شليم وأرض كنعان ص،١١١ ١٩٨٥م الشرق الاوسط للطباعة.

الجنس والتوحيد والمرأة والفن:

يبدو للوهلة الأولى أن الكلمتين غريبتين عن بعضهما البعض ولكن حتى نختصر الطريق نود أن نقول أن المفهومين أي الجنس والتوحيد قد تغيرت النظرة إليهما معاً ففي الوقت الذي عاش به الإنسان الشرقي في مشاعات قروية كانت نظرته إلى الجنس نظرة واجب وحاجة بيولوجية ممتعه ليس عليها غبار وإن الدور الذي كانت تؤديه المرأة في الهياكل الدينية من ممارسة للجنس كان دوراً رئيسياً لإتمام دورة الحياة الطبيعية عبر التزاوج والولادات المتكررة وكانت المعايير الأخلاقية لا تهتم بثقافة العيب أو قضايا الشرف التي شنت من أجلها الحروب في المجتمعات البدوية.

وبقي أن نفهم أن الدور الذي لعب به العبرانيون ونعني بالعبرانيين كل القبائل البدوية التي تعيش على الرعي في سيناء وفلسطين كنعان والأردن وسوريا والعراق وبقي أن نقول أن نظرة هؤلاء اختلفت كثيراً عن نظرة الفلاحين ونعني بالفلاحين كل القبائل التي مارست مهنة الزراعة والفلاحة في حوض البحر الأبيض المتوسط إذ اختلفت نظرة الفلاحين إلى الجنس على اعتبار انه العامل الرئيس لزيادة إنتاج الأرض من مزروعات ولزيادة الإنتاج النسوي (المرأة) من مخلوقات بشرية .

وكانت الثقافتين الرعوية والزراعية في تنافس مستمر، حيث بدأ العبرانيون ينظرون إلى النساء والرجال الممارسين للبغاء في المعابد على أنهم (المأبونون) و(الزانيون) و(الزانيات) وقبل ظهور العبرانيين وحياة الرعي كان ينظر إليهم على أنهم (قديسون) و(قديسات)[٩٣] يضحون بأنفسهم من أجل خصوبة الأرض

(٩٣) العقاد عباس محمود، ابليس ١٩٦٩م ط ٢- بيروت، دار الكتاب العربي ص ٣٣، يجب أن ننوه أن هذا الكتاب طبع للمرة الثانية بعد وفاة مؤلفة العقاد عام ١٩٦٨م.

والإنسان ويجب أن نفهم أن انتقال الإنسان الشرقي من حياة الزراعة إلى البداوة والرعي، قد بدل وغيَّر مفاهيماً كثيرةً من بينها أو أهمها مفهوم الجنس ومفهوم التوحيد، ففي الوقت الذي عبدت به طقوس جنسية زادت من أهمية المرأة لأكثر من خمسة آلاف عام (٥٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م) الأمر الذي دفع بالفلاحين إلى عبادة المرأة الإلهة الأنثى، ولا ننسى أن نذكر ونقول أن كلمة (أنثى)[٩٤] المتعارف عليها اليوم هي في الأصل البنت الثالثة للإله (بعل) الإله الفينيقي والذي يدعى (حداد) أو (أداد) وكانوا يسمونها (أناث، أناثا) وأحياناً (أنات، أناتا) وأحياناً (عنات) وما أكثر ما تبدل العرب بالحروف لتقارب مخارجها كما أسلفنا، وتقول بعض المصادر أن (أناث) هي صفة من صفات الآلهة عشتار.

وما زال الناس حتى اليوم يصفون المرأة بـ(الأنثى) وهم لا يدرون سر هذه الألفاظ وذلك لسبب معلوم وهو انتشار الوعي والثقافة والتقلبات الاجتماعية التي غيرت المفاهيم وأيضاً ما زال لفظ عشتار ماثلاً بين أيدي الفلاحين ومازالت عشتار إلى اليوم ظاهرة عند كل فلاحي الأردن وفلسطين وسوريا والعراق وسيناء، ولكنه للأسف لفظ لا يدل على الإنسانية- الأنثى الحاملة للجنين بل للحيوانات والبهائم إذا انهم يصفون البقرة الحامل بقولهم (بقرة معشرة) ولفظ

كما قلنا سابقاً أن الصفات الأنثوية الخلقية الصقها العبرانيون بالبقرة

[٩٤] عبدالحكيم، شوقي، مدخل لدراسة الفولكور والاساطير العربية ص ٤٩، دار ابن خلدون – بيروت ط ١-١٩٧٨م.

معشرة هي من لفظ عشتار وهذا هو الجذر اللغوي للفظه (معشرة) وقام الرعاة بتحرير كلمة (قديسة) إلى (كديشة) كما أسلفنا ذكر ذلك، ويقال أن المصريين هم أول من سمَّى (أناث) ب (قادش)[٩٥] و(قديشة) وقد نقلها العبرانيون منهم، ولولا تدخل التاريخ الطبقي والعبرانيون وظهور أنظمة اجتماعية حديثة لإنتشرت (ديانة التوحيد) باسم (الأنثى) وذلك لما تحمله الآلهة (أناث) من صفات متعددة الأشكال والمعاني، حيث بلغت صفاها أكثر من ثلاثمائة صفة أو إسم[*]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل دلالة واضحة على سيطرهّا وسيطرة عابديها على كل وظائف الطبيعة، وهذا اكثر بكثير من صفات (مردوكٍ) في ملحمة الخلق البابلي حيث بلغت أسماؤه وصفاته خمسون اسماً وصفةً وتلك ديانة توحيدية بدائية لم يكتب لها أن تعيش لأكثر من بضع عشرات من السنين وكنا قد تحدثنا في بداية هذا الكتاب عن المرأة التي سيطرت على المجتمعات آلاف السنين ولم نوضح إلاَّ إشارة عابرة عن خط سير المرأة أما في هذا الفصل فإننا سوف نوضح أكثر لأننا نتحدث عن الجنس كظاهرة دينية، وبرغم أن العبرانيين والعرب الرعاة نظموا العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى إلاَّ أهم قد نسوا ونسي معهم التاريخ أن الذي نقل الإنسان من حياة الكهوف وتسلق الأشجار إلى العيش بالبيوت هي المرأة وبعبارة علمية (مجتمع النسوة) ومجتمع النسوة حكم كافة قطاعات المجتمع البسيطة مدة تزيد على خمس وثلاثين الف سنة (٣٥,٠٠٠) ولم يحكم مجتمع الرجال إلاَّ خمس آلاف عام قضى منها الرجل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وألفين بعد الميلاد

---

[٩٥] عبدالحكيم،شوقي، مدخل لدراسة الفولكور والاساطير ، ص ٦٣المصدر السابق.

[*]هنالك خلاف بين النحاة العرب على الصفات هل هي أسماء أم نعوت أم أيدال ونحن بهذا نقول أن للآلهة آناث صفات وأسماء وذلك حتى نتجاوز مشكلة نحوية غير متخصصين بها.

وترى الباحثة نوال السعداوي أن مدة حكم المرأة للعائلة مجهولة[*].

مجتمع النسوة

وإن مجتمع النسوة أول من صنع الصحون من لحاء الشجر وكن يحضّرن ما يقرب من (٨٠-٦٥%) من طعام المائدة وفي عصر سيادة المرأة لم يكن هنالك رقيق وعبيد وجواري وإماء وسجون ومصحات عقلية وحروب وذهب وفضة وتراكم للثروات، إن هذه الأمور كلها هي من صنع رجال قساة القلوب وحضارة لا تقيم وزناً للتسامح، وإن مجتمع النسوة أول من اكتشف الأعشاب النافعة والأدوية وهنَّ أول من أسس الطب بالصدفة بسبب بحثهن الدائم عن الأعشاب النافعة والغذاء وهنَّ أول من اكتشف النار وأشعلنها للطبخ وشوي اللحوم، ويقول مؤلف كتاب (البغاء عبر التاريخ)[٩٦]:

(لم يكن للرجال أي مشاعر بالأبوة نتيجة جهلهم أن لهم علاقة بالإنجاب،وقد لاحظ الذكر أن له دور رئيسي بعملية الحمل والإنجاب في زمن متأخر جداً عن زمنهن،وربما لاحظ ذلك بسبب دور ذكور بعض قطعان الماشية مع إناثها).

أكثر من (٣٥,٠٠٠٠) عام، والمراة تمارس تعدد الأزواج دون تحديد عدد تقف عنده ولم يكن الرجال يعترضون على ذلك

[*] السعداوي ، نوال ،الأنثى هي الاصل ، ص١٥-٢٠العربية للدراسات والنشر ١٩٧٤ ط١-

[٩٦] صبور، محمد صادق، البغاء عبر التاريخ ، ص ٥-١٠، المكتبة الثقافية بيروت، ط ١، ١٩٦٩م.

وعندما تقدم التاريخ بدأت العلوم الحضارية تتطور مع بدء تطور حياة الصيد إلى الحرب لذلك بدأ مجتمع الرجال يتقدم على مجتمع النساء بعد أن سيطرت به النساء أكثر من (٣٥،٠٠٠) عام قبل الميلاد وكان من حق المرأة أن تتخذ أكثر من زوج واحد وتقيم أكثر من علاقة جنسية ولم يكن الرجل يتدخل في طبيعة المرأة، ولكن حين تطور الرعاة وتطوّر العلم والثقافة شعر الرجال أن لهم علاقة بإنجاب المرأة لذلك أخذوا يحكمون ويشرّعون وينظمون علاقاتهم الجنسية معهن، لذلك فقد تراجعت دُور العبادة لتفتح مجالاً للإله الذكر، وقد تراجع بذلك المركز الأدبي لمومسات المعابد الدينية وظهر علم جديد أخذ على عاتقه تصنيف القديسات إلى هذا الشكل (قاديشو، اشتاريتو، عشتاريتو) وهنَّ فقط للرقص والغناء والسمر، وهي نفسها القديسة أو القديسات اللواتي تحدثنا عنهن سابقاً، و(حريمتو) هي فقط للعمل المترلي وتعبيد الطرق وهي من الجواري اللواتي أوقعهنّ الرجال بالأسر وربما هذا هو الاشتقاق اللغوي لكلمة (حريم، حرمه، حرم)، أما، (أنتو) فهي أعلى طبقة من الكاهنات وهي التي تقوم بطقوس الجنس المقدس[٩٧].

ولربما يستغرب القارئ إذا عرف أن لبس (الخمار) بدأ منذ بداية سيطرة مجتمع الرجال على مجتمع النساء وأول ما فرض الخمار في الشرق الأدنى كان حوالي (١١٠٠ق. م) إذ فرض الآشوريون عدم لبس الخمار على النساء المومسات وأجبروهن

العبرانيون الرعاة هم أول من ساهم في تراجع وضع المرأة وذلك لأسباب تتعلق بالملكية الردية

---

[٩٧] المصدر السابق، ص ٦٠.

على لبس زي خاص بهن أما الخمار فلم يفرض إلاَّ على الزوجات الحقيقيات كتعبير عن الحشمة والغيرة على نسائهم وحريمهم أمام الغرباء من الرجال وكل من تخالف هذه التعليمات كانت تؤخذ وتجلد بالعصا خمسين مرة وهذا يفسّر لنا سبب ضرب عمر بن الخطاب الجواري اللواتي كنّ يلبسن الخمار وهو يقول (فيما تتشبه الأمة بالحرة) وحين ظهر العبرانيون على خشبة التاريخ كانت كل الظروف مهيئة لنشر تعاليم الثقافة الجديدة، لذلك عمل العبرانيون على توسيع رقعة الثقافة الأبوية وأصبح المجال واسعاً أمام (الإله يهوى) في أن يرفع مجتمع الذكور ويسقط مجتمع الإناث وألصقت التهمة بالمرأة على أنها المسؤول عن ضياع جنة الفردوس، وبلغت الثقافة النسوية مستوىً متدنياً من العادات السيئة فبعد أن كانت تؤمن ما يقرب من ستين إلى ثمانين بالمئة من مائدة الطعام أصبحت في مجتمع الرجال وحتى اليوم لا تؤمن إلاَّ القليل ولا تتقاضى إلاَّ (١٠%) حتى وإن أمنّت ٨٠% من طعام المائدة من مستوى الدخل العالمي علماً أنها تساهم بثلثي الأعمال المنزلية إذا ما قورنت بالذكر الذي يؤمن (٦٠%) من هذا الدخل، ولإيساهم بالأعمال المنزلية لذلك فإن العبرانيين عملوا على محاربة ومعاقبة المرأة التي تؤمن دخلها بنفسها بمعزل عن الرجل وفي ذلك شكوك حول كيفية تأمين عيشها بنفسها في مجتمع هي أصلاً محرومة منه من مواقع الإنتاج، لذلك كان يُستنتج أنها تبيع شرفها وجسدها لتؤمن عيشها، وفي ذلك عودة إلى مجتمع ما قبل الديانة اليهودية التوحيدية وكان وما زال الناس ينظرون إلى المرأة التي تعيش لوحدها باحتقار بمعزل عن الرجل.

ويقول بعض الباحثين أن العبرانيين تفرقوا بعد وفاة يوشع[٩٨] بن نون، وبوفاته انقطعت القيادة الجماعية وتركوا عبادة التوحيد الموسوية وبذلك يتحدث سِفر القضاة ويوضح إلى أي مدى أخلاقي تراجع العبرانيون الرعاة واتبعوا ديانة الخصب الأنثوية حيث جاء في سفر القضاة:

"وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم ... فحمى غضب الرب على بني إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعوهم بأيدي أعدائهم" .

ويرى بعض الباحثين المحدثين والحداثيون أن عبادة اليهود لآلهة الكنعانيين يرجع إلى استقرارهم وتحولهم من البداوة والرعي إلى الزراعة وبهذا يظهر الصراع بين اله السماء أيل والهة الطبيعة عشتار وهذا يفسر لنا سبب بناء الملك سليمان صنماً لكل زوجة من زوجاته الغريبات اللواتي أملن قلبه وهو سبب عائدٌ إلى استقرار العبرانيين وتحولهم إلى حياة الزراعة والاستقرار .

ولقد تنبه إلى هذه النظرية عالم الاجتماع العربي الكبير (ابن خلدون) في مقدمته حيث قال[٩٩]: "

"أن البداوة سبب للشجاعة والتوحش وأن البدو
أشجع من غيرهم وكلما نزلوا الأرياف وغرقوا
في النعيم وألفوا عوائد الخصب في المعاش
فكلما اعتادوا ذلك كلما تراجعت وحشيتهم
وعاداتهم وتقاليدهم" .

---

[٩٨] الخطيب، محمد، مفهوم الألوهية وتصوره في اليهودية ص ١٤٤، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية،المجلد الخامس عشر العدد الثالث ١٩٩٩.

[٩٩] سوسه، احمد العرب واليهود في التاريخ ، ط٤، ص ١٨٧، العرب للإعلان والنشر-دمشق.

وبهذا فان العبرانيين ألفوا حياة الزراعة و لم يؤثروا بها بل هي الـــتي أثرت بهم وهذا يفسر لنا بوضوح سبب كثرة الأنبيـــاء والرســـل عنـــد العبرانيين ذلك أنهم كلما استقروا وبعدوا عن حياة البداوة كلما تبدلت ديانتهم وبهذا فإنهم على شجاعتهم ينتصرون عسكرياً وينهزمون ثقافياً.

وهذا أيضاً يعطينا إضافة جديدة حول دور المـــرأة في الـــشرق الأدنى وهو أن الحياة الرعوية لم تك وحدها المسؤولة عن تراجـــع دور المرأة طالما أن الرعاة يتمدنون كما تمدن الملك سليمان واستقر في مملكته الزراعية وبنى أصناماً وبيوتاً لزوجاته الغربيات بل أن هنالك عاملاً آخـــر وهو آخر العوامل الذي جرد المرأة والرجل معاً من ثقافة الطبيعـــة الأم وهو: ظهور طبقة الصناعيين والحرفيين والتسابق على تنامي رأس المـــال وتراكم الثروات[١٠٠] والجري وراء الأرباح وهذا كله بسبب ارتفـــاع أجور المنتجين للأدوات الفخارية والحياكة وتراجع أجـــور المـــزارعين بسبب عدم قدرة الأراضي الزراعية على توفير فائض الإنتاج المطلـــوب، لم يدخل العالم بأسره إلى مرحلة فائض الانتاج الحقيقي إلا في الأونـــة الأخيرة بفضل تدخل الصناعات الرأسمالية وهذا لـــيس غريبـــاً عـــن المجتمعات العربية، فانه حتى هذه اللحظة تهجر الناس الأراضي الزراعيـــة وحياة الزراعة وتتجه إلى أعمال حرفية وحكومية لأنهـــا تـــوفر دخـــلاً ومردوداً مالياً اكثر من الزراعة، وبالتالي فإن المرأة المنتجة زراعياً بقيت في البيت لخدمة الذكور الذين يعملون ليـــــل نهار لتوفيـــر لقمة العـــيش، وهـــذا عمل على تسارع نمو دور الرجل الذكر المنتج وتراجعت أهمية المرأة بقدر تراجع

---

[١٠٠] كولنتاي، الكسندر، محاضرات حول تحرر النساء، ترجمة هنريت ، عبـــودي، ص ٣٢، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت-ط ١ ١٩٨٠م.

الاقتصاد الزراعي إذ أن الإنتاج الزراعي لم يوفر فائض الإنتاج المطلوب بسبب شح مصادر المياه وقلة الوسائل المطلوبة لتحسين الإنتاج ، وهـــذا هو التصحيح والتفسير الأصح لأسباب تراجع دور المرأة إذ أن التـــهافت على الصناعات الجديدة وفر سوق عمل جيد وممتاز في أكثر المجتمعـــات الاستهلاكية، وبدأ تدفق الصناعات من منتوجات حرفية يغرق الأسواق ويكدس الأموال من ذهب وفضة الأمر الذي حدى بكثير من المزارعين أن يهجروا أراضيهم ويتجهوا نحو الصناعات اليدوية ونحن ما زلنا نشهد مثل هذه الغمرة في مجتمعات الشرق الأدنى فقبل خمسين عاما من تأليف هذا الكتاب بدأ المزارعون في مجتماعتنا بهجرة أراضيهم الزراعية والاتجاه إلى أسواق إنتاجية حديثة والاغتراب عن الأرض الزراعية والاتجاه أيـــضا إلى السلك الوظيفي الأمر الذي أدى أيضا إلى تغير شـــكل (العـــشيرة) و(القبيلة)(*).

من هنا على الباحث الاجتماعي أن يعي أن انتـــشار الثقافـــة العبرانية أيضا ساهم إلى حد كبير في تراجع دور المـــرأة لأن العـــبرانيين عززوا من وجود الرجل الذكر بفضل عبادة الإله يهوى الـــذي يحمـــل صفات ذكورية، وهذه الصفات زادت من الاشمئزاز البيولوجي لـــبعض المواصفات الأنثوية وانقلبت أهمية المرأة الأم الطبيعة رأسا على عقـــب ، بعد أن كانت دورتها الشهرية تكتمل مع دورة الخلق الطبيعـــي حـــتى كادت أن تكون هي الخالق الفعلي للحياة إن لم تكن هي على الإطلاق.

(*)هذه مواضيع سوف أشرحها في الفقصول الأخيرة من الكتاب.

ومما لاشك فيه أن دخول عصر الثقافة والفلسفة وفر جانبا مهمـــا من جوانب تراجع المرأة الطبيعة وبرزت اتجاهات تخصصية تعي حقيقـــة دور الرجل أكثر من دور المرأة في استلام دفة القيادة، وعليه فقد بـــدأ تصور العبرانيين الرعاة أن الخطيئة جاءت من المرأة [١٠١]واتسعت الهـــوة بين الرجل وبين المرأة وخصوصا عندما بدأ الرجل والمجتمع بأسره يتطور علميا وكان من اكثر الاكتشافات العلمية خطورة هو ملاحظة المجتمـــع للدورة الشهرية المؤلمة للرجل إذا اقترب من المرأة وهي حائض، من هنـــا بدأت النظرة إلى المرأة تأخذ شكلا مغايرا ومعكوسا عن الشكل السابق الذي كان يرى في الدورة الشهرية سببا وعاملا أساسيا للخلق وتجـــدد بذرة الحياة لذلك كان وما زال ينظر إلى المرأة أثناء الدورة الشهرية على أنها (دنس ورجس) وعلى الرجل أن يتجنب الاحتكاك الفعلي معهـــا، ومنذ تلك اللحظة بدأت المجتمعات الشرقية تنظر إلى المرأة نظرة احتقـــار مبالغ بها لقولهم :- أن الإله والآلهة لا يقتربون من المرأة أثنـــاء الـــدورة لاعتقادهم أنها رجس لا يتجنبه الرجل وحده بـــل الرجـــل والآلهـــة معا،وحول هذا الموضوع يرى (دور كهايم) أن أصل القوة السحرية التي تعزى إلى عضوية المرأة ترجع إلى الأفكار البدائية المتصلة بدم الحيض.

كانت لوظائف المرأة البيولوجية أثراً وسبباً مباشراً في إرتقائها لأسباب تتعلق بالدم . ولأسباب تتعلق بالدم أيضاً. فقد تراجعت المرأة في عصر الثقافة والمعرفة.

وكان العرب في الجاهلية يفعلون كما يفعل اليهود من حيـــــث إفراطهم في مجانبة النساء أثنـــاء الدورة الشهرية فـــلا يؤكلواهن

---

[١٠١] العوا، عادل، الأخلاق والحضارة،مطبوعات جامعة دمشق ، ١٩٨٩م.

ولا يجالسوهن، أما الديانة المسيحية فلم تكن تحرم إتيان النساء أثناء (الطمث) بخلاف العرب والعبرانيين وهذا يعود إلى البنية الثقافية الواحدة للعرب الرعاة وللعبرانين الرعاة، أما الديانة المسيحية فلم تك تتحرج من إتيان النساء أثناء الدورة الشهرية وهذا سبب يعود أصلا للثقافة المسيحية الزراعية والأموميه السمحة لأنها خالفت في شكلها كل أشكال الثقافات الأبوية المتسلطة وعلى رأس هذه الثقافات الثقافة العبرانية ، ولقد ظل المسيحيون يأتون نساءهم أثناء الدورة حتى سألوا الرسول الكريم (ص) فسألوه هم والعرب المشركين فقرأ عليهم (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن).

و لم تلك الشعوب البدائية تلاحظ ذلك لولا اعتمادهم على المشاهدة والخبرة أما اليوم فقد أثبتت الدراسات أن حصيلة التنفس عند المرأة أثناء الدورة فيه سموم، والمفرزات العرقية تحوي على مواد سامه سميت (بالسموم الطمثية) وهي مضرة حتى بالأزهار والأثمار ذلك أن دم المحيض يحتوي على مواد سامة مثل (الزرنيخ واليود والفسفور والمنغنيز) [١٠٢].

وهذا السبب من الأسباب التي نحت بالمرآة منحا متدنيا من الأعلى إلى الأسفل كما هو الخط البياني المتدني من أعلى إلى اسفل والغريب في الموضوع أن سبب تأليه المرأة كما أسلفنا سابقا هو بسبب الدورة الشهرية المكتملة مع دورة القمر الشهرية ، وان من اكثر أسباب تدهور المرأة اجتماعيا هو أيضا بسبب الدورة الشهرية إذ اصبح لدى المجتمعات الشرقية خبرة واسعة عن طريق التجربة

---

[١٠٢] القباني، صبري ، حياتنا الجنسية، ص ،٢١٤ طبعة قديمة بدون ذكر دار نشر أو سنة طبع.

والخبرة والمشاهدة لأضرار الدورة الشهرية وان ظهور عصر الحديد أمتاز بالصراعات الدموية والتسابق على تراكم الثروات بالإضافة إلى ذلك فقد بدأت تظهر طبقات اجتماعية تمتاز بالقدرة على تسخير الطبقات الأدنى منها عسكريا واقتصاديا من هنا بدأت السيطرة على الفنانين والمبدعين في شتى المجالات مع حب الاحترام والتقدير لإبداعاتهم وحب الاحتقار للفنانين والمبدعين[١٠٣] إذ بدأت الفئات المسيطرة تنظر إلى الأدوات الفنية والمنحوتات على أنها فن رفيع وبنفس الوقت تنظر إلى الفنانين على أنهم طبقة وضيعة وربما يعود هذا السبب إلى انفراد الفنانين والمبدعين بحياتهم الخاصة على حب التعرف على أهوائهم وحسب ملذاتهم، وهذا ليس بالغريب على المجتمعات الحديثة اليوم والتي تنظر غالبيتها إلى الفنانين نظرة حب وإعجاب وتقدير بنفس الوقت الذي يكرهون به أن يكونوا مثلهم وما زالوا ينظرون إلى الممثلات والأديبات والمغنيات نظرة إعجاب وتقدير بنفس الوقت الذي يرفضون به أن تكون بناتهم ونسائهم وأمهاتهم من طبقة الفنانين وعليه فقد انحدرت حياة الفن الزراعي وآدابه وارتفعت مكانه حياة تراكم الأموال وانتشرت مفاهيم جديدة تصف الفن وإظهار الثروات على انه (بذخ) ولهو ولعب يستمتع به من يملك الاقتصاد والمال وقد ظل (سنكا) يحتفظ بالتميز الكلاسيكي القديم بين الفنان وعمله ويقول (إننا نقيم الصلوات ونقدم الضحايا أمام تماثيل الآلهة ولكننا نحتقر المثالين الذين صنعوها)[١٠٤].

---

[١٠٣] هاورز، ارنلد، ترجمة فؤاد زكريا، ص ١٣٩ الفن والمجتمع عبر التاريخ ، مراجعة احمد خاكي دار الكتاب العربي للطباعة والنشر١٩٦٩م.

[١٠٤] هاوزر ، ارنلد ترجمة فواد زكريا المصدر السابق ص ١٤١.

وهذه الحكاية الطويلة مع الفن بدأت منذ انتشار المعابد الدينية، وهذا الأمر خلق جوا من التشويش على أعمال المبدعين، بسبب تمسك الكهنة بمبدأ المحافظة على ا لقديم خوفا من تغيير أنظمتهم لذلك شجع السياسيون ورجال الدين على مبدأ المحافظة على القديم بنفس الوقت الذي أصبح به الفنانون أداة طيِّعة بأيدي رجال الدين والسياسيين خشية الانجراف خلف رغبه الجماهير... ولقد كان الفن والإبداع على هذه الحال حيث ظهرت اتجاهات فنية تعي حقيقة. الفن مع الاحتفاظ بموضوعاته بمعزل عن رغبة السياسيين وبمعزل عن الاتجاهات الفكرية والأيديولوجية السائدة في هذا العصر، وهذا الأمر ليس بالجديد على الظاهرة الفنية فمنذ القدم كان مبدأ (الفن ليس للفن) و(الإبداع ليس للإبداع) حتى غدا الإنسان مغلوبا على آرائه ورغباته بسبب تدخل جملة من الثقافات التي لا تقيم وزنا لرغبة الإنسان بقدر ما تقيم وزنا لرغبة السلطة حيث أن المقياس الفني لا يعود لرغبة المبدع بقدر ما يعود لرغبة السلطة التي دائما ما تتحول إلى خصم وحول هذا الموضوع يخبرنا مؤلف كتاب (العنف والمقدس والجنس)[*][١٠٥] عن قصة (نزول عشتار إلى العالم الأسفل) وخلعها عند كل باب ما تلبس من أقراط وحلي وملابس ... حيث يخبرنا أن هذا الخلع ما هو إلاّ تعبير صادق من المرأه الشرقية عن رغبتها في التحرر من القيود الاجتماعية والثقافات السائدة والعودة إلى أحضان الأم الطبيعة أيام لم تك هناك ثقافة أو محرمات تفرض قيوداً على الممارسات الجنسية حيث حولت الثقافة العبرية الجنس من مفهوم بيولوجي ومشاعر صادقه

(*) (١٠٥) الربيعو، تركي علي، العنف والمقدس والجنس، المركز الثقافي العربي بيروت١٩٩٤م.

إلى مفهوم أيديولوجي يهدف أولاً وأخيراً إلى ترسيخ مفهـوم العائلـة الجديدة للمحافظة على أملاك الفرد من التقسيم العشوائي وبمقابل ذلك فقد وضع الجنس والدين والتوحيد والفن بكافة أشكاله تحـت وصـاية السلطة خوفا من التغيير بمفاهيم متعددة تهدف إلى المحافظة وقتـل روح الانطلاق من قبضة الثقافة ولترويض الإنسان أيضاً وتدجينه ثقافيا.

وأنه منذ ظهور عصر الأيديولوجيات حتى اليوم كانت المـرأه وما زالت هي الأكثر ميلاً للعودة إلى أيام الفردوس الضائع أيام لم تـك هنالك ثقافة أو تدجين الإنسان ثقافيا ووضعه في سجن تحرسه أفكـار ومفاهيم لا تقيم وزنا لحريته ورغبته ولقد امتاز الرجل طوال حياته بحب المحافظة حتى أن قصة إغراء حواء لآدم وهي قصة (إغراء) وليست قصة (إغواء) كما يتصورها الكثيرون فقصة آدم منقوشة على حجر سـومري يرجع إلى (٤٠٠٠ ق.م) هي أخبار حقيقية عن مفهوم الدين والجـنس ورغبة صادقه من حواء في إطعام آدم من تفاحتها الكنعانيـة ونخلتـها السومرية ويقول أستاذ علم الـنفس في جامعـة جورجيـا البرفـسور (توراناس) (أن المساواة بين الجنسين تشكل عقبه كـأداء في القـدرات الخلاَّقة فالقدرات الخلاَّقة لدى الفتاة تحتاج إلى الحـساسية والـصفات الأنثوية بينما تحتاج عند الرجال إلى الاستقلالية وصفات الرجولة)[١٠٦].

ولكن السؤال يطـــرح نفسه هنا هو لماذا أكثر الفنانين والمبدعين مـن الشرق إلى الغرب هـم

أكثر المبدعين
من طبقة الرجال

(١٠٦) مجموعة باحثين في قضايا المرأة ، مؤسسة ناصر للثقافة – ط١-١٩٨٠م ص ١٣١.

من الرجال ؟ والجواب هو :- لأن المرأة لا تتمتع بامتيازات الرجل الاجتماعية وإذا تمتعت بها فهي تقليديه ومحافظة بينما الرجل إذا تمتع بامتيازات المرأة فانه يبدع أكثر منها ذلك أن مجتمع الرجال والذكور يستطيعون الازدواج اجتماعيا بين عدة مفاهيم ولا تستطيع المرأة أن تقيم عليه حدودا ثقافية كالتي يقيمها هو عليها ذلك أن وصاية الثقافة على المرأة فيها نوع من القسوة على مشاعرها النبيلة والعاطفية والوجدانية. فهي تقليديه ومحافظة بينما الرجل إذا تمتع بامتيازات المرأة فانه يبدع اكثر منها ذلك أن مجتمع الرجال والذكور يستطيعون الازدواج اجتماعيا بين عدة مفاهيم ولا تستطيع المرأة أن تقيم عليه حدوداً ثقافية كالتي يقيمها هو عليها.

وسيبقى إلى الأبد هاجس المرأة الشرقية مرتبطا ارتباطا غير عقلاني وغير منطقي إلى الأبد مع جملة من المفاهيم الثقافية التي تحد من مشاعرها ويبقى هاجس الرجل مبغضا للمرأة (الشريكة) واقصد بالشريكة، المرأة الزوجة - نعم سيبقى الرجل الشرقي في حالة تناقض مستمر بين حب الحرية والانفلات من الثقافة والأيديولوجيا مع عشيقاته وخليلاته بنفس الوقت الذي لا يقبل به أن يقيم شراكه حقيقية مع صديقاته، وهذه المسألة تشبه إلى حد كبير احترام وتقدير العامل المنتج من ذكر وأنثى بنفس الوقت الذي يرفض به المجتمع والناس إقامة شراكة حقيقية مع أولئك الذين يعملون في أعمال يقال أنها وضيعة أو شبه متدنية مع السلم الوظيفي ولقد عبر فرويد في كتابه (الأحلام والقلق والخجل) عن هذا الموضوع بقوله :أن الأحلام تذهب بالإنسان مذهبا قريبا من المحرمات مثل (الزنا) والتمتع و(الاستمناء) وهذا كله بسبب

نشاط الإنسان الذهني أثناء الاستيقاظ وتفكيره المرير أثناء النهار بين ملاحقة نزواته الطبيعية وبين الامتثال لأوامر (النهي) الثقافية وكل البشر يتصارعون كل يوم بين حب الامتثال للأوامر الإغرائية والرضوخ إلى النزوات الشهوانية وبين الاستمتاع بأوامر النهي الثقافية وأن الثقافة والتثقيف هنا زاد المسألة تعقيدا على تعقيد فمن يوم عرف الإنسان الثقافة عرف معها (كبت) المشاعر وقتل بكبته روح المتعة مع الطبيعة المغرية.

وفي الوقت الذي عرف فيه الإنسان الشرقي هذه الأفكار كان الشيطان قد ولد مع هذه الأفكار والنزوات ويرى بعض المحللين أن معرفة الإنسان بالشيطان (كان فاتحه خير) إذ استدل الإنسان على السبب الأول لسقوطه وارتفاعه واعتبر أن الشيطان هو المحرك الفعلي للنزوات والمتع عبر وسوسته لحواء وآدم في الانفلات من كوابيس الثقافة، والقى الإنسان المثقف باللوم على الشيطان والمرأة وقام الإنسان المثقف بتنظيم نفسه من جديد عبر هدم كل أشكال الماضي وإقامة أبنية ثقافية حديثة تهدف إلى إعادة تنظيم الإنسان ثقافيا وهدم أبنيته البيولوجية التي لا تقيم وزنا للثقافة الاجتماعية على اعتبار أنها نظام وأنظمة اجتماعية لها جملة من المفاهيم الأخلاقية تتغير هذه الأخلاق عبر تغير الأشكال والعادات والتقاليد، فمن مجتمع يرى أن خروج المرأة حاسرة الرأس يشكل عيبا أخلاقيا فإنه في المقابل هنالك مجتمعات لا ترى في ذلك عيبا أو حرجا للمرأة أو الرجل ، وبالتالي فإن الأبنية الاجتماعية والأخلاق تتغير بتغير العادات وأساليب الإنتاج الاقتصادي ففي المجتمعات الزراعية كان وما زال نزول المرأة إلى سوق العمل في

الحقول والبساتين لا يشكل عيبا وإنما نمطا تعاونيا، أما عند مجتمع الرعاة فإن نزول المرأة للعمل لم يكن من الموضوعات الخطيرة التي تستحق البحث وذلك يعود أصلا إلى المجتمع الرعوي غير المنتج أصلا إذ أن الرجل به غير منتج وغير مستثمر، فكيف تكون المرأة عاملة وحال الرجل غير منتج، لذلك فإن الثقافة الإسلامية كانت على ذكائها وعبقريتها لا تقيم وزنا لعلاقة المرأة بالإنتاج، وكذلك الثقافة العبرية. حتى أن موضوع الاستثمار كان غائبا ذهنيا وعمليا.

* * *

كيمياء الحب:
(كلمة السر التي تفتح كل الخزائن،
هي: الحب،
عبارة مكتوبة على لوحة في الحكومة الاتحادية الألمانية)

هنالك خلط كبير وسوء فهم لكلمة الحب ولكلمة الجنس فليس من الضروري أن تكون للحب علاقة جنسية مع الطرف الآخر لكي نعتبره أن هذا هو الحب أو أن يكون الحب العملي بحد ذاته ناتجٌ عن علاقة جنسية أو شبه جنسية، فللجنس مفهوم خاص ناتج عن رغبة بيولوجية ملحّة وللحب أيضاً مفهوم خاص ولكنه أعم وأشمل من كل المستويات ومن كل العلاقات (الوضيعة) أو (الرفيعة) ولكن هذا لا يعني أن للحب مفهوم واحد أو مفهومين، إن تعريفات الحب واصطلاحاته واشتقاقاته ناتج عن تعدد أنواع المحبين لقد لفت انتباهي كتاب (الطب والجنس) لـ(مدحت شوقي) جاء فيه:(لا أعرف كلمة في قاموس اللغة...أسيء استخدامها مثل كلمة الحب،رغبة

الحرمان المكبوتة جنسياً بين اثنين توضع في إطار الحب...والإعجـــاب المتبادل بين اثنين يدعى الحب،ورغبة التملك يقال أنها قصة حب)[١٠٧].

والحب بشكله الرائع والممتع هو من أجمل العلاقات الإنسانية بين اثنين هما المرأة والرجل، وإن الحب هو أرقى درجات الإحساس وهـــو حالة من حالات الوعي المتكامل بين اثنين وهو من أعلـــى العلاقـــات العاطفية وهو روح الإنسان المبدع وأداته الخلاقة. ويضطرب الإنـــسان المبدع إذا فقد الحب أو إذا تعرض لجراحة وخصوصا إذا كانـــت هـــذه الجراح عميقة وبالغة الأثر، وان الإنسان المبدع إذا فقد حبيبه أو شريكه الحقيقي فإن أدوات إبداعه الإنتاجية تتعرض هي أيضا لموضوع فقـــدان الترابط الموضوعي، وإن المحب في حالة سلوك طبيعي في المجتمع ما دامت علاقاته الوجدانية طبيعية.

من هنا نشأت الاضطرابات الاجتماعية بين الرجل وبين المـــرأة نتيجة اضطرابات وجدانية، وقد نـــشأت الاضـــطرابات الوجدانيـــة في الشرق الأدنى عندما بدأت الثقافة تتـــدخل في الموضـــوعات الإنـــسانية الوجدانية وبدأت الثقافة بالتمرد على العاطفة وعلى السلوك العـــاطفي للإنسان وهذا كله عمل على إحداث شرخ في بنية الإنسان الوجدانيـــة وتحولت أحاسيسه من كتلة عاطفية إلى كتلة ثقافية وكلمـــا تـــدخلت الثقافة في الإنسان أكثر كلما ازدادت اضطراباته اكثر، ذلك أن الإنسان الشرقي هو الإنسان الوحيد الذي مازال يصارع بين الامتثـــال لأوامـــر النفس وبين الامتثال لأوامر الثقافة.

---

[١٠٧] شوقي، مدحت عزيز، والجنس، ص ١١،١٢، ١٣، الدار المصرية للنشر والتوزيع ١٩٨٨م.

وإن الحـــب يفـــرز في الجـــسم مـــادة كيميائيـــة وتـــسمى اختصارا(**P.E.A**)وهي تحقق الشعور بالمتعة والـسعادة والرضـا والخفـة والإحساس بانعدام الوزن نتيجة توسع الأوردة وانخفاض الضغط العصبي وهذه المادة – كما يقول عنها البروفيسور[١٠٨] (ميشيل رئـيس قـسم الاضطرابات العصبية – تحقق الشعور بالسعادة والرضا وتجعل الإنـسان يشعر برغبة هائلة في الاقتراب من الآخر وهذا العمل الكيميائي الـذي ينتجه المخ يعمل على الاستقرار العاطفي، عندها يقل إنتاج مادة الحـب في الجسم (**P.E.A**)وتذوب نشوة الإحساس بين الأطراف المتحابة ويخـف الوهج وتترل درجة حرارة الحب والعاطفة بينهما نتيجة للوصل لـذلك قيل (أن حبة البقلاوة حين تتجاوز البلعوم تصبح هي وخبـز الـشعير واحد)، بعد ذلك يبدأ الجسم في إنتاج مادة (الإندروفين) وهـي مـادة جذابة تساعد الأطراف المحبة في التعرف على بعضها بصورة افضل وهذا ما يسمى في الحديث (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها أأتلف ومـا تنافر منها أختلف) وهذا يعني أن من تآلف منها انتج مادة (**P.E.A**) ومن ثم (الاندروفين) وما تنافر منها لم ينتج أي شيء من هذا القبيل وبقـي مختلفا مع الطرف الآخر. ويلخص الدكتور (ميشيل) نظريته بقوله (كلما قل الاندروفين يقل الحب وينعدم التفاهم) وعنـدما أكـل آدم مـن شجرة التفاح، كانـت هذه التفاحـة تعـبيراً مجازيـاً عـن (الجنس) ولأن الحب والجنس يفتحان الشهية فان التفـاح أيـضـا يساعد الجسم على الانتفـاع بالكالسيوم لتجديد العظام وتقويتـها. وتؤثر (فرونات) الرجل العرقية خاصة تلك التي يفرزها من تحت إبطـه

---

[١٠٨] الصمد، محمد كامل، ثبت علمياً، ج٢،ص ٢٧٦، الطبعة السادسة الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٩م.

حيث تعمل على تنظيم الدورة الشهرية عند المرأه ،وقد أجريت تجـــارب بوضع مخدة تحت إبط كل رجل في إحدى المصانع لمدة (٢٧ ساعة)[(١٠٩)] أسبوعيا وتم بعد ذلك عصرها ووضع مواد عطريه ومزجها بـــالكحول ومسحوا بمحلولها شفاه بعض النساء فانتظمت الدورة الشهرية لـــديهن بعد أن ذقن الأمرَّين من عدم انتظامها.

وأن قدرة المرأة على الحب هي أكثر من قدرة الرجل وإن المرأة تحيا بعواطفها اكثر من الرجل الذي دائما ما يحاول إن يكون عقلانيـــا بتصرفاته، ولكن هناك رجال عشقوا النساء ودافعوا عنهن أكثـــر مـــن النساء أنفسهن ومن نافل القول إن الملك (إدواد الثامن) تنازل عن العرش (١٨٩٤-١٩٧٣) ليتزوج من مطلقه أمريكيـــة وهـــي (مـــسزوليس سمبسون) وهذه صوره مصغرة عن مفهوم (أعط كل شيء للمرأة الـــتي تحب)[(١١٠)] ويرى (شبلي شميل) وهو أول عربي تحدث عن نظرية النشوء والارتقاء[(١١١)]، إن مقدمة رأس الرجل اكبر من مقدمة المرأه بزيـــادة ٥٤ سنتم٣ (مكعب) أما مؤخرة دماغ المراه الذي فيه مركز العواطف فهـــو اكبر من المرأة منه في الرجل ولهذا قيل:

(إن المرأة تحيا بعواطفها والرجل يحيا بعقله) وربما هذا يعـــــود بسبب تعود المرأة على الحنـــان

سجل العاشقين بذكر مجانين العشق من الذكور وان خائنات العشق من النساء!!

---

(١٠٩) الصمد، محمد كامل، ثبت علمياً، ص١٢٣-،١٢٤ المصدر السابق.

(١١٠) الانسان والمجتمع ، المجموعة الثانية، الطبعة الثانية، الـــشركة العامـــة للنـــشر والتوزيـــع والاعلان١٩٨٠م،طرابلس ليبيا مجموعة من الباحثين ص .٧٢

(١١١) قضايا المرأة لجنة من الباحثين (شبلي شميل) مؤســـسة ناصـــر للثقافـــة ، ط١ ،١٩٨٠، ص٩٢-١١٠

الأمومي أكثر من الرجل مدة تزيد على (٣٥٠٠٠) سنة بينما لم يعرف الرجل في تلك الفترة مشاعر الأبوة والحنان إلاَّ متأخراً جداً تقريباً قبل خمسة آلاف عام من هذا التاريخ الذي نحن به اليوم، لذلك اتسعت مراكز الحنان في المرأة الأنثى أكثر من الرجل وذلك لكثرة استخدام مراكز الحنان والحب، وحين عرف الرجل كما قلنا سابقاً علاقته بحمل المرأة والإنجاب وعندها بدأت مشاعر الأبوة لديه تكبر وذلك لكثرة استخدامها.

ولكن من الغريب والملفت للانتباه إن الرجال الذين احبوا وعشقوا ثم (جنوا) هم اكثر بكثير من النساء العاشقات وهذا غريب جدا قياسا مع مركز العواطف المتسع في المرأة أكثر.

ولقد برزت في التاريخ صوراً كثيرة للنساء (الخائنات) أكثر من صور الرجال (الخونة) ولقد ظلت ومازالت قصص ألف ليلة وليلة تحتفظ بأكبر نماذج للمرأة الجميلة الخائنة، حيث برزت فيها صور المرأة الجميلة على أنها خائنة تسلك أقذر الطرق في سبيل الوصول إلى عشيق لها غير زوجها[١١٢] وقد تلجأ أيضا إلى الإجرام في سبيل ذلك، ودائما ما تبدأ صورة المرأة الجميلة على أنها خائنة، أما إذا كانت طاعنة في السن فإن صورتها تكون لصة ومحتالة تثير الفتن، ولقد ظلت هذه الصورة المشوشة تشوش على عقول الأطفال ردحاً طويلاً من الزمن ولولا تدخل عصر (الرواية الأدبية) لبقيت المرأة حبيسة قصص ألف ليلة وليلة وليس عنها بديل، ولكن بفضل تدخل الرواية تغيرت صورة المرأة الشرقية في عيون المجتمعات الحديثة، ولكن ظل ومازال الفلكلور الشعبي يحتفظ بصورة (المرأة الغولة) إلا أن هذه الصورة لا تتعدى أن تكون نمطا فنيا للدراسات العلمية غير مؤثر وغير فعال في توجيه أنماط السلوك البشري.

---

[١١٢] مجلة العربي، الكويت عدد١٠٩–١٩٦٧م مقال بعنوان:المرأة الجميلة في حكاية ألف ليلة وليلة.

ولو تتبعنا مصادر التاريخ لوجدنا أن أكثر العاشقين من الرجال وليس من النساء و لم نجد حالات هذيان عند المعشوقات كما هي عند العاشقين الذكور، وإن أصحاب دعوى التمييز أي تفضيل الرجل على المرأة يتخذون هذه القصص سلاحاً لتوبيخ المرأة على اعتبار أنها لا توفي معشوقها حقه، والحقيقة غير ذلك، لأن المرأة تخفي مشاعرها تحت ضغوطات اجتماعية ترى في إظهارها عيباً أخلاقياً يفقد المرأة حقها في الزواج، وما زلنا حتى اليوم نشهد مثل هذه الغمرة في مجتمعاتنا الشرقية، لذلك تعذر علينا ويتعذر قراءة أخبار أدبية وفلسفية عن حُب المرأة للرجل، حتى أن الزوج لا يتحدث عن مشاعر زوجته الأنثى، بينما تفتخر المرأة بما يقوله عنها رجلها وعشيقها أمام صويحباتها، ذلك أن المشاعر الإنسانية تميل أصلاً إلى الاختباء والاستخفاء، والغاية الكبرى في الحب أنه يتحول إلى كراهية إذا لم يحصل المحب على ما يريد من وجه حبيبته، ويفسر مؤلف كتاب (الحب والكراهية)[113] أن سبب كره العرب في العصر الجاهلي للمرأة واحتقارها يرجع إلى هذه الأسباب بالنسبة للمرأة التي تكره الرجل وهو سبب عائدٌ أيضاً إلى تعلق المرأة بالجنس الآخر وحرمانها منه.

ولقد وصل لنا كتاب للجاحظ خاص بالنساء يقول فيه: (إنَّا لم نجد أحداً من الناس عشق والديه ولا ولده، ولا عشق مراكبه ومترله كما رأيناهم يموتون في عشق النساء الحرام)[114].

ويسوق الجاحظ دليلاً من القرآن على ذلك قوله تعالى: (ين

[113] اسعد، يوسف ،ميخائيل،الحب والكراهية ،مكتبة غريب القاهرة، ص ٩٧ بدون سنة طبع.

[114] مجلة العربي، عدد ١٣٥م بقلم ظافر القاسمي، أرجو العلم أنه لم يصل لنا من هذا الكتاب إلا ثمان صفحات، وقد ضمها حسن السندوبي إلى (رسائل الجاحظ) كانت قد نشرت في كتاب لأول مرة سنة ١٩٣٥م.

للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الـــذهب والفضة والخيل والمسومة والأنعام والحرث).

ويقول الجاحظ حول هذه الآية: أن القرآن أشـــار إلى حـــب الشهوات من النساء أولاً ويأتي البنين في الدرجة الثانية والذهب والفضة في الدرجة الثالثة.

ويورد الجاحظ دليلاً آخر على مكانة المرأة العليا حيث يقـــول: "إن الله قد خلق ولداً من المرأة من غير ذكر، ولم يخلق من الرجل ذكـــراً من غير أنثى ويسوق أدلة عقلية على مكانة المرأة المعشوقة وهذه الأدلـــة هي: أنها هي التي تخطب وتراد وتعشق، وهي التي تفدى وتحمى، ويقدم الجاحظ دليلاً آخر حيث يقول:

(لم نر الرجال يهبون للرجال، إلاَّ ما لا بال له،

في جنب ما يهبون للنساء،

حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل... لهنَّ).

ولقد أورد الجاحظ كل هذه الدلالات، للدلالة أولاً على عشق الرجـــال للنساء وتجاوزهم بذلك كل ما هو (محرم) في فترة العصر الـــذهبي مـــن الثقافة العربية، ويريد الجاحظ أن يوضح لنا أن العرب وغـــير العـــرب يعشقون النساء بغض النظر عن التزامهم الشديد بـــالتعفف والتـــرهبن وبغض النظر أيضاً عن التزامهم بقواعد السلوك الأخلاقي، وحتى يتجنبـــوا الوقوع في الحرام فقد لجأوا إلى تعدد الزوجات وإلى زواج المتعـــة وإلى التسري بالجواري والإمـــاء!!؟

عشق الرجال للنساء
تمثل بصورة متعددة الأشكال

ولما فتح المسلمون بلاد فارس ورأوا ما رأوا من نعيم ونساء من أمثال بنات (يزدجرد) ملك الفرس، حيث أخذ علي بـــن أبي طالـــب اثنتين، دفع بالأولى إلى ولده (الحسين بن علي) وأولدها (علي الثـــاني) الملقب بـــ(زين العابدين) والثانية إلى ربيبه (محمد بن أبي بكر) فأولـــدها القاسم، وكان من شدة إعجاب المسلمين بالنساء أنهم منعوا (الإماء) من لبس الحجاب وكان إذا رأى عمر بن الخطاب أمةً متحجبة، كان يضربها على حجابها وهو يقول: (فيم الأَمَة تتشبه بالحرائر)[١١٥] وكان الهـــدف من ذلك حتى يراهن الرجال ويرغبوا بشرائهن، أو لربما بسبب سلوكهن المخالف لسلوك العربيات الحرائر فخاف بن الخطاب أن يخـــتلط الأمـــر على الناس.

ويقال أنه لما دخل عبدالرحمن بن أبي بكر على عبدالله بن مروان وكان بجانبه جاريتان تروحان له بريش نعام فبهت عبدالرحمن من شـــدة جمالهن وقال: (إن كن هؤلاء النسوة من الإنس فمـــا نـــساؤنا إلاَّ مـــن البهائم) ويقال: أن هارون الرشيد وهب جاريته (دنانير) عقـــداً بقيمـــة ثلاثون ألف دينار وذلك عن غنائها الجميل، ولقـــد قبَّـــل ابـــن عـــون البغدادي المغنية على فمها وألقى من فمه إلى فمها جوهرة كانـــت قـــد باعتها بعد ذلك بثلاثين ألف درهم، وعندما مرضت جارية عبد الله بن طاهر ووصـــــــف لهـــــا الثلج في الصيف اشترى لها عبدالله بن طاهر بضعـــــة أرطال من الثلج

كلما تقدمت الحضارة كلما تراجعت صورة المرأة ومركزها الاجتماعي

[١١٥] الترمانيني، عبدالسلام،الرق ماضيه وحاضره، مجلة عالم المعرفة، عدد،٢٣ الكويت.

بخمسين ألف درهم،وإنه لما غضبت (طروب) جارية (عبدالرحمن بن الحكم بن هشام) منه، وأغلقت الباب على نفسها و لم يجد هو أي شيء لاسترضائها فقد لجأ أخيراً أن يبني على باب بيتها بـ (البدر) والبدر كيس به عشرة آلاف دينار وقال لها افتحي الباب ولك كل أكياس البدر.

وإنه كان للمتوكل أربع آلاف سرية، ويقال أنه وطئ الجميع، وكان للأمير نصرالدين أمير ديار بكر، إلى جانب زوجاته الأربع ثلاث مائة وستون جارية، وكان يخلو كل ليلة بواحدة منهن من ليالي السنة[١١٦].

وهذا يفسر لنا بوضوح أنه كلما تقدمت البشرية كلما نزلت المرأة إلى الحضيض، وما هذا الحب إلاَّ للجواري والمومسات، وليس للنساء الحرائر، ومن يدقق النظر بوضوح فإنه سيجد أن هذه الظاهرة ناتجة عن مرض اجتماعي، وهو اشتداد (سلطة العاهرات) التي نتجت عن شبع زائد، وبمقابل ذلك لم يسمح للنساء الحرائر بحرية الحركة، بل فرض عليهن الحجاب، ولا تستطيع المرأة العربية أن تفعل أي شيء إزاء هذا، وذلك يعود إلى سبب مهم جداً وهو: عدم القدرة بالنسبة للمرأة على تأمين استقلالها، لأن الرجل وحده هو الذي يؤمن لها احتياجاتها، لذلك رهينة آرائه وتصوراته وأفكاره.

تجارة الرقيق وتجارة العبيد وتجارة الجواري هم أول من طور الماكياج

ومن المهم ذكره في هذا الباب أن اختراع (المكياج) كان لاول مرة في

[١١٦] الترمانيني، عبدالسلام، الرق ماضيه وحاضره، مجلة عالم المعرفة، عدد،٢٣ ارجو العلم أن كل هذه الأرقام من هذا المرجع ، ص ،١٢٧ ،١٢٨ ،١٣٢ .١٣٩

التاريخ على يد تجار العبيد (النخاسون) حيث ساعد هؤلاء على تأسيس علم التجميل، وذلك بهدف إخفاء عيوب بعض الجواري من غير الجميلات، إذ استعمل التجميل لأول مرة للنساء غير الجميلات وذلك بهدف إظهارهن بمظهر جميل يزيد من سعر بيعهنَّ، لذلك قام النخاسون بصبغ الشعر وتغيير لون البشرة وما إلى ذلك من فنون التجميل ومما يلفت النظر أن الجواري الجميلات كنَّ متعة جنسية عند الحكام والأغنياء، أما الرجال الذين يخدمون نساءهم فكانوا من (الخصيان) لأنهم من غير ذوي (الأربة) فكان الخليفة المتوكل يملك منهم (٤٠٠٠) والمقتدر (١٠,٠٠٠) وعرفوا أيام المماليك باسم (الطواشيه) و(الأغوات) وذلك حتى يضمن الخلفاء عدم قدرتهم الجنسية مع زوجاتهم وبناتهم.

وبمقابل ذلك كان لإفراط العرب بـ(الأطيبين) وهما (النكاح والطعام) أثراً بالغاً في اعتلال صحتهم وأمزجتهم النفسية وقد لوحظ من قبل علماء التاريخ أن الواحد منهم لم يعش لأكثر من خمسين عاماً، وكان لاعتلالاتهم الكيميائية سبباً في أخذ الناس بالشبهه والظنة، لذلك اعتلّت دولتهم بسبب كيمياء أدمغتهم الشاذة، الناتجة عن شذوذ حبهم للنساء[117] ولشذوذهم الجنسي أيضاً.

وبالعودة إلى موضوع الحب نجد أن اتجاه العرب وغير العرب من الشرقيين إلى الزواج المبكر لا يرجع إلى (الرغبة الجنسية) ولقد نشر الدكتور (أبو مدين الشافعي) مقالاً في مجلة (حياتك) تحت عنوان: (الحب والعقد النفسية) حيث قال:

"... وإن تكرار الزواج لا يرجع إلى الرغبة الجنسية بقدر ما

[117] الترمانيني، عبدالسلام، الرق ماضيه وحاضره، مجلة عالم المعرفة ،عدد ،٢٣ الكويت ص ١٣٨.

يرجع إلى موضوع التعطش للحب"[118].

وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل أيضاً على شيء بالغ الخطورة أيضاً، وهو أن اهام النساء بالزنا هو أيضاً مصطلح خاطئ، فإن المرأة أيضاً المتعطشة للحب ولا تستطيع تكرار الزواج، فإنها تلجأ إلى الحصول على ما يسد عطشها من وجه حبيبها بالطريقة التي تراها هي مناسبة ذلك أن تكرار الزواج من حق الزوج مع الاحتفاظ بحقه في الإبقاء على أربع زوجات، بينما المرأة الشرقية وغيرها من النساء هنَّ في مصيبة اجتماعية بين مشاعر الأمومة والبقاء على ما هو عليه وبين خلع الزوج والزواج بآخر وفقدان مشاعر الأمومة مع الاحتفاظ الرومانسي بمشاعر الأنوثة، وهذا بسبب عدم قدرها الاجتماعية على الاحتفاظ بزوجين شرعيين.

ومنذ بدء الخليقة كانت النظرة إلى المرأة تتوقف من حيث بدأت، أي عند حدود المستوى البيولوجي، لذلك رسمت المرأة بأشكال متعددة من التعبير عند مستوى الإخصاب، حيث صوَّر الثديين في تمثال (ربة الينبوع) كتعبير عن مصدر الحياة والغذاء، ولكن بعد ذلك حين تطور الإنسان بدأ يقف عند حدود جديدة لشكل المرأة وهو (الرمز) والرمز بمعناه الحقيقي للحب، حيثً بدأ الإنسان الشرقي يفضل المرأة (القمحية) والممتلئة أما الغربيون فإنهم توقفوا عند المرأة (البيضاء) والنحيفة الجسم، وهذه هي حدود (الحب) وبداياته، وهنالك تفسير آخر لهذه الألوان وهي، أن العرب فضلوا حب المرأة السمراء لأن كل النساء هنالك قمحاويات، والغربيون يفضلون الشقراوات والبيض، لأن طبيعة المناخ أعطت

---

(118) مجلة حياتك، مجلة شهرية،عدد،٤ ١٩٥٧م.

المرأة والرجل هذا اللون كما أعطت الصحراء العربية لون المرأة والرجل، وهنا فإن للحب علاقة اقتصادية أيضاً، بدليل أن رجال (التبت) يفضلون المرأة العدوانية على الدمثة والمسالمة، ذلك أن النظام الاجتماعي عند هذه القبائل قائم أصلاً، على بطش المرأة، وعلى حقها في تعدد الأزواج من الرجال بعكس الشرق العربي[١١٩].

ومما يلفت النظر إلى موضوع الحب هو قصة الملك (أدولف فريدريك) السويدي ١٧٧١-١٧١٠)م)حيث انه لم يقف عند حدود المستوى البيولوجي للحب، بل كان يقف عند حدوده (الرمزية) حيث أنه كان يحتفظ بسبع عشيقات[*]، واثنتان منهن بعين واحدة، واثنتان بذراع واحد، واثنتان بساق واحدة، أما السابعة فقد كانت بلا ذراعين، وحين سئل الملك يوماً عن هؤلاء أجاب إجابة رمزية حيث قال: (إن الحب الحقيقي قائم على الشفقة) وكان يحتفظ بمعشوقاته لإقناع الناس أن الحب يقوم على الشفقة.

وإنه بالرغم من كل محاولات تحجيم المرأة إلاَّ أنها ما زالت قادرة علي الحب والحنان والعاطفة أكثر من الرجل[١٢٠].

أكثر العظماء في التاريخ
عشقوا النساء
غير جميلات

وإن كثيراً من العشاق يقفون عند المعنى الجنسي للحب وإن القلة النادرة تقف عند معانيه الرمزية والحيوية ويضيفون قداسة عليه من خيالاتهم ووساوسهم،

---

[١١٩] اسعد، يوسف ميخائيل، الحب والكراهية ، مكتبة غريب القاهرة ، بدون سنة طبع،ص،١٠٢، ١٠٣، ١٠٨.

[*] يجب التنويه إلى أننا معنيون بالشرق وحده ولكن حين يصل الموضوع إلى الحب فإننا مضطرون إلى ملاحقة غرائبه في كل قلوب العشاق.

[١٢٠] ابو صايمة، عايده عبدالله، المرأة في الوطن العربي، ص ١٦٧، ط١، عمان ١٩٩٧م.

وإن هذا النوع من الحب الراقي يفسر لنا سبب تعلق بعض الرجال العظماء في التاريخ بنساء يوصفن في كتب التاريخ على الغالب بأنهن غير جميلات، ولكن يستغرب المحللون والدارسون لهذا الحب، ولو أن بعض الباحثين يتعمق في داخل شخصيات هؤلاء العشاق ليجد أن مفهومهم للحب لا يقل روعة وإثارة عن مفهوم ملك السويد (أدولف - فريدريك) حين فسر الحب بـ(الشفقة) وإن (كيلوباترة) لم تك ذات جمال ويقال أن لها أنف كبير جداً مثل انف (ابن حرب) ومع ذلك تعلق بها (يوليوس - قيصر) واستولدها طفلاً، وذهبت معه إلى روما ولما عادت إلى مصر عشقها (مارك أنطونيوس) ومن أجلها ضيع حصته في ميراث (قيصر) وكذلك كل عشيقات (لويس الرابع عشر) فقد كانت الآنسة (لافاليير) إحدى رجليها قصيرة عن الأخرى،فهي تطلع في مشيتها، وكانت كبيرة البطن ظاهرة (الكرش) إذا أكلت، دائمة القح والسعال، و(لويس الرابع) هو صاحب مقولة: (ليس في الحرب وحدها ينتصر الإنسان) أو بعبارة أخرى (إن المرء لا يجد النصر في الحرب وحدها) وقال هذه العبارة لوزيره (لوفوا) حين أخبرته عشيقته بموافقتها عليه وهي مدام (دي - مثتانون) وكان جسمها مترهل وشحمها تحت ذقنها ثقيل وتشبه صور الكاريكاتور.

أما الكاتبة المشهورة (جورجيا صاند[*]) فقد عشقها (موسيه) أكبر الشعراء والموسيقى (شوبان) وكانت تقول عن نفسها (لو ألبسوني ثياب الغلمان لكنت غلاماً حسناً أكثر مني فتاة جميلة)[١٢١]

---

[*]اسم فني أو حركي غير حقيقي وإسمها (أورور).

[١٢١] عبدالفتاح، سيد صادق، أغرب عجائب المرأة ، ص ٢٦٠-٢٧٩، دار الكتاب العربي، دمشق١٩٨٨م.

ويفسر لنا مؤلف كتاب (أغرب عجائب المرأة) هذه الظاهرة بقوله:

"... وإن كانت العلاقة بين الرجل والمرأة ترجع في الغالب إلى العامل الجنسي، فالرجل حين تستهويه الأنثى إنما يكون سلطان أنوثتها أقوى من سلطانه على عقله، وهو لا يعدو أن يكون حيواناً، قبل أن يكون رجلاً صقلته المدنية، لأن أساس هذه الحيوانية كامن فيه يحفزه إلى بقاء النوع.."[١٢٢].

وبما أن تاريخ البشرية قد تطور عبر العصور من مستوى الحاجات البيولوجية، إلى مستوى (الرمز) فإن الشرقيين بذلك قد تطوروا عبر هذين المتغيرين، لذلك فإن كل العالم والشعوب اليوم يعانون من المرأة بين الوقوف فقط عند مظهرها المغري وبين الوقوف عند دلالاتها الرمزية، وبعبارة تاريخية أكثر ملاءمة للموضوع نقول:

أن الثقافة الكنعانية والزراعية كانت قد وقفت عند حدود الحاجات البيولوجية، أما الثقافة الرعوية فقد تعدت هذه المرحلة لتقف هي والثقافة من المرأة موقفاً أخلاقياً، كان قد رسم هذا الموقف الثقافي بصورة المرأة عبر جملة من الرموز والإشارات والإيحاءات والدلالات الرمزية على أن تبقى صورتها صاحبة موقف أخلاقي في إظهار وجهها وتفاصيل جسمها، لذلك عملت ثقافة التقدم العلمي العبري والعربي والرعوية على تطهير العلاقة

الثقافة الزراعية الكنعانية حفظت الجنس في حدود الطبيعة البيولوجية والثقافية الرعوية العبرية طهرت العلاقات الجنسية.

---

[١٢٢] عبدالفتاح،سيد صادق، أغرب عجائب المرأة ، ص ،٢٦٥ المصدر السابق.

الأنثوية والذكرية من أكثر المواقف البيولوجية إلحاحاً وهـي الحاجة (الجنسية) لذلك فإن مظاهر الحب الكيميائية قد طغت عليها الثقافة العصرية زمن ظهور الأنبياء والرسل في الشرق الأدنى، لذلك فقد كان (فرويد) محقاً حين قال: أن تفكير الإنسان الدائم أثناء اليقظة بمجاوزة مفهوم (الحرام – التابو) جعله أثناء النوم ينعتق من كل مظاهر الحرام والمحرمات ليصل بعلاقته الجنسية إلى أبعد الحدود حتى مع المقربين إليه الذين تربطه بهم علاقة قرابة الدم، لذلك فإن الإنسان في حالة الحلم يهرب من الثقافة ليعود إلى واقعه (الحيواني) أيام كان كالحيوانات الأدنى منه بدون لغة وثقافة ومحرمات، ويقول مؤلف كتاب (العنف والمقدس والجنس) الذي ذكرناه في المصادر السابقة، أن رحلة (عشتار) إلى العالم الأسفل وخلعها عند كل باب من أبواب العالم، ترمز إلى رغبة الآلهة عشتار بالعودة إلى حضن الأم الطبيعة أيام لم يك هنالك ثقافات، وما خلعها للأساور والأقراط والثياب إلاَّ لرغبتها بالتخلص من حدود الثقافة الرعوية وتجاوز كل المحرمات، بمعنى آخر: إن عشتار خلعت كل رموز الثقافة فكل ثيابها ترمز إلى الدنس الثقافي الذي يرمز إلى (العفة) والطهارة من دنس الثقافة، بعكس ما يعتقده غالبية الناس، وما الرسومات والمنحوتات العارية إلاَّ تعبيراً عن براءة الإنسان قبل أن يلبس الثقافة وإن الثقافة بكافة أشكالها عملت على (قهر) روح (المتعة البيولوجية) بسبب قواعد السلوك الأخلاقية الجديدة.

وإن عمر بن أبي ربيعة، على غزله كان يظنه الناس فاحشاً

ولقد أجمع المؤرخون على غير ذلك إذ قالوا (إنه لم يحل إزاره يوماً على حرام)[123] وهذا يعني أن عمر بن أبي ربيعة كان يقف عند حدود الصنعة الأدبية الغزلية، وإن سلوكه الاجتماعي بخلاف منظومته المعرفية (إسبمولوجيا) أي أنه أدبياً مفارقاً الثقافة وحدودها الأخلاقية وهذا يظهر من خلال صوره الأدبية مع (نعم) في قصيدة:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكرُ — غداة غدٍ أم رائحٍ فمهجر

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا — كي يحسبوا أن الهوى حيث تنظرُ

وإنه كان وما زال الحب ظاهرة اجتماعية بين جمال الروح وجمال المتعة الجسدية، وإن المرأة منتصرة في الحالتين، تنتصر حين يقف الرجل منها موقفاً روحياً ورمزياً، وتنتصر حين يقف منها موقفاً جسدياً بيولوجياً ممتعاً لأنها في هذه الحالة تثبت عجز الثقافة في الانتصار على الطبيعة الأم والطبيعة المرأة.

---

(١٢٣) كحاله، عمر رضا، المرأة في عالمي العرب والإسلام ، ص ٤٥، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٧٨م.

الفصل الثالث

فروقات خَلقية وخُلقية بين الرجل والمرأة

فروقات خَلقية وخُلقية بين الرجل والمرأة

نشرت مجلة العربي[١٢٤]، مقالاً عن الأدب النسوي وطبيعة شكواه الدائمة من الرجل، وقالت المجلة –نقلاً عن صحيفة الأخبار القاهرية– أن المرأة دائمة الشكوى من الرجل لأنه هو الذي وضع ويضع القوانين الخاصة بالمرأة ولأن المرأة عاشت في مجتمع الرجل فقد ظلت حريصة آلاف السنين على إرضائه في أن تكون أنثاه التي تهبه السعادة، لذلك زادت المرأة اهتمامها بجسمها أكثر من عقلها فأضاعت وقتها في التزيين وارتداء الملابس، أكثر من اهتمامها بثقافتها –وأضافت المجلة قائلة– حتى حينما اهتمت بثقافتها أخفت في كل كتاب منشفاً، وفي كل مجلة مرآة، لأن الرجل يريدها جسماً ويضيق بها عقلاً، ... ولقد عبرت القاصة الأردنية (رجاء أبو غزالة)[١٢٥] عن هذا النوع من التفاوت بين الذكور والإناث، حين وبخت أخاها معيرة إياه عدم استيعابه حين كانت تعلمه في المرحلة الإلزامية من الدراسة الابتدائية، وإن القاصة تتخذ من رسالتها إلى (عرب)[*] عدة مراحل من مراحل العمر وكيف أصبحت هي بعد سن البلوغ ضحية التآمر الثقافي حيث جسدت في

---

[١٢٤] مجلة ا لعربي، الكويت،عدد،٩٨نقلاً عن صحيفة الأخبار القاهرية.

[١٢٥] ابو غزالة، رجاء ، القضية ، مجموعة قصصية ، وزارة الثقافة ، عمان، الأردن ، ١٩٩٤م.

[*]حملت هذه القصة عنوان مجموعتها(القضية) وشخصية عرب هي تعبير مجازي عن كل العرب و المستشفي عن الدولة ،وأبوها وأخوها نيابة عن الشخصية العربية الذكورية.

شخصيتها شخصية المرأة البطلة المظلومة التي تسكن في بيئة عربية أشبه ما تكون بـــ(مستشفى للأمراض العقلية)، وإن هذه الملاحظةً ينتقـــدها كل المثقفين العرب التي تعني بموضوع التفاوت العقلي بين الإناث وبـــين الذكور في مراحل التعليم الأولى، واختلافهم في الدرجات العلمية بعـــد سن البلوغُ يكون الرجحان في البداية لصالح الإناث ثم يتحول إلى صالح الذكور بعد مرحلة البلوغ.

وإن من المثقفين من يلقي باللوم على التربية حيث يعتـــبرون أن لتراجع الإناث علاقة بالتربية عائدةً بشكلٍ رئيسي إلى إهمـــال أوليـــاء الأمور بالإناث وتوجيه اهتمامهم بالذكور وممن يرى غير ذلك إذ يعتـــبر أن للموضوع معوقات بيولوجية تبدأ من سن يوم واحـــد إلى مرحلـــة الشيخوخة ومما يلفت النظر في هذا الموضوع، هو أول اجتماع في تاريخ أوروبا والعالم الإنساني الخاص بقضية (المرأة) وكان قد حصل ســـنة (٦٨٥)بعد مولد (محمد) وكان مقر الاجتماع ابفرنسا وقد طرح بـــه هذا السؤال؟

هل المرأة إنسان؟!!!

وكانت النتيجة أنه صدر بيان يقول:

إنها إنسان خُلقت من أجـــــل خدمة الرجل وحـــــــده[١٢٦]، وقد نشرت مجلة عالم الفكر[١٢٧] مقالاً كانت قد انتقدت بـــــه (إنجيل الثـــــــــورة الفرنسية)

القاصة، رجاء أبو غزالة عانت قصصها من تميز الذكور عن الإناث بعد سن البلوغ

---

[١٢٦] مجلة الوعي الاسلامي ، الكويت ، عدد،٢٧٢ ،١٩٨٧ مقال بقلم:ميرفـــت عبـــدالعظيم عثمان.

[١٢٧] فتحية محمد ابراهيم ، مجلة عالم الفكر، المجلد السابع، العدد الرابع١٩٧٩م وزارة الإعـــلام ،الكويت العنوان (دراسات نسائية).

(العقد الاجتماعي) لـ(جان جاك روسو) حيث قال روسو: (يجب أن يرتبط تعليم -النساء- بحاجتهن إلى إسعاد الرجال) وإن المجلة والكاتبة يستغربون من هذا، غير أن كل هذه الأمور التي ذكرناها ليست غريبة وخصوصاً عن (الطبيعيين) وكان الفيلسوف اليوناني أرسطو يرى المرأة (نصف رجل) وهذا الرأي لـ(أرسطو) قريب النظر من نظرة الثقافة الإسلامية التي ترى (أن النساء ناقصات عقل ودين) وإنه منذ وجود الإنسان العاقل منذ (٣٠٠ ألف سنة بعد المليون) أي أن عمر الإنسان الحالي ما يقرب من[١٢٨] (١٠٠ ألف عام) منذ تلك الفترة لم تك هنالك فروقات بين الذكور والإناث، وقد يستغل هذه الفكرة أصحاب نظرية المساواة لإقناع أصحاب دعوى التمييز بين الذكر والأنثى، أنه لا توجد فروقات إلاَّ فروقات اجتماعية ناتجة عن تقسيم منظم لدور المرأة في المجتمع من حيث أنها تحسن تقديم الخدمات للزوج والعائلة، الأمر الذي جعلها تحت وصاية الذكر، وإن كان أصغر منها سناً وتعلماً كما هو الحال في قصة (القضية) السالفة الذكر.

إن رأي أرسطو وروسو والإسلام ليس عارياً تماماً عن الحقيقة، وإذا اعتبرنا أن الإسلام قد حجم المرأة الحرة في بعض المواقع، فإن هذا التحجيم ناتجٌ عن ملاحظة دقيقة لتصرفات الأنثى، ولكن التحجيم الأكبر الذي حصل من المجتمعات العربية وغيرها فيه زيف وتزوير وهو ناتجٌ عن نظريات اقتصادية (عارية عن الصحة) لأن القوانين غير الطبيعية قد وضعها البشر وبالذات وضعها مجتمع الرجال، غير أن الملفت للانتباه أن الذين وضعوها وهم غير معنيين

---

(١٢٨) طبيشات،محمد عايد ، تاريخ الإنسان الطبيعي، ص ٥٠، ط١، ١٩٩٦م.

بالتاريخ الطبيعي للإنسان، وقد جاءت نتائجهم شبه مطابقة لتاريخ الإنسان الطبيعي[١٢٩].

وإن تاريخ الإنسان الطبيعي يظهر فروقاً بين الجنسين الذكري والأنثوي، وفي كثير من الأحيان يحدد نوع الجنس في بقايا الهياكل العظمية من خلال (الحوض) حيث أن حوض المرأة أوسع مع العلم أن حوض الرجل (أثقل) وزاوية فتحة الورك عند المرأة أوسع من الرجل وتقدر بـ(60°) وعند الذكور تصل إلى نصف هذا الرقم بعد سن البلوغ أي بزاوية قدرها (30°) وهذا الأمر كما قلنا قلل من أهمية دور المرأة في مجتمع (الصيد) وذلك بسبب انخفاض سرعة المرأة بسبب تباعد خطواتها كما يقول مؤلف كتاب (بنو الإنسان)[*] أي أن خطوات الأنثى تذهب بشكل زاوية منفرجة، وإن خطوات الرجل أقل بـ($30^{\circ\circ}$) لذلك فهو يخطو إلى الأمام بعكس المرأة، وهذا يظهر كثيراً لدى النساء ذوات الشحم الكثيف حين يتمايلن بخطواتهن من اليسار إلى اليمين ولا يظهر هذا التمايل عند الذكور والمشي بزاوية منفرجة علامة على الانحطاط في الخلق والمشي للأمام علامة على الارتقاء النوعي في الخلقة، لذلك فإن هذا الفرق البيولوجي بين الرجل والمرأة جعلها تقعد في بيتها مدة تقدر بـ(٩٩٠ ألف سنة) تاركة مجال الصيد والحرب للرجال تقدر بـ(٩٩٠ ألف سنة) الأمر الذي جعل مجتمع الصيادين أن يصدروا أوامر ونواهي ضد المرأة مستغلين بذلك عدم قدرتها على الانخراط في السلك العسكري الذي ظهر من خلال الصيادين المحاربين وإن الرجل يأكل

---

(١٢٩) محمد عايد طبيشات، تاريخ الانسان الطبيعي، ص ٦٩-٧١، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف بدون دار نشر، ١٩٩٦م.

(*) يرجي مراجعة المصادر السابقة للتعرف على المصدر.

ويشرب أكثر من المرأة ولكنها (أشره) وأنهم منه في الطعام، وذلك يعود لأسباب منها أن عمل الرجل العضلي يتطلب حرق سعرات حرارية أكثر من الأنثى القاعدة في البيت والرجل يتناول من الأكسجين المطهر للــدم أكثر من المرأة ولكنها تتنفس أكثر من الرجل بزيادة نفــس واحــد في الدقيقة وهذا يبدأ من سن (٥١ إلى ٥٠) سنة، وحرارة الذكر مقارنــة بحرارة الأنثى تشبه إلى حد قريب حرارة الديك للدجاجة، وقوة ضــغط الدم عند الرجل أقوى منٍ الأنثى علماً أن نبضه أبطــئ مــن نبــضها بـــ(١٠١ إلى ١٥) نبضة في كل دقيقة و(١٨) نبضة بين الأسد واللبؤة، و(١٠) نبضات بين الثور والبقرة و(١٣) نبضة بين الشاة والكبش وكل هذه الأرقام راجحة من جانب الإناث.

وإن غالبية أقدام الإناث أكثر انبساطاً وتحدباُ من أقدام الرجال، وهذا يدل على (الانحطاط) الخَلقي في سلم النشوء الطبيعــي للإنــسان العاقل، وإن ذوات الغنج والدلال،يلبسن أحذية ذات كعبٍ عالٍ لإخفاء هذا التحدب.

وإن قوة المرأة بالنسبة إلى قوة الرجل مقاسة بالدينامو متر، مــن سن(٢٥-٣٠) هي ثلثا قوة الرجل في هذا السن، وجمجمة الرجل أكبر من جمجمتها وسعتها في الرجل الأبيض(١٤٤٦سم٣) وفي امرأة الرجل الابيض(١٢٢٦سم٣) وإن معدل وزن دماغ الرجل إ جمالاً هـــو (١٣٢٣) غراماً والمرأة(١٢١٠) غرامات، والفــــــرق (١١٣)

مشية المرأة متمايله من اليسار إلى اليمين ومشية الرجل مستقيمة والفروقات صالح الرجل منطقياً ولصالح المرأة جمالياً

غرام ومقدمة دماغ الرجل الذي تقع به مركز القوى العاقلة هو أكبر من مقدمة رأس المرأة بـ(٥٤سم٣) راجحة من جانب الرجل، ولكن من الملفت للانتباه أن مؤخرة دماغ المرأة والذي تقع به مراكز القوى العاطفية والحب والحنان هو أكبر من مؤخرة جمجمة الرجل، لذلك كان صحيحاً ما يقال عن المرأة (أنها تحيا بعواطفها والرجل يحيا بعقله)[١٣٠] وحركة المرأة يسارية تباعدية وهي دليل على الانحطاط، لأنها تشاهد في فروع البشر السفلى كالقرود، وإن المرأة تنحط عن الرجل كلما كان الإنسان أعرق في الحضارة والتقدم والمدنية، وتساوي الرجل كلما تراجع التاريخ إلى الخلف وكلما تباعد التاريخ أكثر إلى مستوى ما قبل العصور الحجرية فإنها تتقدم هي ويتراجع الرجل وكلما تقدم التاريخ كلما تقدم معه الرجل وتراجعت المرأة، وهذا ما يلاحظ عند كافة شعوب الأرض الآسيوية والقوقازية، ويلاحظ في المجتمعات الإفريقية أن الأنثى أقوى من الذكر وحكى العالم "فولي" أن المرأة تضرب الرجل إذا أخطأ في المجتمعات المتخلفة في تاريخها الطبيعي مثل (التبت) وجزيرة (كمشتكا) وجزيرة (جافا) وإن اختلاف الصورة بين الرجل والمرأة يكون أقل كلما كان الشعب أدنى في الحضارة وحكى العالم "بوشت" أن صورة المرأة في السودان لا تختلف عن صورة الرجل أي أن المرأة هناك تشبه الرجل في الشكل

وكذا تتفوق المرأة على الرجل في مراحل العمر الأولى ويتفوق الرجل على المرأة بعد سن البلوغ لأسباب اجتماعية وبيولوجية

---

[١٣٠] لجنة من الباحثين في كتاب ، قضايا المرأة، الباحث: شبلي شميل، ص ٩٢-١١٠، مؤسسة ناصر الثقافة، ط ١، ١٩٨٠.

والقامة، وما يكون في القبائل السافلة اليوم يكون في القبائل الغابرة، أي أنه كلما كان الشعب أرفع كلما كانت فيه المرأة أقل، حيث أنه بقي على الطبيعيين من علماء الأجناس أن يقولوا: أن تغلب الرجل على المرأة هو من ضروريات الارتقاء والتقدم وقد لاحظ العالم (بروكا) أن حجم جمجمة المرأة التي عاشت قبل التاريخ هي أكبر وأوسع من حجمها اليوم وهذا يلاحظ ويشاهد في العصور الغابرة ولا يلاحظ في العصور المتقدمة أي أنه موجود عند الشعوب السفلى ومفقود عند الشعوب العليا، وإنني كلما قرأت قصة مثل قصة (القضية) كلما ازددت شفقة وحيرةً، إذ كيف يطالب بالمساواة طالما أن هنالك فروقات معترف بها، وبما أنني لا أدافع ولا أناهض أي موقف حركي فإنني أتحرى الدقة في نقل المعلومة، لذلك فإن عدنا للوراء خصوصاً أيام اكتشاف الزراعة وملحمة الأينوما إيليش فإننا نلاحظ قوة الأنثى أكثر من قوة الذكر، لذلك اعتلت في الشرق الأدنى الآلهة عشتار فوق مستوى الرجال، وعندما تقدم التاريخ الشرقي وظهر العبرانيون وتقدمت الحضارة، فإن المرأة قد تراجعت جداً على مستوى الحقوق والواجبات وأجبرت الثقافة المرأة والآلهة عشتار على التنازل لصالح آلهة ذكور، نعم، كلما نزلنا -في سلم النشوء والارتقاء- إلى الأسفل كلما كانت الأنثى أقوى والذكر أضعف وكلما صعدنا في التاريخ مع سلم النشوء والارتقاء إلى الأعلى كلما تقدم الرجل وتراجعت المرأة،وإن الأنثى في لحظة ولادها إلى

تتفوق الإناث في الحيوانات السفلى ويتفوق الذكور في الحيوانات العليا.

ما يقرب من سن البلوغ تكون أكثر فهماً وإدراكاً من الذكر أي أنها تنمو أسرع من الذكر وإن الذكر أبطأ من الأنثى من حيث درجات النمو، وهذا يفسر للآباء أسباب تقدم البنات بمراحل العمر الأولى أكثر من البنين، ولكنها تتوقف فجأة عن النمو ويستمر الذكر بالنمو، ويرى علماء الأحياء أن سرعة النمو هو علامة على سرعة الانحطاط وقد لاحظ عوام الناس في الشرق هذه الملاحظة وقالوا في أمثالهم (البنت ابتكبر قبل الشب حتى تتحلى أو تنحب) وهي بهذا أسرع من الرجل من حيث التحاق المرأة المبكر (بسن اليأس) وقال (بخنر): الوقوف علامة انحطاط والنمو علامة ارتقاء.

وبقي أن نقول أن فروع المخلوقات السفلى الأنثى فيها أشد من الذكر، وفي الفروع العليا الذكر أشد من الأنثى، ونلاحظ هذا عند أنثى النحل والزنابير والفراش والعناكب، وكثير من الأسماك حيث الأنثى أقوى، وأنثى الطير والحيوانات اللبونة أضعف من الذكر على الغالب[*].

غير أن هنالك آراء ترى غير ذلك ويفهم منها أن الإناث يتراجعن ليس لأسباب توقف نموهن ولكن لأسباب ثقافية حيث تعامل العائلة الذكور معاملة مميزة كما أخبرتنا بذلك القاصة الأردنية(رجاء أبو غزله) وقد عرضت مجلة حياتك في عام (١٩٥٨م) كتاباً عن (الجنس والمزاج) أثبتت فيه الكاتبة من خلال قراءة وتحليل ثلاث قبائل أن دور المرأة المتقدم والمتراجع يرجع إلى أسباب ثقافية وليست بيولوجية، وقالت (إن خصائص الرجال والنساء ليست نتيجة اختلاف الجنس، بل هي انعكاس للثقافة التي

---

[*]راجع حول ذلك شبلي شميل، المصدر السابق، وهو أول عربي تحدث حول هذا الموضوع.

تهيمن على المجتمع الذي يعيشون فيه)[١٣١]. وقالت إحـــدى خـــبيرات الإناسة: أن النساء معرفات بالطبيعة أي منتميات إليهـــا، وإن الرجـــال معرفون بالثقافة[*].

ولقد فهم مؤلف كتاب (العنف والمقدس والجنس) مـــن هـــذه المقولة أن النساء معرفات على طول الخط بالطبيعة، ولو أدار رأســـه إلى الخلف قليلاً لعرف صحة نظرية النشوء والارتقاء على أن كتابه يحمـــل نظرية علمية كانت هي الطريق الأولى لهذا الكتاب، و لم أقرأ في حيـــاتي إنصافاً للمرأة مثل الذي قرأته عن (ابن رشد) هذا الفيلسوف صـــاحب أكبر نكبة فلسفية في التاريخ العربي إذ أنه قال: (إذا كان الرجال أكثـــر قدرة من النساء في كثير من الأعمال البشرية، فليس من الممتنع أن يكن النساء في بعض الأعمالً أكثر قدرة منهم، كما يظهر ذلك في صـــناعة الموسيقى العملية، ولهذا السبب قيل: أن الأنغام تكون أكمل إذا وضعها الرجال وأدها النساء)[١٣٢] ولو كان ابن رشد في عصرنا الحاضر لشاهد عبقرية الملحنين حين تخبر عنها أم كلثوم بالصوت الجميل والأداء الرائع. وغيرها من الفنانات ولربما هذا عائدٌ إلى الوضع البـــدائي للرجـــل إذ أن مجتمع الرجال طرد النساء البغايا من المعابد إبان بداية عصر الآباء وساعد هذا على انتشار الغناء والرقص عند النساء وذلك حتى يكـــسبن لقمـــة العيش ولكنه في النهاية أجبرت النساء بعد التسلية واللعب معهن أجبرن على ممارسة الدعارة.

---

(١٣١) عماد الدين اسماعيل ، مجلة حياتك،عدد،٩ ١٩٥٨م.

(*) راجع مصادر الفعل الاول، السالفة.

(١٣٢) الجابري، محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية، ص ،١٤٣ مركز دراســـات الوحـــدة العربية، بيروت ، لبنان ط١ ، ١٩٩٥م.

وهنا يبدو أن لكلام ابن رشد معرفة قوية بالنساء الموهوبات وصوصاً في أعمال الفنون التعبيرية بالصوت والأداء إذ أن النساء في كافة أنحاء العالم أقوى من الرجال في هذا النوع من الفنون الجميلة، والشاهد على ذلـــك صوت أم كلثوم في العصر الحاضر، ولابدّ أن ابن رشد شاهد في عـــصره أصوات نسائية مميزة مثل أم كلثوم في عصرنا وهنالك سبب آخر وهو أن الجمال الشكلي للمرأة يعطيها قوةً مضاعفة وتجذب الانتباه أكثر من الرجال بما لديها من إمكانيات مغرية.

وإنه من الخطأ الجازم أن نعتبر أن كل الفروق بين الرجل وبـــين المرأة ناتجة عن فروقات بيولوجية، فهنالك أخطر الفروقات ناتجـــة عـــن عوامل اجتماعية وهنالك فروقات شكلية في الشكل والملابس ناتجة عن طبيعة مناخية، مثل:

البنطال والجلباب:

ومن المحتمل -عند بعض الباحثين-أن الملابس كانت في بدايـــة الأمر لحب الظهور حيث عمد الصيادون على وضع أنيـــاب وحـــوافر الحيوانات التي اصطادوها حول خصرهم للدلالة على شجاعتهم وقـــد تطور هذا المفهوم حتى اليوم وهو ما يعرف بالأوسمة على أكتاف الضباط للدلالة علىشجاعتهم وإنه من المستحيل جداً عند بعض علماء الأنثروبولوجي- أن يكون لبس الملابس جاء عن طريق إحساس الإنسان بالحياء،ذلك أن مظاهر الحياء والأخلاق تختلـــــف من شعب

قيم الحياء
تختلفمن شعب لآخر.

لآخر ومن أمة لأخرى، فكشف صدر المرأة كان مباحاً جداً في عمـــوم أرجاء أوروبا وهو ليس عيباً ولكن كانت المرأة في عموم أرجاء أوروبـــا يحمرُ وجههـــا خجـــلاً إذا ظهـــر (كاحلـــها) أو إذا كـــشفت عـــن ساقيها(١٣٣).وفي بعض المجتمعات يعتبر أن كشف بعض أجزاء الجسم يثير الشهوة، وهو مخالف للأخلاق العامة ولكن(التعري) في عمـــوم أرجـــاء أستراليا لايعتبر عيبا(*)

وقال بعض العلماء أن الغرض من ملابس النساء هو الرغبـــة في الإغراء ويرى آخرون أن جسم المرأة كله يثير الشهوة والإغراء ما ظهـــر منه وما خفي، وكان الناس في معظم أصقاع الأرض الشمالية يلبـــسون البنطال رجالاً ونساءً، وذلك لطبيعة الهواء البارد حيث أنهـــم بـــدأوا في بداية الأمر بلف قطعة من جلد الحيوان بين الساقين لتحميهم من الـــبرد، وتطور هذا المفهوم لدى الرجال والنساء وأصبح بنطالاً، أما في عمـــوم أرجاء المواقع الحارة فقد كان فيها الرجال والنساء يلبسون الجلابيب أو (الثوب) ذلك أن الجلباب يعطي برودا أكثر من البنطال في المواقع القريبة من خط الاستواء لذلك ليس من الغريب أو المدهش أن نجـــد معظـــم الرجال في الخليج يلبسون (الدشاديش) وذلك بسبب الأجـــواء الحـــارة هناك.

ظهور، كاحل المرأة كان أكثر عيباً من كشف صدرها

وكان النبلاء والفلاسفة في اليونان يلبسون الجلابيب ويعتبـــرون أن البنطال لباس العبيد والمتأخرين، ولما تقدم التاريخ استمر الرجال مع

---

(١٣٣) الجداوي، حسن، قضية المرأة والبنطال، مجلة العربي، عدد،١٤٢ ١٩٧٠م علماً أن الكاتب كان محامياً لدى محكمة النقض بالقاهرة في سنة ١٩٧٠م.

(*)مونتا جيو، آشلي، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان صي١٤٢

ظهور الدراجة في لبس البنطال، واستمرت النساء في لــبس الجلابيــب لأنهن كنَّ محرومات من العمل وركوب الدراجات.

ولكن في الحرب العالمية الأولى تقدمت مدام (فيوليت) الفرنــسية بالتطوع لنقل الجرحى والمصابين وكانت تركب أحياناً سيارة إســعاف وفي أكثر الأحيان تنقل البريد وتركب دراجة و لم يعرِّض عليها أحــد، وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها، تقدمت هذه السيدة لعــضوية الاتحاد النسائي للألعاب الرياضية والذي تأسس بــدوره عــام ١٩١٧م وتقدمت للعضوية وقبلت وهي تلبس القمــيص والبنطــال، وكانــت الوحيدة في الاتحاد النسائي التي تلبس القميص والبنطال، وبعــد عــشر سنوات تقدم الاتحاد النسائي بإنذار خطي لمدام (فيوليت) بضرورة خلع البنطال والقميص، وطردت من الاتحاد لهذا الــسبب وترافعــت مــدام (فيوليت) أمام محكمة (السين) في عام ١٩٣٠ وقد كــسب محاموهــا القضية للأسباب التي ذكرناها في السابق(*).

وإنه حتى اليوم ما زالت بعض العائلات الشرقية، تعتبر أن لبس البنطــال حرام شرعاً للرجل وللمــرأة، وذلك لأسباب هم يجهلونها، وقــد عانت في السابق مدينة(الفاتيكان) مــن لبس البنطــــال ودب خلافٌ بين الأساقفــة حــــول هذا

ظهر البنطال في المناطق الشمالية لحماية الساقين من البرد وظهر الجلباب في المواقع الحارة لتهوية الساقين. وكان لبس البنطال في أوروبا للعبيد

(*) للمزيد من الاطلاع يرجى مراجعــة المرافقــة القانونيــة بنــصوصها في مجلــة العــربي، عدد١٤٢، ١٩٧٠م. المصدر السابق.

الموضوع حتى أصـــدر(الباب: كليمان الخامس) مرســوماً سمــح بـــه بدخول البنطال إلى الفاتيكان.

أما أزياء المرأة والرجل فهي موضوع مختلف تماماً عن موضـــوع (البنطال) و (الجلباب) لأن هذه الموضات بدأت تخرج من أذهان وعقول انتهازيين لتجميل القبيحة وتحسين وضع الأحسن ليظهر على أنـــه هـــو الأكثر جمالاً، وتم عبر هذا استغلال جسد المرأة لتحقيق الأرباح السريعة باسم الحرية وتحرير المرأة، وكان موضوع الألـــوان في بدايتـــه للتمييـــز الطبقي. وبالذات على الفلاحين والفقراء، بعكس الثقافة الإسلامية التي كانت جادةً في هذا الموضوع إذ أنها حرمت البذخ والإسراف في الأشياء الثمينة لأنها تستترف مقدرات الشعوب.

ولقد نشرت مجلة (أفكار) تقريراً عن الموضة والأزياء جاء فيه:

"وفي عصر التنوير الأول (١٤٤٩-١٢٥٢م) ظهـــرت الأزيـــاء الفـــضفاضة وبدأت تميل خلاله إلى الألوان المزركشة وانتشرت على المستوى الشعبي، ولكن بقي لعامل الثراء مفعوله في التمييز بين فئة وأخرى من السكان، وفي تلك الفترة أيضاً بدأ الاختلاف بين ألبسة النساء والرجال تدريجياً بمـــا في ذلـــك اختيـــار الألوان، وأصبحت السراويل مخصصة للرجال بينما امتنعت النساء عن ارتدائها وأقبلن على الفساتين والتنانير وهو ما بقي سائداً إلى أواسط القرن المـــيلادي العشرين"[١٣٤].

ولقد بلغ سعر الثوب الواحد في دور الأزياء ما يعـــــادل ميزانية

---

[١٣٤] سناجلة، محمد، مجلة أفكار، عدد،١٨٣ ،٢٠٠٤ وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

دولة صغيرة، والذي ساعد على انتشار الأزياء النسائية هو الثورة الطباعية وما رافقها على صعيد الدعاية والإعلان، وتقول المجلة أيضاً:
"وعاد أوائل مصممي الأزياء من منفاه إلى فرنسا ليصنع مع أقرانه ما عرف في الغرب بالمظهر الجديد (**New Look**) وبدأ مسيرته على مستويين:
أولاً: تبسيط الألبسة المنتشرة على مستوى العامة.
ثانياً: التركيز على المرأة وربط شعارات تحريرها بموجات جديدة من موجات التعري..."[*].

ويقول مؤلف كتاب (أغرب عجائب المرأة) أن تمثال (رولان) القائم أمام البلدية في (جوزنان-ببيولونيا) بنيَّ سنة ١٥٣٥م بالغرامات التي فرضت على الخادمات اللواتي يلبسن فوق مستوى مترلتهن الاجتماعية[١٣٥]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اعتلاء طبقة فوق طبقة مع عدم السماح للطبقة الأدنى الالتحاق بالطبقة العليا وخصوصاً طبقة النساء الفقيرات. ولا ننسى أن نقول أيضاً أن لبس الخمار كان أول من فرضه الآشوريون على النساء الحرائر وكانت تمنع المرأة الشرقية سنة (١١٠٩ ق.م) من التعري واعتبر التعري موضوع خاص بالنساء الجواري والمستعبدات والأسيرات واعتبر الآشوريون أنه من واجب غير الحرة أن تتعرى وتلبس لإسعاد الرجل المحارب والمستعمر للروح والجسد.

---

[*]المصدر السابق، محمد سناجله.
[١٣٥] عبدالفتاح ، سيد صديق، اغرب عجائب المرأة ، ص ١٤، المصدر السابق.

مفاهيم خاطئة

حين يكون الحديث عن المرأة مجالاً مفتوحاً بين المثقفين يكون الاعتقاد دائماً أن هنالك عدو للمرأة وإنه يتبادر إلى الذهن أن هذا العدو هو الرجل، لذلك فإن النساء المثقفات أو شبه المثقفات يتخذن من الرجال أو الرجل رمزاً عدائياً، وذلك لسبب بسيط وهو أن قصة آدم وحواء ما زالت حاضرةً في ذهن الرجل ذلك أن لدور المرأة أثراً في إخراجه من الجنة، وهي أيضاً حاضرةً في ذهن الرجل أن هنالك دائماً طرفاً ثالثاً (إبليس) هو المحرض الفعلي على ارتكاب الخطيئة وقد يغيب عن ذهن بعض المثقفين (أن الأصل في قواعد التحريم هو الإباحة) وقد ظهر نظام التحريم لا ليكون أداة قمع وتجويع، بل ليكون أداة تنظم العلاقات الإنسانية وعلى رأسها (الجنس) لذلك وضعت التشاريع والقوانين على امتداد تاريخ الإنسان الطويل عند كل أمةٍ وفقاً لما تمليه عليهم طبيعة الظروف الاقتصادية وأعتقد أن هذا هو الفهم الصحيح للماركسية التي أخطأ كثيرٌ من المثقفين في فهمها وتصورها.

وإن الذين ينادون اليوم بضرورة التحاق المرأة بخطوط الإنتاج، لا يدرون أن المرأة عاملاً إنتاجياً منذ بدء الخليقة، حين كانت تجمع الثمار أو جامعة للثمار، وذلك حين فرضت عليها طبيعة الظروف البيولوجية أن تجمع الثمار بسبب اتساع زاوية الحوض (60°) بعكس الرجل الذي فرضت عليه الظروف أن يكون صياداً بسبب ضيق الحوض لديه (30°) مقارنة بالمرأة، وقد كانت

الحريات الجنسية مثلاً أمراً مباحاً للجميع وذلك لأسباب اقتصادية وأخرى صحية.
أولاً: أن نسبة عدد سكان الشرق الأدنى حوالي (١٠,٠٠٠ ق.م) كانت (١٠٠,٠٠٠) ألف نسمة في كلٍ من الأردن وسوريا والعراق وفلسطين و (كنعان) وصحراء العرب والعبرانيين، وبالتالي لا يوجد ما يعرف اليوم بـ(تناقص المردود) أو المجاعات وكان يسير الإنسان يوماً كاملاً دون أن يصادف أحد وفي عام (٦٠٠٠ق.م) ارتفع عدد السكان إلى ما يقرب من (٣ ملايين) نسمة، وذلك لأسباب أهمها، دخول الإنسان عصر التدجين والزراعة بشقيها الحيواني والنباتي لذلك استقر الإنسان حول السهول ومواقعٍ المياه مع الحيوانات الداجنة التي جعلت هي أيضاً من الإنسان مدجناً.
ثانياً: قبل أن يتعلم الإنسان كيف ينظم حياته، كان يهاجر بأعداد كبيرة بحثاً عن الغذاء والطرائد، وكان ينقل أمراضاً جديدة إلى مواقع جديدة، لذلك كان يموت الناس بالمئات والألوف، لذلك أصبح الإنجاب يتطلب ولادات جديدة، والولادات تتطلب ممارسات جنسية كيفما كان شكلها.
ثالثاً: في العصر الجاهلي مع ازدياد عدد القبائل العربية كان الناس في حالة جوع وارتباك، وبما أن بنية المرأة ضعيفة، وهي غير قادرة على تأمين احتياجاتها وغير قادرة أيضاً على (السلب) لهذه الأسباب كانت تشكل عبئاً اقتصادياً وأخلاقياً، فكان الفقراء والمعدمون يقتلونهن، وكان الأغنياء من علية القوم يفضلون الإبقاء عليهن لقدرتهم، على تأمين حاجياتهن وعلى توفير الحماية العسكرية لهن، وأنه ما زالت حتى اليوم تعتبر المرأة عبئاً في بعض

المجتمعات الشرقية، بسبب قلة الإمكانيات وهي تحرم من حق التعليم لهذه الأسباب الاقتصادية، ذلك أن مردود تعلمها لا يعود بالنفع والفائدة إلاَّ على زوجها قبل أهلها.

وهناك سبب أولي مهم وهو: أن المرأة من مِئة ألف قبل الميلاد إلى ما يقرب (٢٠٠٠ق.م)، كانت هي المنجب ولم يك الرجل يعلم أنه مسؤول عن حمل المرأة وعندما لاحظ هذا أخذ ينظم العلاقات الجنسية وبدأ مفهوم الحرام والحلال ينتشر ومات بهذا الأب الاجتماعي وولد الأب البيولوجي ويعتقد بعض المحللين الاجتماعيين، أن ازدياد نسبة الطلاق يكون في أغلب الأحيان ظاهرةً غير صحية غير أنها على سبيل الطرح وليس المثال ظاهرةً جد صحية وذلك أنه نزولاً عند رغبة الجماهير والقطاعات النسائية فقد وضعت الحكومات معظم القوانين لتتساهل مع وضع المرأة، لذلك فهي تزداد كل يوم قوة، وثانياً أن نزول المرأة إلى العمل عمل على تدعيم قدرتها على الانفراد والاستقلال، لذلك فإنه من المتوقع أن يظهر في المستقبل (آباء اجتماعيون) وذلك لكثرة الزواج والطلاق، ولهذه القدرات أثراً في تعليم المرأة كيف تؤمن احتياجاتها من دون تدخل الرجل، لذلك فإن النساء القويات هجرن ويهجرن الرجال الضعفاء أو (السيئون) في طباعهم ولكثرة حالات الطلاق فإنه من المتوقع أن يموت الأب البيولوجي ويعود الأب الاجتماعي كما كان سابقاً.

وإن كل دارس ومثقف بالتاريخ الشرقي يعرف قصة المرأة الزانية التي جاءت إلى السيد المسيح وقال لها (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها) وذلك لمعرفة المسيح بفظائع عصر البدايات الأولى

للميلاد، وتسلط الرجل على المرأة، وكان الزنا في ذلك الوقت في آخـــر أيامه بسبب انتشار قوانين الحلال والحرام، غير أنه كان يمارس بـــشكل مشروع نسبياً عند بعض الفئات الزراعية.

حيث عملت الظروف الاقتصادية على دخول العبرانيين مشاريع مشبوهة أخلاقياً، مثل انتشار النوادي والقمار واشتداد سلطة (العاهرات) وذلك بسبب تراجع خطوات الإنتاج من حيث الكم والكيف، وثانيـــاً: بسبب كثرة المشاريع غـــير الإنتاجيـــة، مثـــل: النـــوادي، والقمـــار، والخمارات، والدعارة، لذلك فإن المسيح حين بعث كان لديه تصوراً أن شريعة محبة الله لابدَّ من إقامتها وإيقاظها في جسد الإنسان (الابن).

وما نظرة المسيح إلى الزانية إلاَّ كنظرته إلى الإنسان المجبر علـــى ارتكاب الخطايا، لذلك فإنه وهب نفسه ودمه لتخليص الإنسان من شر أخيه الإنسان، حيث أنه دعا إلى ضرورة التسامح وإلى إصلاح البيت من الداخل قبل الخارج (أتنظر إلى القذى بعين أخيك ولا ترى الخـــشبة في عينك) ولقد حارب المسيح كل أشكال القهر الإنساني الـــتي دعـــا إلى تخليص الإنسان منها: (ماذا؟ لو كسبت العالم وخسرت نفسك) وبالتالي فإن المسيح الحاضر في الزمن يرفض في كل يوم معاقبة زانية، في مجتمـــع كله زاني وخصوصاً من طبقة الرجال لأنه قال (من كان مـــنكم بـــلا خطيئة فليرجمها) ولم يك الخطاب موجهاً إلى الإناث بقدر ما هو موجه إلى الذكور، وإن كلمة (الخطيئة) لا تعني الزنى وحـــده بـــل تعـــني في جوهرها كل أشكال الزنى بدءً من الدعارة الجسدية وانتهاءً إلى الدعارة الفكرية والاقتصادية، والتي هي أخطر بكثير من الدعارة الجسدية، ذلك

أنها هي المحرض والمسبب على انتشار الأمراض والأوبئة الاجتماعية.
ولقد كتب (عادل حسين) دراسة بعنوان: (المرأة العربية: نظرة مستقبلية)[١٣٦] حيث قال: (... فمفروض وفق هذه الأسس أن تكون الأفكار السائدة في كل مرحلة انعكاساً للوقائع المادية (الاقتصادية ومتطلباتها الموضوعية...).
إن عادل حسين قد فهم التاريخ فهماً عميقاً ناتجاً عن قراءة متأنية لمراحله المتقدمة في صدر الإسلام، وهذا يدل على فهمه العميق للماركسية من خلال قوله:

(... إن الماركسية لا تعرف العدل المطلق أو الظلم المطلق، فمعاملة الأقنان في مجتمع العبيد لا تعتبر في مفهوم الماركسية ظلماً ولكن تنظيماً ملائماً وضرورياً للتقدم

في إطار مستوى معين من قوى الإنتاج...).

لذلك فإن التمايز بين الذكر وبين الأنثى كان يستند في كل عصر إلى أسباب موضوعية، فمثلاً في المجتمعات البدائية كانت المرأة هي المسيطر وكانت بسيطرتها تستند إلى أسباب موضوعية منها ما قلناه سابقاً وهو تقارب وظائف المرأة البيولوجية مع وظائف الطبيعة وعلى رأسها تشابه الدورة الشهرية مع دورة القمر بـ ٢٨-٢٩-٣٠) يوم وكان موضوع الولادة يعتبر معجزةً من معجزات المرأة لأن الرجل كان يجهل دوره الإعجازي في الإنجاب، وحين انتقل

---

(١٣٦) حسين، عادل، مجلة الحوار،عدد٨،١٩٨٧م، دراسة بعنوان:المرأة العربية، نظرة مستقبلية بيروت-لبنان.

الإنسان إلى الصناعات اليدوية وتراكمت لديه الثروات وهجر الزراعـــة وبالتالي فقد تقدم الرجل وتراجعت المرأة إلى أسباب موضوعية.
لذلك ومن هنا يجب أن نصحح مفهوم تقسيم المــيراث في الإســلام إذ يعتقد البعض أن الإسلام قد فرق هنا بين الرجل وبين المــرأة، غــير أن (المشرع الأول) نظم هذا التقسيم على أساس حاجة الرجل منه وحاجة المرأة، فالرجل هو الذي يخطب المرأة ويدفع مهرها ويتولى الإنفاق عليها لذلك أخذ الرجل ضعف المرأة في نصيبه من التركة والميراث وإن قاعدة توزيع الميراث تختلف في الإسلام حين تختلف شروط الورثة. وإن الــنص القرآني في هذا السياق صريح (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا مــا ترك، وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدس مما ترك إن كان له ولد).

ويؤكد الباحث أحمد حسين، أن الآية القرآنية تفرض لكــل مــن الأبوين السدس على سبيل المساواة بين الأب والأم[١٣٧]. لذلك فإن التشاريع السماوية وغير السماوية، لا تخالف الشروط المادية الاقتصادية فهي انعكاس لأرض الواقع وليست بعيدةً عن هذه الأرض، وإن الإسلام باعتقادي لم يأت حتى يستهدف المرأة أو الرجل، ولكنه حاول تقــــريب أرض الواقــع في مجتمع بدوي غير منتج واستهلاكي، وهو قد عكس طبيعة النظام الاقتصادي بكافة أنماطه الاستهلاكية، وحافظ بنفس الوقت علــى عادات سابقة عليه

(١٣٧) حسين، احمد، الزواج والمرأة،في إيماني ، المؤلفات الكاملة، ج١،القــاهرة، دار الــشروق، ١٩٨١، ص ٤٩٦.

وحارب عادات لم تك لتتفق مع مبادئ الإسلام العقلية، حين اختلفت هذه المفاهيم بين النقل والعقل.

*   *   *

أما قول -العوام- (إذا بدك تقهر زلمهْ، دير وراه مرة) فإنه اعتراف من العقل بسلطة العاطفة عليه، و لم أجد أنا أصدق من هذا المثل لأنه دلَّ على مفاهيم فعلاً خاطئة حول قوة الرجل، ذلك أن الجمال والفتنة والسحر تنتصر في النهاية على الماديات وعلى مراكز القوى العقلية وتجعلها في نفس الوقت أقل من أن تدرك ذاتها[١٣٨].

وإن هذه الأمثال ما زالت سارية المفعول رغم كل التحولات الاقتصادية والسياسية مما يؤكد لنا ما ذهبت إليه مجلة (العلوم الاجتماعية والإنسانية) في جامعة (باتنة) حيث أكدت المجلة على أن التحولات الفكرية في القيم الأخلاقية والثقافية يستغرق وقتاً طويلاً بالمقارنة مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية[١٣٩] وهذا ليس لدى كل المجتمعات والتحولات الديموغرافية تشهد اليوم سرعة متميزة عن سابق عهدها، ولكن في الدول النامية، ما زالت تحولاتها على مستوى الأخلاق والعادات والتقاليد تشهد جموداً وتوقفاً عن النمو والتغيير وهذا كله بسبب تراجعها وتخلفها عن الدول المتقدمة، وإن أغلب الدول العربية، ما زالت بها بعض الفئات الاجتماعية تنتج غذاءها بطرق تقليدية وما زالت تعتمد على أدوات يدوية وهذا الأمر جعل منها فئة متراجعة أمام المد الأخير لقوى الإنتاج العالمي، وإن

---

[١٣٨] العقيلي،جعفر، مجلة الفنون ،نماذج من الامثال الشعبية في شمال الاردن، وزارة الثقافة، عمان.

[١٣٩] بو عبدالله ، محسن، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، بحث بعنوان:تغير اتجاهات الفرد، عند ،٤ ١٩٩٥م.

التراجع في مستوى الإنتاج الزراعي بشقيه الحيواني وانباتي، جعل بعض الفئات الاجتماعية متراجعة على مستوى الأخلاق والتقاليد القديمة، وإن التقدم في مستوى الإنتاج الزراعي بشقيه الحيواني والنباتي، جعـــل مـــن بعض الفئات الاجتماعية تظهر شيئاً من التغـــيير علـــى مـــستوى الأداء الوظيفي لها وعلى مستوى الأداء الاجتماعي، إذ أن التقدم في الإنتـــاج خلق لديها شروطاً جديدةً جعلتها أكثر ملائمة للتغيير من بعض الفئات الأخرى، وهذا هو سبب دهشة بعض الباحثين الاجتماعيين حين يـــرون أن العادات والتقاليد في المجتمع (الإثني) الواحد تشهد أحياناً تغييراً بـــين مجموعة سكانية أو بين عائلة وعائلة، حتى وإن كانت من نفس القبيلـــة والديانة.

لذلك فإن النساء غالباً ما يكن متبرجات وغير متبرجات داخل المجتمع الواحد (الإثني) الذي ينتمي إلى ثقافة وديانة واحدة، فمثلاً نجـــد أن أصحاب الديانات الواحدة يختلفون في أخلاقهم بـــسبب اخـــتلاف أنماطهم الاقتصادية ولاختلافهم أيضاً في طريقة الإنتاج، وما يراه البعض عيباً لا يرونه هم عيباً، وإذا جئنا على مستوى العمل الوظيفي فإن لهـــذه الفئة التي تعمل بها المرأة خارج نطاق المنزل والعائلة لا ترى في اخـــتلاط الرجال بالنساء عيباً بينما بعض الفئات الاجتماعية والتي لا تعمل فيهـــا المرأة خارج نطاق العائلة فإنها ترى في الاختلاط أي اخـــتلاط الرجـــال بالنساء عيباً لأنه أمر غير مألوف لديها وحين يصبح الأمر مألوفاً يـــصبح الاختلاط مألوفاً وغير عيب.

إن هذا لهو الفهم الصحيح للتغيرات الاجتماعية وليس للـــدين والتربية الأخلاقية علاقة إلاَّ من بعيد، فمثلاً وعلى سبيـــــل الطرح نجد

أن عادات بعض العائلات الإسلامية لا تختلف اليوم لا في المظهر ولا في الشكل ولا في اللون ولا في الرائحة عن عــادات بعــض العــائلات في أوروبا، فمثلاً: المرأة العربية المسلمة التي تعمل ترســل أطفالهــا إلى دور حضانة حيث يتعلّم الطفل كل يوم ويكتسب من عائلة غير بيولوجيــة ومن (أم اجتماعية) هي (الدادا) كذلك المرأة العاملة في أوروبــا فإنهــا ترسل أطفالها إلى دور الرعاية الاجتماعية، وهي تختلط مع الرجال بحكم وظيفتها كما تختلط المرأة العربية المسلمة مع الرجال بحكم وظيفتها علماً أن المرأة الأوروبية تختلف بديانتها عن المرأة العربية المسلمة إن الاقتــصاد وعوامل الإنتاج تتحكم بطبائعنا حتى وإن كنا غير متفقين معهــا فإنهــا ستكيفنا وستطبِّعنا لأننا غير قادرين على إعادة عجلة التقدم والزمان إلى الخلف.

المساواة أو العدالة:

في هذه النقطة بالذات أود أن أعتذر لكل الأدباء والفلاسفة من (أفلاطون) صاحب كتاب (المدينة الفاضلة) ومن (توماس مور) إلى آخر مقال يكتب بهذا الخصوص في صحيفة الرأي أو الدستور لأن خيال المدن الفاضلة في أخيلة الشعراء والأدباء، والمهووسون بطلب المتعــة الأدبيــة الأبدية، وهو أيضاً موجود عند كل الشعوب التي تحلم بالمخلص والمهدي لإقامة العدل وتحقيق المساواة بين أفراد المجتمع، وهو علم قائم بذاتــه في الكتب والقصص والروايات، ولا يؤمن بهذا المبدأ إلاَّ أصحاب العقــول المختلة في مزاجها والمكبوتة اجتماعياً، ومنذ بدء التاريخ ومع بدايــــة العلــم – كما أوضحنا في المصادر السابقة– والتقدم الزراعي والعمراني، ونحن نسمع ونقرأ

عن ثورات تهدف إلى الإصلاح وإلى توزيع الثـــروات بـــشكل عـــادل ومرضٍ للجميع، ولا توجد محاولة واحدة على امتداد التاريخ من الممكن أن نعتبرها ناجحة، ذلك أن التفاوت الطبقي من أبرز سمات الحـــضارة، وإن الفروقات الاجتماعية والطبقية هي (الأصح) فلولا نظـــام العبيـــد والرق لما بنيت الأهرامات في مصر على حساب الطبقات المغلوبة، وإنه من غير المصدق علمياً أن تبنى الإهرامات في ظل نظام خالي من القسوة والظلم والاضطهاد، كما أنه من المعقول جداً أن تحفر قنـــاة الـــسويس بنظام (السخرة) والأجور المتدنية، إنه لا يوجد على الإطـــلاق عدالـــة مطلقة، لأن الذي خلق الكون بلغة كافة الأديان خلقها بنظام التفـــاوت (وجعلنا بعضكم فوق بعضٍ درجات) وهي إشارة من الخالق على مبدأ عقلانية التفاوت الاجتماعي، وفي الآية الثانية (وللرجال عليهن درجـــة) وبالتالي فإن الثقافة العربية، تعبر عن مبدأ الثقافة الشرقية الذكورية حيث جعلت من المرأة بناءً تحتياً لخدمة الرجل (أبو العائلة) والذي يمثـــل هـــو البناء الفوقي لها.

مجتمع ما بعد العسكرية:

اتسمت حياة جمع القوت بالمساواة بين الرجل والمـــرأة، وإن لم تك أحياناً متساوية فإنها على الأغلب راجحة الكفة من جانب المـــرأة، وفي الحياة الزراعية كانت على الأغلب تأخذ المرأة مركـــزاً أو مراكـــز مرموقة في المجتمعات الزراعية مثل: المراكز الدينية والعائلية، أما في مجتمع القـــوة والحرب والعسكرية فإن الرجل هو صاحب السلطة والامتيـــازات الاجتماعيـــة وذلك لسبب بسيط ومعقّد في نفس الوقت وهو أن طبيعة الرجال تتفق كثيراً مع مفاهيم الحرب والاستعلاء والقهر والثقافة والتفوق البيولوجي والثقافي، وكانت

وما زالت كل المجتمعات العربية وغير العربية تعاني من هـذه الـصفات ولكن في العشر سنوات الأخيرة من نهاية الألفية الثانيـة بعـد المـيلاد (١٩٠٠) بدأت تظهر باتجاهات مدنية نحو السلم وأن صنّاع القـرار في المجتمع الرأسمالي يفهمون أن طبيعة الرجل المحارب لا يمكن لها أن تساهم في ترسيخ المفاهيم السلمية لذلك بدأت الحكومات المتجهة إلى الـسلام والرأسمالية بالاهتمام الرسمي بالمرأة والقطاعات النسوية وذلك لأسـباب مهمة أولها:

– قتل جيوب الفقر ومحاولة إحياء الطبقة الوسطى التي أكلتها الطغمـة الرأسمالية عن طريق إشراك المرأة في القطاعات الإنتاجية.

– لأن المرأة تساهم في أكثر من ثلثي الإنتاج العالمي وتتقاضى أجوراً أقل من سعر التكلفة في بعض الدول.

– لأن تحديد نسبة الأجور يوضع وفقاً لمفاهيم اقتصاد الكفاف كحـد أدنى من الدخل اليومي للفرد الواحد.

– لأن المرأة وحدها هي التي تصنع السلام لطبيعة مواصفاتها التي لا تهتم بمشاكل العالم قدر اهتمامها ببيئتها وعائلتها ولا تتوسع مثل التوسـعات الذكورية السلطوية، لذلك فهي تلغي كل ما من شأنه أن يولد الحـرب والسباقات التسلحية واحتكار السلام.

– لأنها تتجه إلى الحوار مع الطرف الآخر بعكس الرجل الـذي يحـل مشاكله بالعنف المقدس وتقديس ظاهرة ضرب المرأة والأطفال.

– لأن قانون العمـل في أكثر الـدول وضـع ليتناسـب مـع طبيعة احتياجات المرأة، ومن ناحيـة الأجور يعتبر متناسب مع اقتصاد

الكفاف ومرضٍ جداً لمرأة بعكس الرجال الذين دائماً ما يقومون بعصيان مدني أو شبه عصيان مدني احتجاجاً على الأجور وساعات العمل لأنها لا تتناسب مع متطلباتهم اليومية.

ويرى الباحث (جيدنز)[١٤٠] أن المواصفات الأنثوية ضرورية في مجتمع ما بعد العسكرية ويرى أنه من اللازم جداً أن تستلم المرأة دفة القيادة بعد زوال المجتمعات العسكرية.

وترى الباحثة (سامية فهمي)[١٤١] أن المرأة في إحدى قرى مصر الحديثة تقوم في اليوم الواحد أو على مدار السنة ما يقرب من (٦٠) وظيفة اجتماعية وأبرز هذه الوظائف:

١-تحضير الطعام.
٢-الخبز.
٣-توفير الوقود.
٤- إطعام الحيوانات.
٥- العمل داخل المترل.
٦- البيع والشراء داخل المترل.
٧- توفير احتياجات الزوج.
٨- إعداد الفطور.
٩- إعداد الغداء.
١٠- إعداد العشاء.
١١-الصلاة.

---

[١٤٠] جيدنز، انطوني، بعيداً عن اليسار واليمين، ص ٢٨٢، ترجمة شوقي جلال، مجلة عالم المعرفة، عدد٢٨٦، الكويت.

[١٤١] فهمي، ساميةْ محمد، مشاركة المرأة العربية في التنمية، ص ٢١٦، دار المعرفة الجامعية-مصر-السويس

١٢- شراء اللوازم.
١٣- الدردشة (النجوى).
١٤- حضور المآتم.
١٥- حضور الأفراح.
١٦- زيارة الجيران.
١٧- التزهة.
١٨- عيادات المرضى.
١٩- الإشراف المترلي.
٢٠- الإشراف على تعليم الأطفال.

ومن يدقق النظر في هذه الوظائف فإنه سيلاحظ أن المرأة تقدمها دون مقابل أو أجر وأنه من الملاحظ جيداً أن هذه الوظائف لا يمكن للرجل أن ينجح بها وهو أصلاً غير مدرّب عليها ولا تتوفر فرص نجاحها إلاَّ في المجتمعات المسالمة وبما أن السلام من خصائص المرأة فإنها وحدها هي التي تنجح بها، غير أن هذا عبء ثقيل على المرأة وحدها وترى الباحثة (بوليت منسر)[١٤٢] أن الأب منذ صغر ابنه يقوده ويدرّبه على مظاهر الرجولة ويتلقى الطفل هذه التدريبات بمساعدة البيئة الاجتماعية وهذا يدل على أن الأب لا يمكن أن يقيم نظاماً اجتماعياً حديثاً يتناسب مع طروحات مجتمع ما بعد العسكرية.

وترى اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا في الأمم المتحدة[١٤٣] أن معظم الأسر التي تحكمها أو ترأسها المرأة هي على الأغلب من

---

[١٤٢] منسر، بوليت، المرأة في العالم العربي، ترجمة: إلياس مرقص، ص ٥٠دار الحقيقة، بيروت ط ١، ١٩٨١.

[١٤٣] الصلح، كاميليا فوزي، الأسر التي ترأسها النساء ص ١٨-٢٣، منشورات الأمم المتحدة

الأسر التي فقدت رجلها، أو من النساء اللواتي يعشن لوحدهن، وهـذا غير ناتج إلاَّ عن ضرورة لا بديل عنها، وإذا كان من بين الأفراد ذكـراً وكبر هذا الذكر فإنه سرعان ما يعلن سيطرته على الأم والبنات بتأييـد رسمي من المجتمعات المحلية وأن السياسة الذكرية لا تؤثر سـلبياً علـى النساء، وبما أن الحروب في كافة أنحاء العالم يشنها الرجال فإن الحروب العربية الإسرائيلية شنّها رجال عرب ورجال يهود وكان تأثير حرب عام (١٩٤٨م) وما نجم عنها من تقسيم لفلسطين، أن هذه الحرب شـرّدت أكثر من ثلاثة أرباع المليون نسمة نصفهم تقريباً من النـساء ولجـأ إلى المملكة الأردنية الهاشمية ما يقرب مـن (١٠٢،٠٠٠لاجـئ) حـسب إحصائيات (١٩٥٢م) وهذه الحرب الذكورية أجبرت المرأة على العمل في مهن وضيعة بعد فقد رب الأسرة، وكان للحرب الأهلية في لبنان عام (١٩٧٥م) نفس نتائج حرب (١٩٤٨م) وحرب (١٩٦٧م) وكـذلك الحرب الأهلية في اليمن عـام (١٩٩٤م) والتطـرف في مـصر عـام (١٩٩١م)[١٤٤] وكذلك في الجزائر.

وهنالك سبب آخر يدفع السياسيين والفنيين والاجتماعيين وغير الاجتماعيين بأن يهتموا بالمرأة وهو ما قلناه سابقاً: إذ أن المرأة تتراجـع كلما تقدمت المجتمعات نحو التطور وإذا لم تستلم المرأة دفـة القيادة فإن أوضاعها الاجتماعية ستتحول إلى مـا يشبه التـردي والفـشل، ولسوف تقل مشاكل العنف المقدس في المستقـبل إذا ساهمت المـرأة في عملية البناء الديموغـرافي شريطـة أن تتـعاطى أجـوراً

---

(١٤٤) المكتب التنسيقي الأردني لشؤون مؤتمر بكين، المرأة العربية واقع ومتطلعـات ، ص ٢٢٤، عمان، الأردن، ١٩٩٥.

مساوية لأجور أو أكثر منه، لأنها حتى التسعينيات من القرن المنــصرم كانت تساهم في أكثر من ثلثي الإنتاج العالمي وتتقاضى أجوراً تتــراوح ما بين (١٠ - ١٢%) من الدخل العالمي والذكر يساهم بأقل من ذلك ويتقاضى أجور مرتفعة قياساً مع أجر المرأة وهذا هو السبب الذي يؤدي بالمرأة بأن تكون تبعاً للرجل وإطباعه تعاليمه القاسية.

ولابد أن تتقاضى المرأة أجوراً مساوية لأجور الذكور أو أكثــر وذلك حتى تتمكن من تعميم مفاهيمها السلمية والاستقرارية، ولسوف تأخذ المرأة في العقود القادمة كل امتيازات الرجل، حتى يــصل العــالم المفتوح إلى الملل من السلام حتى يكون المجتمــع بحاجــة إلى الرجــال الذكور وإلى مواصفاتهم الحربية، لذلك دعوني أستنتج: أن السلام العالمي لا يمكن تحقيقه إلاَّ عبر المواصفات الأنثوية وكل ما كــان الــسياسيون بحاجة إلى السلام كلما ازدادت حاجتهم إلى القطاعــات النــسوية وإلى المواصفات النسوية وكلما كان السياسيون بحاجة إلى الحرب والعسكرية كلما كانوا بحاجة إلى رجال أشداء حاقدون كما كان (الحجــاج بــن يوسف الثقفي) يصف نفسه لإبن مروان، نعم، الرجال يصنعون الحرب والنساء يصنعن السلام ومن قال غير ذلك فإنه جائزٌ على اعتبار أنه شاذ عن القاعدة والشاذ على القاعدة لا يقاس عليه وإن ثبتت صــحته أو أن تكون المرأة التي لا تتمتع بمواصفات أنثوية تكون على الأغلب تمارس في الأصل نشاط ومواصفات ذكورية.

وبقي أن نقول في نهاية هذه الجولة السريعة أن وضع المــرأة في الوقت الراهن متناسب جداً مع مبادئ الرأسمالية، فلقــــــــد وضــع

علماء الاقتصاد الرأسماليون[١٤٥] نظرياتهم في الاقتصاد من ناحية العرض والطلب على اليد العاملة وفقا لمفاهيم الأدنون والأعلون حيث اتفق الأغلبية أن تكون أجور العمال والمستخدمين حسب مستوى المعيشة للعامل في الدول المشغلة وبعبارة أوضح: تتحدد نسبة الأجور عند مستوى الكفاف أي أن الأجر المدفوع عن ساعات العمل اليومية هو الأجر الذي يكفي العامل كي يستمر في الحياة وبعبارة أكثر دقة يكون أجر العامل كما قال الفلاحون القدامى على مبدأ (مونة بطنه) ولا أظن أن الذكور يمكن أن يتعايشوا مع هذا الوضع لأن متطلباتهم اليومية أكثر من مستوى الكفاف أما الإناث فإن وضعهن يتناسب مع هذه الأجور نظراً لأن متطلباتهن اليومية أقل من متطلبات الذكور.

لذلك سوف تشهد مجتمعاتنا المتقدمة تغيرات ملحوظة للمرأة على مستوى العمل إلاَّ أن هذا الوضع لن يستمر إلاَّ لمئة عام وبعد مئة عام تزداد أهمية المرأة على مستوى الإنتاج والإنفاق على المترل عندها لن يتناسب اقتصاد الكفاف مع وضع المرأة لأن حجم إنفاقها سوف يزداد أسوة بالرجل الذي أصبحت مساوية له من حيث الإنفاق على المترل.

والذي يعمل حالياً على زيادة أهمية المرأة هو كونها في العقود التي خلت منذ (١٩٥٠-٢٠٠٥م) لم تك داخل منظومة تأسيس (حرب العصابات) التي تبنتها أكثر الدول في حالة دخول معسكر معادي على أراضيها، وكان التركيز فقط على الرجال دون الإناث

(١٤٥) يسري، عبدالرحمن ، تطور الفكر الاقتصادي، ص ٢٠٣ ، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ط٤، مصر-الإسكندرية ، ١٩٩٦.

لذلك فإن معظم الرجال هم من الأبنية القديمة ومعظم النساء من الأبنية الاجماعية الحديثة البعيدة كل البعد عن العصابات المنظمة، وهي بـــذلك قابلة للتغيرات التي حصلت على مستوى السياسات الكـــبرى بعكـــس الرجال الذين ما زالوا حتى اليوم يناورون سياسياً وعسكرياً.

ويرى الباحث (مصطفى لمرابط)[١٤٦]: أن التغيرات الأخيرة التي حصلت على مستوى الواقع تكون خروجاً على الثابت وقطيعـــة مـــع التاريخ وقال:

(إن المرأة في الثقافة الإسلامية طبيعتها ثقافية ووظيفتها الإعمار أو الاستخلاف، والأنثى طبيعتها بيولوجية ووظيفتها الإنجاب..أما الثقافة الغربية فإنها تقول: إذا كان رأس مال الرجل هو ملكاته الذهنية وقدراته العقلية ومؤهلاته العضلية، فإن رأس مال المرأة في هذه الثقافة هو جسدها وجمالها، لذلك يتوجب على المرأة إخضاعه لشروط التأنيث الجديدة، وإن وضع المرأة لا يقاس وفقاً للقوانين...ولكن يجب علينا أن نستنتجه من خلال الثقافة الرمزية)

من الظاهر أن لهذا الباحث نظرة مستقبلية ناتجـــة عـــن فهـــم عميق للثقافة الكونية المعاصرة، ولكن هذه النظـــرة لا تخــــــلو مـــن عبارات التشاؤم ومن التوقعات السيئة للمستقبل، إن هـــــذا التـــاريخ يعيد نفسه في كل مرة ولا يزيد عليه العصر الحاضـــــر إلاَّ بسرعة التأثر

---

[١٤٦] لمرابط، مصطفى، المرأة بين سلطة الواقع وسلطة الأيديولوجيا، مجلة المستقبل العربي، عـــدد ٢٥٧ بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

والتأثير الناتجة عن سرعة الاتصال، غير أن لكلامه بعض الدلالات الصحيحة من الناحية الجنسية، فقد أشارت صحيفة الدستور الأردنية[147] أن مبيعات أدوية الضعف الجنسي عند الرجال في دولة الإمارات العربية بلغ ما يقرب من (٩ ملايين دولار أمريكي) للسنة الواحدة وهذا ما يعادل (٣٣ مليون درهم إماراتي)، وبلغ عدد أقراص الضعف الجنسي المباعة (مليون ومائة ألف قرص سنوياً) وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على شروط التأنيث الجديدة والتي عملت أيضاً على استئصال حيوية الرجال كرجال وعملت هذه التغيرات على إبقاء المرأة في صورة جديدة من صور تجارة (الرقيق الأبيض) أو على حد تعبير السينما المصرية (اللحم الرخيص).

---

(١٤٧) صحيفة الدستور الاردنية، عدد ١٣٠٦، ٤حزيران ٢٠٠٥م.

الخاتمة

من النظرية إلى التطبيق

الثقافة الجديدة:

لما دخل (الحارث بن كلدة) على كسرى ملك الفرس، سخر منه وقال: -له-: هل أنت عربي؟ فأجابه)من صميمها وبحبوحة دارها(فسأله ثانيةً وهو يعلم عن سوء التغذية عند الفقراء العرب من الرعاة) فماذا تصنع العرب بطبيبها مع جهلها وضعف عقلها، وسوء أغذيتها) فقال الطبيب العربي الحارث بن كلدة (هي أحوج لمن يصلح جهلها ويقوم: إعوجاجها ويسوي أبدانها ويعدل أمشاجها، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع دائه، ويحترز وكانت نصائحه الطبية في موضع إرشادٍ قبل تأسيس الحجر الصحي في أوروبا بألف عام ومن إرشاداته الفنيةً:

من سره البقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء
وليقل غشيان النساء وليأكل على نقاء.
وليشرب على ظمأ ويتمشى بعد العشاء[١٤٨].

ولقد إنتبهت الشعوب الشرقية إلى موضوع الشبع الزائد وخصوصاً في ملاطفة النساء وممارسة الحب العملي عبر تعدد ألوانهن، وكما كانت الناس تموت من الجوع فإنها كانت تموت أيضاً

---

(١٤٨) حمارنة،سامي خلف، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب المسلمين-المجلد الاول ص،١١٨ ،١٩٨٦ سلسلة منشورات جامعة اليرموك لاحياء التراث العلمي العربي، رقم(١) هذا ما رواه الرواة والصيغة الاصلية غير ذلك لأن كسرى لاينطق بالضاد ومن هرطقات الرواة: ان كسرى اعجب بفصاحة الطبيب مع ان كسرى غير عربي!!

(*)راجع حول هذا المفهوم البيولوجي الفصل السابق من هذا الكتاب.

من الشبع الزائد عن الحاجة لذلك توجهت أنظار الأطبـاء العـرب إلى إرشاد المترفين بضرورة تجنب النساء وعدم الإسراف فيهن لأنهن يقللـن من حيوية الرجال كرجال، وكما أسلفنا سابقاً فإن بعض الحكام العرب القدامى قد (ماتوا) من كثرة الإسراف و(التعهر) في ممارستهم للجانـب العملي من الحب، وإن النساء العربيات بدأن مع بداية المـد الإسـلامي وإنتشاره يحاولن زيادة حسنهن وإظهار مفاتنهن حتى انتبه الشاعر العربي إلى ذلك وذهب قوله مثلاً إلى هذا اليوم:

تروح إلى العطار تبغي شبابهـا وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وهذا يدل على نموذج من نماذج نظرية التاريخ البيولوجي للإنسان من أن المرأة تكبر قبل الرجل وتشيخ قبله أيضاً وإن النمو الـسريع هـو علامة أيضاً على الإنحطاط السريع بيد أن الرجل يظل محتفظـاً بتميـزه البيولوجي وبقدرته على الإحتفاظ بشبابه حتى سن الشيخوخة في أغلب الأحيان شريطة تجنب كثرة الانغماس بالشهوات وذلك على أبلغ تقدير، وإن الرجال بذلك يهزمون أمام النساء تعبيراً عن عدم قدرة العقل -أي عقل كان- على مقاومة الجمال والعاطفة لذلك صحب الحجـاج بـن يوسف الثقفي المتوفى في أواخر القرن الأول الهجري -٩٥هـ- صـحب معه في حِله وترحاله طبيباً مولعاً في الطب يدعى (ثيادوق) وكان مـن جملة نصائحه للخلفاء العرب المصابون بالشبع الزائد:

"أصل الداء التخمـة، وأصـل التخمة المـاء على الطعام...

ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من ماء الحياة إن كثر..."[149].

وفي بداية القرن الأول الهجري تقدمت الجيوش العربية إلى مـــا وراء النهر ناشرة" نور الإسلام محطمة الأعمدة الوثنية في بخـــارى ومـــا جاورها من مدن فارسية وتركية، غير أن لهذه الفتوح من آثارها الإيجابية أثاراً أخرى غير إيجابية انعكست بشكل مباشر على صحة الفاتحين ذلك أن العرب المسلمين حين فتحوا (سمرقند) و (بخارى) فرضوا على السكان الأصليين شروطاً قاسية بسبب تعنتهم وردهم في أغلب الأحيان، وكانوا على الغالب يرغبونهم في تقبل الثقافة الجديدة، ولو قيل لرجل من القرن الأول الهجري أوصف لنا حالة العرب وأهل بخـــارى وسمرقنـــد أيـــام (الجُمع) الرسمية لقال:

كان ينادي في يوم الجمعة منادي للـــصلاة في المـــسجد لقـــاء (درهمين) من المال يكفين من حضر ذلك اليوم مؤونته ومؤونة أهل بيته، وذلك بالتحديد (٧٤٢م) وكانت تقدم جوائز مالية للذين يبدون تمسكاً بالدين الإسلامي من الأتراك).

وعلى الرغم من هذه الأساليب فقد كان أهل بخارى وسمرقنـــد ينفرون من الإسلام، لذلك عمدَّ العـــرب المـــسلمون علـــى توســـيع صلاحياتهم بتشديد قبضتهم على الأتراك وعلى ما وراء النهر وذلك عبر تعزيز مفهوم (الدولة البوليسية) أو (الدولة العسكرية) وكان أكبر فضـــل للعـــــرب على الأتـــــراك أنهم أجبروهـــــم على تقبل موضـــــوع خطير جـــــداً وهو منعـــــهم مـــن (زواج المحارم) وكـــــان الذين

[149] حمارنه، سامي خلف، تاريخ تراث العلوم، ص ١٢١، المصدر السابق.

(*) يجب التنويه على أن لفظ الاتراك لم يعرفه العثمانيون إلا متأخراً جداً وهي كلمـــة تعـــني: الذي على رأسه خوذه.

يشكلون خطراً على أمن الدولة يُسبوّن ويساقون هم ونساؤهم إلى مدينة الحجاج بن يوسف الثقفي، المتوفي (٦٥هـ) بحيث أسكنهم الحجاج مدينة (واسط) ليكونوا تحت عينة وقبضة سيفه، وبقوا كذلك حتى سقوط الدولة الأموية (١٣٢هـ - ٧٥٠م) [١٥٠]وقد وضع قتيبة بن مسلم شروطاً مذلة وقاسية بحق الأتراك من أهل سمرقند وبخارى وبلخ وباذغيس وخوارزم، ونصت معاهدة سمرقند:

تدفع بخارى (٢٠٠ ألف درهم سنوياً) وسمرقند (ألف ألف نقداً معجلاً و ٢٠٠ ألف درهم سنوياً و ٣ آلاف رأس من الرقيق ليس فيهم صبي ولا عجوز) [١٥١]، وكذلك قدم حاكم بيكند حتى قيل أن وزن الذهب الذي صادره المسلمون يساوي (١٥٠ ألف مثقال) وعقدت (تاخشادا) ملكة بخارى إتفاقية سلام كانت قد كلفتها (مليار درهم نقداً) و (٤٠٠٠) أسير ومن بين الأسرى (٨٠) من الأسر الحاكمة، وكبار المسؤولين[١٥٢].ومع كل هذه الشروط فقد قاد أعيان بخارى عصياناً مدنياً أدى بالنهاية إلى استسلامهم وهدم بيوتهم وتسويتها بالأرض، واستعملت حجارتها لبناء المساجد فيما بعد.

إن التاريخ قاسٍ جداً حين يطلق أحكامه على المغلوبين ولقد تصور العرب أنهم منتصرون جداً في هذه الحرب التي أخضعت بلاد ما وراء النهر إلى سيطرتهم العسكرية والمدنية. ولكنهم هزموا في

---

[١٥٠] جوارنة، احمد هيمنة العرب وتاثيرهم الحضاري على شعوب اسيا الوسطى: دراسة تاريخية تحليلية في طبيعة الآليات واساليب التأثير (حملة قتيبة بن مسلم) ابحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية ، المجلد -١٨-العدد ٣A حزيران ٢٠٠٢م.

[١٥١] الجوارنة ، احمد المصدر السابق.

[١٥٢] جوارنة، احمد المصدر السابق.

نهاية الأمر، حين لهثوا خلف نساء الأسـرى وفنـوهم، وإن التـاريخ الإسلامي يعيد إلى الأذهان التاريخ العبري الذي حـارب الكنعـانيين ليخرجهم من عبادة الفرج والأوثان والجنس، ولكنه ما لبث أن تمثل هذه الثقافات. حتى قال اليهود: إن نساء سليمان هن سبب فتنتنا، وهذا مـا حصل مرة أخرى مع المسلمين لأن القلة النادرة من المسلمين هي وحدها التي بقيت محافظة على تعاليم الثقافة الإسلامية الجديدة نظرياً وعملياً، أما الجنود الذين تقاسموا ممالكات مغلوبة ونساء جميلات فإنهم لم يكونوا على مستوى الأخلاق المطلوبة، لذلك انتشر البذخ والفساد على أيد المغلوبين ذلك أن الشهوة تقطّع جسد المشتهي مثل السم القاتل.

وبنفس الوقت كان العربي المنتصر لا يأخذ بنصائح الأطباء كما أسلفنا في بداية حديثنا عن (الحارث بن كلدة) وإن إحـساس العـربي بالنصر الدائم الذي كان يأتيه من الله ومن همة نفسه كان يعطيه إحساساً بالتفوق على غيره، من حيث قدراته البدنية وبنفس الوقت أحس هـذا العربي أنه (شعب سوبر) لذلك رفض وبحزم إقامة شراكة حقيقيـة مـع أهالي سمرقند، وهذا الإحساس أعطى القوميون الجدد فيٍ عصر النهـضة الحديث إحساساً (إن الدولة الأموية هي أفضل دولة قومية عربية) وبقي العرب على إصرارهم حتى ظهر على مسرح الوجود (علي بن الحسين) وبما أن أمهْ غير عربية فقد فاق قريش جميعاً علماً وأدباً وأخلاقاً وفقهـاً وورعاً ولكل هذه الصفات الحميدة إتخذ العرب من الأجنبيات أمهـاتٍ لأبنائهم، وشاع في ذلك الوقت مثلاً عربياً يقول:

"الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز الدور"[153].
وقد إستمر إسراف العرب ليس في النساء حسب بل في الألوان الأدبية فظهرت طبقة المولدين، وإنتشرت مظاهر فلكلورية فارسية في العصر العباسي، وأسرف الخلفاء في الشهوات وكأنهم لم يقرؤوا إرشادات الحارث بن كلدة وغيره من الأطباء أو أنهم قرءوها وضربوا بها عرض الحائط، فأدخلوا الطعام على الطعام وتفننوا في صنوفه، وخالفوا بذلك الشريعة الإسلامية التي دعت إلى عدم الإسراف

"وكلوا واشربوا ولا تسرفوا"

"وإن الله لايحب المسرفين"

و*"ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط"* [*].

وبما أن التيار أقوى من الرمال والغبار وحبات الحصى، فقد جرف التيار الصاعد الثقافة الجديدة قبل أن تتمكن من تثبيت نفسها، ومن أكثر الخلفاء مخالفة لنصائح (الطب الوقائي) هو الخليفة: (أبو جعفر المنصور) وهو أول خليفة مات بالتخمة لأسباب كان قد جهلها الناس، ولكن من الممكن أن نستنتجها من جواري القصر اللواتي اضعفن عن غير عمد من حيويته كرجل.

أما الخليفة (هارون الرشيد) فقد كان يطبخ له الطهاة في اليوم الواحد أكثر من (٢٠) عشرين صنفاً من الطعام، وقيل ثلاثين صنفاً[154].

---

[153] حسن، حسن ابراهيم ،تاريخ الاسلام، ص ،٤١٩ ج،٣ ط ٥-١٩٥٩م مكتبة النهضة المصرية-القاهرة.

[*]سورة الإسراء

[154] حسن ، حسن ابراهيم، المصدر السابق، ص .٤١٨

وكان هذا بسعر تكلفة باهض جداً وكان يرصد يومياً علــى حــساب خزينة الدولة (١٠ آلافٍ) درهم على موائد طعــام الخليفــة (هــارون الرشيد) وفي اليوم الذي وصلت به (زبيدة) ابنة جعفر المنصور إلى قصره الرشيد أمر بأن تقام على شرفها وليمة كانت قد كلفت خزينة الدولــة خمسة وخمسون (٥٥) ألف درهم.

وبعد أن ظهر (علي بن الحسين) على مسرح التاريخ الــشرقي تغيرت وجهة نظر العرب إلى الإماء والجواري فعاد العرب ليتخذوا منهن أمهات لأبناء هم حتى قيل أنه ليس من الخلفاء العباسيين من أبناء حرائر إلا ثلاثة: السفاح، والمنصور، والأمين، والباقون أبناء جــواري، فــأم (المأمون) فارسية، والمعتصم تركية و(شجاع) خوارزمية وهي أم الخليفة المتوكل، وأم (المقتدر) رومية، وأم (المستكفي) وأم (المطيع)(صــقلبيات) وبما أن البذخ والإسراف عليهن كان كثيراً كما أسلفنا في الفصل السابق فإنه ولهذه الأسباب كانت النساء الجميلات من الروم والفرس وبــاقي أصقاع الأرض يأتين إلى الأسواق بمحض إرادهن عن قصدٍ وعمد وذلك حتى ينعمن في دور الأمراء والأغنياء وقصور الخلفاء[١٥٥].

وبذلك فإن الإنسان على معرفته بمضمار الشبع الزائد فإنــه لا يبالي بالموت المفاجئ منه، وهذا تحذير حتى اليوم لكل عشاق (بائعــات الهوى) من كثرة ممارسة الحب العملي، غير أن العقل الخفيف لا يقــاوم الجمال لأكثر من لحظات حتى قال جرير:

إن العيون التي في طرفها حــورٌ قتلننا ثم لم يحيــين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله إنسانا

---

(١٥٥) بطاينة، محمد ضيف الله ، بحوث، في التاريخ الاسلامي، ص ٤٥، دار مجدلاوي ، عمان- الاردن، ١٩٨٣م.

وهذان البيتان أجمع النقاد حتى وقت ليس بالبعيد، أهٰن أغزل ما قالت العرب في النساء، وهذا ربما أنه ناتج عن ملاحظة دقيقة من جرير لطبيعة الأنثى وتدنيها في (سُلم ألنشوء الطبيعي) و لم أجد غير هذين البيتين من الشعر لإخضاعهن لتطبيق نظرية النشوء الطبيعي، ويعترف جرير إعترافاً صريحاً بضعف المرأة جسمياً وبقوتها جمالياً حتى أن هذا الجمال يضعف أكبر العقول وأوسعها.

ولإنتشار العبيد والإماء والجواري انتشر (الطب الوقائي) لكثرة حالات المرض في بغداد والمدينة والكوفة والبصرة وواسط... الخ، وبدأت الثقافة الإسلامية العقلانية تنهزم، أمام ضربات الجمال الإنثوي، وبدأت تتسلل إلى الرجال أنواع جديدة من العقاقير، وبدأت الجريمة تنتشر بين تحضير الداء والدواء حتى قالت العرب:

" إن لله جنوداً من العسل "

وهذا تعبير مجازي عن الموت بالشهوات وأحياناً كان يستعمل كتعبير صريح عن دس السم في العسل.

* * *

وفي عام (١٩٨٣) ظهر كتاب جديد في شكله ومحتواه يتحدث عن التاريخ الإسلامي للأستاذ (محمد ضيف الله بطاينة) وفيه يقول:

"إن سبب حركة الفتح الإسلامي ودوافعه لا يؤخذ من واقع جندي يشترك في القتال طلباً للثروة أو من واقع جندي يقاتل من أجل الشهرة والسمعة وإنما يؤخذ من واقع السياسة العامة للدولة..."[١٥٦].

---

[١٥٦] كحالة، عمر الرضا، المرأة في عالمي العرب والإسلام، ص ٤٥، مؤسسة الرسالة،

و لم أقرئ أنا شخصياً قبل هذا العام كاتباً يتحدث عن التـــاريخ العربي والفتح الإسلامي بهذه القدرة على صياغة واقع الحياة الإجتماعية في القرن الأول الهجري، والكاتب يؤكد أن هنالك خلف الجنود العرب (رغبات شهوانية) غير أن هذه الرغبات لا تحدد مفهوم الدولة (للفــتح) الإسلامي النظري الذي إستنه الرسول وسار على نهجه صحابته، الـــتي إنهزمت أمام رغبات الناس، ويعترف القرآن ضمناً بكل هذا:

" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة"

وقد أبدت الثقافة الإسلامية في بداية دعوتها مخاوفاً شديدة مـــن إنتشار مفاهيم استهلاكية جديدة كالتي إنتشرت إبان وجـــود الـــسيد المسيح في الناصرة وأورشليم، مثل المشاريع الإســـتهلاكية والمـــشبوهة أخلاقياً والإستترافية، وبرغم كل هذا الحرص إلا أن الثقافة الإســـلامية سقطت أمام الشهوات والمغريات على أيدي ضعاف الإيمان مـــن ذوي الثقافات المتدنية ذات الاتصال الوثيق بمفاهيم أخلاقية ســـامية تـــسمو بالنفس والروح والوجدان ولكنها عندما تقدمت في بداية القرن الثـــاني الهجري بدأت مع تقدمها تتراجع فيها أكثر القيم، وتراجعت المرأة الحرة وتقدمت المرأة الأجنبية لا لتكون متقدمة بل لتكون أداة ترفيه ومتعـــة، بينما حبس العرب نساءهم خلف ملابس متعـــددة الأشـــكال كانـــت منتشرة أصلاً باسم الدين والشرف والغيرة بينما لم يك عند العـــرب أي غيرة على النساء الأجنبيات بل إعتبروهن ورثاً حربياً أورثهـــم الله إيـــاه لإيمانهم وتقواهم.

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن المرأة في بداية القرن الأول الهجري تحسنت وظائفها الإجتماعية تحسناً ملحوظاً ويستدلون على ذلك من خلال الروايات الأدبيةويقول حول هذا الموضوع الباحث (أحمد أجاييف):

" أن المرأة في العصر الأموي زاحمت الرجل في طلب جميع العلوم.."

وكان الباحث (محمد جميل بيهم) قد انتقد هذا الكلام نقداً علمياً حيث قال:

" في هذا القول شيء من المغالاة يقع فيها الكتاب حيث تسيطر عليهم العاطفة..."

وترى الباحثة (باسمةْ كيال) التي نقلت لنا هذه الآراء "النساء شغفن بالأدب والشعر حتى يبقين بمنزلهن ولا يختلطن بغير الحرائر من النساء كما هو بالجاهلية"[١٥٧].

وهذا يعني أن حبسهن في بيوت الرجال جعلهن أكثر ميلاً إلى الاهتمام بالكلام ونقله ونقل الأدب.

ولقد عمل القرآن على محاربة كافة المشاريع المشبوهة أخلاقياً والتي تستهدف بشكل فظيع قطاع الشباب من الجنسين، وكان الرجال العرب بالجاهلية يذهبون إلى بيوت (القيان) التي تتواجد فيها الجواري وذلك بهدف أن يستمتعوا بما لذ وطاب من غنائهن وغنجهن، وقد انتقد القرآن هذه الظاهرة:

"ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين(لقمان-٦).

---

[١٥٧] الكيال، باسمة، تطور المرأة عبر التاريخ، ص ٨٨، بيروت ١٩٨١م. دمشق، ١٩٧٨م.

وبرغم كل هذا الانتقاد إلا أن مثل هـذه البيـوت اسـتمرت بالظهور وتطورت إلى مدرسة غنائية يتعلمن بها الجواري الغناء.

وتوسعت هذه البيوتات وأصبحت تمارس مهنة (الدعارة). وبما أن القلة العاقلة من المسلمين قليلة والعوام من الناس كثيرة، فقد انتصرت الكثرة على القلة وبمعنى آخر إنتهت التعاليم الإسـلامية عنـد الحـدود النظرية لها و لم تستمر عملياً وذلك أن سير أحداث التاريخ منذ نـشأت الحضارة يرتكز على الظلم واللامساواة وفي أي بقعة مـن الأرض إذ لم يك هنالك ظلم فإنه مستحيل جداً أن تكون هنالك حضارة. أو ثقافـة متميزة، لأن من أهم أسس الحضارة والتقدم هو: عدم المساواة وخلـق نظام طبقي، أما العدالة والمساواة فإنها في خيال الشعراء وضعفاء العقول، وإنه منذ بدء الخليقة لم يستطع أحدٌ مهما كانت عبقريته أن يقيم عدالـة ومساواة بين طبقات المجتمع وهنالك أفراد نجحوا نجاحاً باهراً ومنقطـع النظير على المستوى النظري والعقائدي فقط لا غير وأنهـم في النهايـة واجهوا أنفسهم مثل العرب المسلمين حيث قرأوا على أنفسهم.

"وجعلنا بعضكم فوق بعضٍ درجـات" و "للرجـال علـيهن درجة"

وقد تورط المعاصرون المصلحون بمثل تلك النظريات في العصر الحديث واعتقدوا أنهم قادرون على تطبيقها غير أن التاريخ لا يخبر عـن أي محاولةٍ ناجحة علماً أن المحاولات ما زالت جارية حتى اليوم.

ولقد دخل المسلمون في جدالٍ حول الإستماع والنظر إلى المرأة الجارية غير الحرة وكان السؤال على هذا النحو:

- هل صوت المرأة الجارية (القين) ووجها عورات؟
وأجاب أبو بكر بن عربي قائلاً:
" إن القين إذا كانت ملكاً للرجل فله ملء الحق في جسدها وصوتها، وإن لم تك ملكاً له فله الحق أيضاً في الإستماع إلى غنائها لأن وجه الأمة وصوتها ليسا بعورة"[١٥٨].

وإن كلام بن عربي يعيدنا إلى موضوع سابق كنا قد تحدثنا عنه عند عمر بن الخطاب الذي كان يضرب الجواري والإماء على خمارهن ويقول: لماذا تتشبه الأمة بالحرة؟ وهذا يعني أن المرأة غير المسلمة بنظر بن الخطاب لا تنطبق عليها شروط المرأة الحرة وهذا خطأ كبير وقع به المسلمون وهو أن، الحكمة الشرعية من لبس المرأة المحتشم هو بهدف إخفاء مظاهر الإغراء والفتنة لذلك فإن أي إمرأة مهما كانت ديانتها تنطبق عليها شروط المرأة الحرة لأن المقصود (إبعاد مظاهر الفتنة عن أعين الرجال) ولكن المسلمين قصدوا ذلك عن عمد وذلك بهدف التمتع مع غير المسلمات، وبنفس الوقت حبست المرأة خلف جلبابها بهدف عدم تمتع أحد بملكية أحد.

رغم أن المنطق والعقل منع النساء الحرائر وغير الحرائر من أختلاطهن بالرجال بهدف منع إختلاط الأنساب خوفاً من إنتساب رجل إلى قومٍ هو ليس منهم، ولكن توسعت هذه الفكرة وخالفها الرجال مع الجواري والإماء والمومسات، وهذا هو التفسير غير المنطقي لذي يعيب المرأة ولا يعيب الرجل والأكثر منطق هو أن الرجل الذي يمارس الحق العملي مع بائعات الهوى لا يقل (عهارة) بالمقارنة مع شبيهاته من النساء.

---

[١٥٨] الكيال، باسمة، تطور المرأة عبر التاريخ ص ٥٢-٩٣، المصدر السابق.

المصادر والمراجع

- ولديمار جانسون ، هورست، تاريخ الفن،ترجمة عصام التل ورنده قاقيش ، شركة الكرمل للإعلان ط.١

-فارب، بيتر بنو الإنسان ، مجلة عالم المعرفة ، ترجمة زهير الكرمي عدد ١٩٨٣./٦٧

-الموسوعة الطبية، هذا الانسان ج٢-ط،٢ بهجة المعرفة ،موسوعة علمية مصورة.

-الباش، حسن ،الميثولوجيا الكنعانية والإغتصاب التوراتي دار الجيل دمشق ١٩٨٨ط.١

-داروين ، تشارلز، أصل الأنواع، ترجمة إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة بيروت.١٩٧٣،

-النوري، قيس، البطل في التراث، ط،١ هيئة كتابة التاريخ ، بغداد-العراق.

-الترماني، عبدالسلام ، الرق ماضيه وحاضره،مجلة عالم المعرفة عدد٢٣ الكويت-الكويت.

-ساكز،هاري، عظمة بابل،ترجمة عامر سليمان ،ط٢-١٩٧٩م.

-خياطهْ،محمد وحيد، فجر الحضارة في سومر-دار الحوار-سوريا - اللاذقية.

-هوك، ديانة بابل وأشور،ترجمة نهاد خياطهْ ، العربي للطباعة والنشر-ط،١ ١٩٨٧م.

-الأحمد، سامي سعيد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم- ط١٩٨٨،١م،وزارة الثقافة العراقية.
-السواح ، فراس، لغز عشتار الإلوهة المؤنثة وأصل الدين والإسطورة ، دار الكندي للترجمة والنشر،ط.١٩٨٨،٣
-الربيعو، تركي علي، العنف والمقدس والجنس، المركز الثقافي العربي بيروت١٩٩٤م.
-تاريخ الحضارات العامة،موسوعة في سبع مجلدات ،بإشراف موريس كوزيه، ج،١ الشرق واليونان القديمة ، ل¯ أندريه إيمار ورجانين أوبوايه، منشو رات عويدات -بيروت -باريس ١٩٩٣م.
-قمحاوي، وليد، تنظيم النسل دار العلم للملايين -بيروت ١٩٥٤م.
-الطعان ،عبدالرضا، الفكر السياسي في العراق القديم ، دار المهد .
-مرعي، عيد ، التاريخ القديم، مطبعة الاتحاد دمشق١٩٩١م.
-سوسه،أحمد، حضارة وادي الرافدين ، منشورات وزراة الثقافة العراقية، ١٩٨٠م سلسلة دراسات عدد رقم(٢١٤).
-القرآن الكريم.
-صحيفة الرأي ، عدد ١٢٥٧٢،٢٠٠٥م-عمان الاردن.
-الطراونه، خلف وناهض عبدالرزاق دفتر،المسكوكات وقراءة التاريخ دار النشر عمان١٩٩٤،م.
-عبدالحكيم ،شوقي ، مدخل لدراسة الفلكور والأساطير العربية، دار ابن خلدون ، ط١-١٩٧٨م بيروت-لبنان.
-يوتانج، لين، كيف يحيا الإنسان ، دار الكتاب العربي -بيروت

لبنان، ط،١ ١٩٦٧م.
-النجار،منيره،موسوعة أحداث العالم المصوره،منذ بدء الحضارات إلى أوائل ٢٠٠٣م ط ،١ ،٢٠٠٣ دار المناهج للنشر والتوزيع عمان.
-كييرا، إدوارد، كتبوا على الطين، ترجمة محمود أمين ، دار المتنبي بغداد ١٩٦٤.
-السواح ، فراس، مغامرة العقل الاولى ، ط العاشرة، دار علاء الدين دمشق.
-القاضي ، علي ، وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشرو التوزيع -عمان الأردن، ١٩٨٤م ط.١
-مناع، ليلى ، المرأة في التاريخ العربي، وزارة الثقافة دمشق .١٩٧٥
-العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم،والبعثة النبوية،شركة المطبوعات والنشر -بيروت-لينان.
-صحيفة الرأى ،عدد ١٢٥٧٢-٢٠٠٥م.
-أحمد مصطفى أبو ضيف، تاريخ العرب-ط،٣ ١٩٨٦م دار المعارف.
-توينبي، آرنلد، تاريخ البشرية، ج،١ ترجمة نيقولا زياده الأهلية للنشروالتوزيع بيروت١٩٨١م.
-دروزه ، محمد، تاريخ بني اسرائيل، المطبعة العصرية ، طبعة جديدة ومنقحة بيروت ، ١٩٦٩م.
-السعد، جودت، اوهام التاريخ الياهودي ، الأهلية للنشر

والتوزيع،عمان الأردن ط ١.
-سالم، عبدالعزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة بـــيروت ١٩٧١.
-الطنطاوي ، محمد سيد، بنو اســـرائيل ، جامعـــة البـــصره ،بغـــداد العراق.١٩٦٨،
-العقاد، عباس محمود، ابليس، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٦٩م.
-الهدروسي ، سالم ،الطقسيه الأسطورية في عينيه ابي ذئيب الهذلي ، مجلة ابحاث اليرموك ، مجلد ٢ عدد ٢٠٠٤،٢م.
-خالويه، عبدالله بن الحسين بن أحمد،اعراب ثلاثين سوره من القـــرآن الكريم.
-الأهواني، أحمد فؤاد، المعقول واللامعقول، دار المعارف مصر، ١٩٧٠.
-المعموري ، ناجح ، الإسطورة والتوراه، المؤسسة العربية للدراســـات والنشر، بيروت–لبنان ط ١– ٢٠٠٢م.
-فرويد، سيجيموند، موسى والتوحيد، ترجمة عبدالمنعم حفـــني، ط،٢ ١٩٧٨م، مطبعة الدار المصرية.
-وايتلام ، كييت، إختلاق دولة إسرائيل القديمة، ترجمة سحر الهنيدي، مجلة عالم المعرفة، عدد ١٩٩٩،٢٤٩م.
-سوسه، أحمد، العرب واليهود في التـــاريخ ، ط ،٤ ١٩٧٥م، العـــربي للاعلان والنشر ، دمشق.
-الشريقي،إبراهيم ، أور شالـــــيم وأرض كنعـــــان١٩٨٥،م.الشرق

الاوسط للطباعة.
-صبور،محمد صادق، البغاء عبرالتار يخ،المكتبة الثقافية -بيروت، ط ،١ ١٩٩٦م.
-الخطيب،محمد، مفهوم الإلوهيه وتطوره في اليهودية ، مجلة أبحاث اليرموك.سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،مجلد الخامس عشر، عدد ١٩٩٩،٣م، جامعة اليرموك.
-كولنتاي، الكسندر، محاضرات حول تحرر النساء، ترجمة:هنري عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر -بيروت، ط١٩٨٠١م.
-العوا، عادل، الأخلاق والحضارة، مطبوعات جامعة دمشق ١٩٨٩م.
-القباني، صبري ،حياتنا الجنسية، طبعة قديمة بدون دار نشر أو سنة طبع.
-هاوزر ، آرنلد، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة فؤاد زكريا مراجعة أحمد خاكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر١٩٦٩م.
-مجموعة باحثين في قضايا المرأة، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط١٩٨٠،١م.
-شوقي، مدحت عزيز، الطب والجنس، الدار المصرية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
-الصمد، محمد كامل، ثبت علمياً ج،٢ ط ،٦ الدار المصرية اللبنانية القاهرة ١٩٩٩م.
-الإنسان والمجتمع ،المجموعة الثانية، ط،٢ الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ١٩٨٠م طرابلس ليبيا.

-شميل ، شبلي ،قضايا المرأة لجنة من الباحثين ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط ١ ، ١٩٨٠م.
-مجلة العربي، الكويت، عدد،١٠٩ ،١٩٦٧ مقال بعنوان: المرأة الجميلة في حكايات ألف ليلهْ وليلهْ.
-أسعد، يوسف مخيائىل، الحب والكراهية، مكتبة غريب القاهرة .
-القاسمي ، ظافر، مجلة العربي عدد ،١٣٥ ١٩٧٠م.
-الترمانيني، عبدالسلام ، الرق ماضيه وحاضره ، مجلة عالم المعرفة عدد ،٢٣ الكويت-الكويت.
-مجلة حياتك ، عدد ٤-١٩٥٧م.
-أبو صايمه، عايده عبدالله، المرأة في الوطن العربي ، ط ،١ عمان ١٩٩٧.
-عبدالفتاح ،سيد صادق، أغرب عجائب المرأة ، دار الكتاب العربي دمشق، ١٩٨٨م.
-كحاله، عمر رضا، المرأة في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسالة -دمشق ١٩٧٨م.
-مجلة العربي ، عدد ،٩٨ نقلاً عن صحيفة الأهرام، الكويت -الكويت.
-أبوغزاله، رجاء، القضية مجموعة قصصية ، عمان الأردن وزارة الثقافة، ١٩٩٤م.
-عثمان ، ميرفت عبدالعظيم، مجلة الوعي الإسلامي الكويت عدد،٢٧٢ ١٩٨٧م.
-فتحيه محمد إبراهيم ، دراسات نسائية ، مجلة عالم الفكر المجلد

السابع ، عدد -،٤ ١٩٧٩م الكويت -وزارة الاعلام.
-طبيشات ، محمد عايد، تاريخ الإنسان الطبيعي، ط١-١٩٩٦م.
-إسماعيل ، عماد الدين ، مجلة حياتك ، عدد ١٩٥٨،٩م.
-الجابري، محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت لبنان -ط١-١٩٩٥م.
-الجداوي، حسن ، قضية المرأة والبنطال، مجلة العربي، عدد -١٤٢-١٩٧٠م،الكويت-الكويت.
-سناجله، محمد، مجلة أفكار ، عدد ،١٨٣ ٢٠٠٤م وزارة الثقافة - عمان الأردن.
-حسين، عادل،المرأة العربية نظره مستقبلية ، عدد ١٩٨٧،٨م، مجلة الحوار ، بيروت -لبنان.
-حسين ، أحمد،الزواج والمرأة في إيماني ، المؤلفات الكاملة -ج١- القاهرة ، دار الشروق١٩٨١،م.
-العقيلي، جعفر، نماذج من الأمثال الشعبية، وزارة الثقافة عمان- الأردن.
-بوعبدالله ، محسن ، تغير اتجاهات الفرد، عدد ،٤ مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية١٩٩٥.م.
-جيدنز، أنطوني، بعيداً عن اليسار واليمين، ترجمة شوقي جلال ، عالم المعرفة عدد ٢٨٦-الكويت.
-فهمي، ساميه محمد، مشاركة المرأة العربية في التنمية ، مصر -السويس -دار المعرفة الجامعية.
-مستر، بوليت، المرأة في العالم العربي، ترجمة إلياس مرقص دار

الحقيقة -بيروت ط ،١ ١٩٨١م.
- الصلح، كاميليا فوزي، الأسر التي ترأسها النساء ،منشورات الأمم المتحدة-المكتب التنسيقي الأردني لشؤون مؤتمر بكين "المرأة العربية واقع وتطلعات عمان-الأردن، ١٩٩٥م.
-يسري، عبدالرحمن، تطور الفكر الاقتصادي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ط،٢ مصر الإسكندرية ١٩٩٦م.
-المرابط ، مصطفى، المرأة بين سلطة الواقع وسلطة الإيديولوجيا مجلة المستقبل العربي-لبنان-بيروت، ٢٠٠٠م عدد .٢٥٧
-صحيفة الدستور الأردنية، عدد ١٣٦٠٦-٢٠٠٥م.
-حمارنه، سامي خلف، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين المجلد الأول، سلسلة منشورات جامعة اليرموك لإحياء التراث العلمي العربي رقم (١) ١٩٨٦م.
- جوارنه، أحمد،هيمنة العرب وتأثيرهم الحضاري على شعوب آسيا الوسطى،أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية ، المجلد ١٨ عدد ٣A، ٢٠٠٢م.
-حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ط ،٥ ١٩٥٩م، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة.
-بطاينه، محمد ضيف الله ، بحوث في التاريخ الإسلامي ،دار مجدلاوي،عمان-الأردن١٩٨٣،م.
-الكيال، باسمه، تطور المرأة عبر التاريخ ، بيروت، ١٩٨١م.
-خشبه، سامي، مصطلحات فكرية، المكتبة الأكاديمية-القاهرة١٩٩٤م.

-حقي ، يحيى ، هموم ثقافية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
-حنفي ، حسن، ا لدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي ، دارقباء ،القاهرة ١٩٩٨م.
-غصيب، هشام، هل هناك عقل عربي، قراءة نقدية، دار التنوير العلمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشرط،١ ١٩٩٣م.
-اللعبي، عبداللطيف ، الرهان الثقافي ، المسألة الثقافية ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -المغرب، ط،١ ١٩٨٥م.
-غصيب ،هشام، ثقافتنا في ضوء تبعيتنا، دار التنوير العلمي، ١٩٩١م.
- موسى،سلامه، البلاغة العصرية واللغة العربية، ط٤ مطبعة التقدم، القاهرة، ١٩٦٤م.
- السعداوي، نوال، الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٤،ط.١
-عقراوي، شلماستيان، العراق-وزارة الثقافة ، سلسلة دراسات رقم(١٤٢).
مونتا جيو،آشلي، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان ، ترجمة ، رمسيس لطفي، مؤسسة سجل العرب-القاهرة، ١٩٦٥م.
-الجابري، محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان- بيروت.
-زايد، عبد الحميد ، متى بدأت الحضارة، مجلة عالم الفكر١٩٧٣ الكويت.

الفهرس

الفصل الثاني

الفصل الثالث